

محسن محمد



Bibliotheca Alexandrina
0148702

انهم يقتلون الادباء

مكتبة غريب

محسن محمد

إنهم يقتلون الأدباء

الناشر
مكتبة غريب
٢٠١ شارع لامل مدني (الغزالة)
٠ تليفون ٩٠٢١٠٧

قضية أدبية

مشهد يتكرر في امتحان النقل في المدارس الابتدائية والإعدادية وربما الثانوية أيضاً .

يقول الممتحن للطالب :

- ماذا تحفظ من أدب طه حسين ؟

يجيب الطالب بأنه يحفظ فقرة أو أكثر من كتاب « الأيام » لطه حسين .

وعندما يطلب منه الممتحن أن يتلوها فإن بعض الطلبة يتلعثم ، يخطيء ، أو ينسى .

وتكون النتيجة أن يرسب طالب لأنه لا يحفظ ما كتبه طه حسين أو العقاد أو شعر شوقي أو حافظ إبراهيم أو امرئ القيس .

وفي هذه الحالة يظل طول حياته يكره أدب وشعر كبار الأدباء والشعراء العرب .
وبفرض عدم رسوبه في الامتحان فإنه في أغلب الأحوال لا يستطيع أن يجب أدباً فرض عليه ، وشعراً طلب منه أن يحفظه عن ظهر قلب !
وليست هذه الظاهرة قاصرة على الطلبة في العالم العربي ، بل ظاهرة عامة في كل بلاد العالم .

وهناك أدباء بالذات وشعراء معينون ينفر الشباب من كتاباتهم وقصائدهم لأنها كانت ضمن المواد المقررة أثناء سنوات الدراسة . ولا يستطيع هؤلاء الطلاب العدول عن الأفكار التي ارتبطوا بها أو عاشوها في طفولتهم وصباهم .

ومهما قيل لهم بعد ذلك من أن هذا الأدب جيد يعكس صورة الحياة ويضيء لهم الطريق فإن الفكرة لا تتغير ولا تتبدل إذ تمثل بالنسبة للطلاب أياماً تعتبر في رأى البعض سنوات قهر وعذاب !

وقد بدأت بعض المكتبات في الخارج تراجع أسماء كتب الأدب والشعر الأكثر توزيعاً والأقل توزيعاً فوجدت أن بعض الكتاب لا تروج كتبهم أبداً لأن وزارات التعليم والسلطات المدرسية أساءت اختيار القطع المقررة على الطلبة أثناء الدراسة . ومن هنا ساءت العلاقة بين هؤلاء الكتاب والشعراء وبين بعض الطلاب .

والنتيجة لهذه الدراسات أن أخذ كثير من شباب المؤلفين - شعراً ونشراً - يطلبون إلى هيئات التدريس عدم اختيار نماذج من كتاباتهم ضمن المقررات الدراسية .

وقالوا :

- إذا أردتم تدريس بعض ما نكتبه فليكن ذلك بشرط واحد وهو ألا يرغم الطلاب على حفظ ما نكتب وألا تكون هذه النماذج ضمن مواد الامتحانات .

بل إن بعض الكتاب والشعراء ، في عدة دول ، هددوا بإقامة دعاوى ضد السلطات التعليمية إذا اختارت كتاباتهم ضمن أسئلة الامتحان .

وقد جرت العادة أن يحرص المؤلفون على حماية حقوق مؤلفاتهم من السرقة والاقْتباس أو إعادة النشر ، أما أن يطالب المؤلفون بعدم إرغام الطلاب على حفظ كتاباتهم فإن هذه تعتبر أول سابقة من نوعها في العصر الحديث .

وإذا كان هؤلاء الكتاب يستطيعون حماية مؤلفاتهم من كراهية الجيل الجديد لها ، كما يدعون فإن قدامى المؤلفين لا يستطيعون ذلك ، فقد انتهت حقوق التأليف بالنسبة لهم وبالنسبة لورثتهم أيضاً ولذلك فإن وزارات المعارف وسلطات التعليم تستطيع أن تلزم الطلبة بحفظ أو قراءة نماذج من كتاباتهم .

وقد أصبحت هذه قضية هامة في الغرب أثرت في الكتب والصحف وعلى شاشات التلفزيون .

ونشأت نظرية تقول بأن الأدب للمتعة وللإسترخاء أما أن يكون الأدب وسيلة للحصول على شهادة مدرسية ، أو درجة جامعية ، وبالتالي للحصول على وظيفة فإن ذلك يعتبر في رأى بعض المؤلفين تحويلاً للأدب عن أهدافه السامية والمثل العليا التي وجد من أجلها .

ولم تنتقل هذه القضية حتى الآن إلى عالمنا العربي . ولا يزال الطلاب يقرأون ، رغماً عنهم ، ويحفظون بعض الأدب والشعر الجاهلي بما فيه من ألفاظ صعبة ومعان بعيدة عن الحياة المعاصرة .

ومن المؤكد أن هذه القضية ستثار يوماً عندنا وسيكون لها مؤيدون ومعارضون كما حدث في الغرب .

وللقضية جانبان .

الأول خاص بالأداب العالمية والثاني يشمل الأدب العربي العام والأدب الإقليمي الخاص بكل دولة .

والسؤال المطروح: هل نأخذ بوجهة نظر الجيل الجديد من الكتاب ونمنع تدريس أفضل ما كتبه الأدباء العرب والأجانب في المدارس والجامعات . فإذا فعلنا ذلك فماذا يبقى أمامنا من برامج تعليمية يدرسها الطلاب . وماذا يطالعون في هذه الحالة . وهل يستطيع قاص في العالم أن يمنع هيئة تعليمية من أن تعلم الأبناء الأدب والشعر .

ومن المؤكد أن الأدب القديم أصبح ملكاً للكافة طبقاً لقانون حقوق التأليف ومعاهدة برن الشهيرة، ولذلك فإن السلطات التعليمية حرة في إلزام الطلاب بدراسة هذا الأدب القديم .

ولكن القضية وإن كان لها جانب قانوني هام إلا أن الجانب التعليمي هو الأهم .

والسؤال المطروح هو: هل يكره الطلاب الأدب الذي يرغبون على دراسته ؟

والجواب أحياناً بالإيجاب إذا كانت المادة فوق مستوى عقولهم وإدراكهم .

ولكن كيف يتعلمون إذن . . إن العلوم والرياضيات والتاريخ مواد صعبة في البداية حتى يفهموها ولذلك لابد من جهد لفهم الأدب والشعر .

ومن ناحية أخرى فإذا كان بعض الكتاب المعاصرين لا يريدون أن تكون كتاباتهم ضمن المواد الدراسية المقررة فإن كثيرين يريدون ذلك . ولا يمكن أن تطالب أديباً بأن يكتب في مقدمة كتبه « ممنوع وضع أي جزء من هذا الكتاب ضمن المقررات التعليمية » .

ولو فعل ذلك مؤلف فسيصبح نكتة ولن يأخذ أحد ما قاله على محمل الجد !

والحل البديل أن نطلب إلى الأبناء في المدارس أن يقرأوا كتب - نثر وشعر - الأولين والمعاصرين ، باللغة العربية ، واللغات الأجنبية . ولكن بشرط واحد وهو ألا يطلب من الجيل الجديد حفظ هذه النماذج عن ظهر قلب !

ويعد . .

فهذه إحدى القضايا الأدبية المعاصرة . .

والقضايا الأدبية المعاصرة كثيرة . . تعالوا نقلب بعض صفحاتها !

كتاب في ثلاثة أيام

بعث ناشر صيني بالرسالة التالية إلى مؤلف شاب طلب نشر كتابه الأول .

قال :

« أخى .

اسمح لخادمك أن يضع نفسه تحت أقدامك .

وأتوسل إليك أن تأذن له بالحديث إليك حتى يستطيع أن يتنفس ويحيا .

إن مسودة الكتاب التي تفضلت بإرسالها إلى أضاءت حياتي . وقد تابعت كل صفحة منها بشغف .

إن يدي ترتعشان ويملؤني الخوف وأنا أعيد إليك كتابك . ولكن لي عذراً في ذلك .
لأن نشر الكتاب الذي بعثت به إلى فإن الإمبراطور سيأمرني بأن يكون هذا وحده هو مستوى الكتب التي أنشرها . ولن يسمح لي بطبع كتاب لا يعادل مخطوطك .

ولأنني أعرف سوق الأدب في بلادي فإنه سيستحيل على أن أجد كتاباً مثل كتابك
ينو انتظرت عشرة آلاف عام .

إنني آسف عشرة آلاف مرة وأنا أعيد إليك كتابك مرة أخرى . . دون نشره .

ضع رأسي تحت قدميك .

وافعل ما بدا لك فإني سأظل خادمك المطيع »

وهذه الرسالة وجدت بين آثار الصين في عهدها القديم . ولا يوجد ناشر في الصين
خديثة ، أو في أى من بلاد العالم يكتب مثل هذه الكلمات لمؤلف شاب أو لمؤلف
عجوز ، أو لكاتب شهير .

ولو توفر الوقت لدى الناشر لرسالة مشابهة فإن المؤلف سيجد أن كل كلمة فيها تنضح
سخرية من الكاتب والكتاب !

وكتب مؤلف فرنسى ، عانى من الناشرين - فى بدء حياته ، الأسباب التى يجب أن يكتبها الناشر للمؤلفين الشبان .

وقال المؤلف أن الناشر - أى ناشر - لا يمكن أن يذكر المبرر الحقيقى الذى يدعو لرفض أى كتاب . وهو أحد هذه الأسباب :

- الكتاب مخيف أو سخيف ، وهو إساءة للحضارة الإنسانية ويجب حرقه .
- معذرة . كل ما فيه معاد ومكرر .
- هنا ذكاء لا أفهمه ولذلك أذافع عن نفسى وأرده .
- عندما أعلن عن استعدادنا لقبول الكتاب الأول لأى مؤلف كنا نخالف الحقيقة .
- حياتى تجارب مرهقة . ولا أستطيع تجربة قراءة هذا الكتاب أو إعطائه العناية التى يستحقها .

أما السبب الأخير الواقعى فهو :

- لن نجد العدد الكافى من القراء . . لهذا الكتاب . . أى لن نجد مشترين .
ويضرب المؤلفون مثلاً على أن المال غاية الناشرين وحدها قائلين : إن أكبر ناشر غير حكومى فى العالم هو رينسارد موهين الذى جمع ثروة من مبادلة كل كتاب جديد بضعف حجمه من الكتب القديمة لأن هدفه كان الحصول على ورق يبيعه للتجار الذين يلفون به بضائعهم فى وقت زاد فيه ثمن الورق .

ومن هنا فإن المؤلفين كباراً وصغاراً يلقون عنتاً من الناشرين . . والأسئلة لا تنتهى .

جيمس جويس ، الروائى الأيرلندى ، رفض كتابه الأول ٢٢ مرة .

وكتاب « الأرض الطيبة » لمؤلفته بيرل باك رفض ١٢ مرة .

وفرانك أوكونور كاتب القصة القصيرة قبلت إحدى المجلات قصته الأولى ، فلما تغير رئيس التحرير فجأة ، رفض رئيس التحرير الجديد أن ينشر القصة .

ورفضت رواية « الحرب والسلام » لتولستوى ، و « ذهب مع الريح » لمارجريت ميتشيل فى البداية .

وزين جراى طبيب الأسنان الأمريكى رفضوا رواياته عن رعاة البقر التى نجحت بعد ذلك كتباً وأفلاماً .

وأبى ٦٢ ناشرًا طبع روايات أخرى عن رعاة البقر ألفها لويس لامور فلما نجح نشروا له ٨٠ كتاباً وزعت ١٠٠ مليون نسخة أنتجت في ٣٢ فيلماً سينمائياً .
وظلت روايات إدجار رايس باروز ترفض الواحدة بعد الأخرى حتى اقتنع ناشر بأن فكرة « طرزان » يمكن أن تباع للقراء وأصبحت أفلاماً !
وسرقت ، أو اقتبست الفكرة بعد التطور العلمى لتصبح « رجلاً بستة ملايين دولار » ، « وامرأة بستة ملايين دولار » .

ولا تختلف هذه الحلقات عن فكرة طرزان إلا أن طرزان يعيش حياة بدائية ويعتمد على قوته العضلية التى نشأت عن الرياضة والطعام الصحى ، أما البطلان الجديان فإن العلم الحديث أضاف إلى عضلاتهم قوة إلكترونية خارقة !
ولم يحصل مؤلف طرزان على ثمن لفكرته الأصلية بعد تعديلها . . إلكترونياً .
وجيمس ثيربر الكاتب الأمريكى الذى أصبح فى آخر حياته كفيفاً رفضت مجلة « نيويورك » أن تنشر قصته الأولى رغم أنه أعادها للمجلة عشرين مرة فرفضت فى جميع المرات .

وكانت فكرة القصة تدور حول رجل يدخل من باب دائرى فيظل يدور فيه إلى مالا نهاية ويصف ما يرى ويغوص فى أعماق أفكاره التى تدور حول موضوع واحد .
لقد أصبح البطل سجيناً لهذا الباب تماماً كما وصف أوسكار وايلد فى كتابه « من الأعماق » حاله فى السجن .

قال :

- الزمن يدور ولا يتقدم . والدوران حول مركز واحد هو الألم .
والغريب فى الأمر أن مجلة « نيويورك » احتكرت بعد ذلك نشر كل قصص وروايات ثيربر ولم ينشر إنتاجه فى أية صحيفة أو مجلة أخرى .
ورواية « ناس عاديون » للكاتبة الأمريكية جوديت جيست رفضت بطريقة عنيفة من أحد الناشرين فتلقفها ناشر آخر .
وحصلت الكاتبة من الطبعة الشعبية على ١,٥ مليون دولار كعربون . وأنتجت الرواية فيلماً .

ومثال آخر :

درس « جويس كارى » البريطانى الرسم فى أدنبرة وباريس وحصل على درجة جامعية من جامعة أكسفورد . واشترك مع الصليب الأحمر فى حرب البلقان .

وأرسل للعمل فى مناطق نائية فى إفريقيا وآسيا .

وكتب عن هذا كله . ولكن الناشرين رفضوه ولم يقبلوا كتاباً له إلا بعد أن أصيب بالشلل وروى آلامه فكأنه ألف كتابه الأول بدمه . . وحياته .

وعندما قبلت القصة العلمية لأول مرة من « راي براد بورى » بعد رفض طويل منحوه اشتراكاً مجانياً لمدة عام فى المجلة التى زاد توزيعها نتيجة رواياته .

ولم تكن هذه القصة العلمية الأولى التى تسعد الناشرين ، فإن أول من كتب الرواية العلمية فى العصر الحديث ، جول فيرن مؤلف « حول العالم فى ٨٠ يوماً » لقى نفس العذاب .

اعتمدت رواية فيرن على رهان للطواف حول العالم ٨٠ يوماً فخسر الرهان حتى تذكر فروق التوقيت ليجد أنه وصل فى الوقت المناسب قبل انتهاء الموعد المحدد .

ولكن رواية جول فيرون الأولى التى كتبها قبل ذلك رفضت حتى غير عنوانها وأصبح « خمسة أسابيع فى بالون » .

ولا يقتصر رفض الناشرين للروايات الأدبية بل إن ذلك يشمل كل الكتب بغير استثناء . إن كتاب « تاريخ الرياضيات الحديثة » لمؤلفه « جيمس نيومان » رفض فى البداية .

والناشرون كما يقول المؤلفون ، أو يدعون ، يبتكرون الأسباب التى تدعوهم لمنع نشر أى كتاب .

أول من نشر المجموعة الكاملة لكتب فولتير - أديب فرنسى كبير - خسر فى بورصة الأوراق المالية مليوناً من الفرنكات ومات بأزمة قلبية .

وخلال السبعين عاماً التالية أفلس ثمانية من ناشري كتب فولتير . وقتل أحدهم على يد سيدة قبض عليها وهى تسرق كتاباً من مطبعته ، كما أن اثنين من هؤلاء المفلسين اضطروا للعمل عمالاً فى مطابعهم بعد أن اشتراها آخرون .

وقال الجميع أن فولتير يصيب « بالنحس » أى ناشر .

و« النحس » سبب هام يشيعه الناشر من تشجيع بعض المؤلفين . . كما حدث أيضاً مع روبرت جريفز ، فقد مات الناشر الأول لروايته « الآلهة البيضاء » بأزمة قلبية بعد شهر من قراءته للرواية . وانتحر الناشر الثانى بحبل ربطه بشجرة . وتدخل شاعر آخرت . س . اليوت فقرر نشر الرواية مهما كانت التكاليف .

وكانت التكاليف جائزة نوبل !

ورفض أكبر الناشرين الفرنسيين « جاليهار » إحدى روايات « جان بول سارتر » بعد الحرب العالمية الثانية . وقد اعتبر سارتر هذه أكبر لطمة لكبريائه الأدبية فظل ٥ سنوات كاملة يكتب تلك الرواية ويعيدها .

ولكن « جاليهار » قال إنها لن تنجح .

والغريب فى الأمر أن سارتر نجح ولكن روايته التى نشرها « جاليهار » بعد ذلك لم تنجح !

إن الناشرين يرفضون ، من البداية ، نشر الكتاب الأول للمؤلفين الشبان .

رفض الناشر ثلاث روايات للكاتبة المعاصرة ماري ويبرلى . . ولكن هذه الزوجة ، التى ترعى زوجها ، وطفلين ، بلا خادمة وبلا عمل آخر ، أصرت على أن توالى كتابة ألفى كلمة كل يوم دون أن تجد ناشراً أو تطمئن إلى أن ناشراً سيوافق ، يوماً ما ، على نشر رواياتها !

وكان من الطبيعى أن تنجح أمام هذا الإصرار والعناد والعزم .

ومنذ عام ٧٢ ، أى منذ نشرت روايتها الأولى ، أصدرت ٤٤ رواية تبيع فى كل منها نحو ٢٠ ألفاً من الجنيهات - وترجم فى نفس الوقت إلى نحو ١٢ لغة .

وهى تكتب الرواية فى ٢٨ يوماً بلا توقف أى بمعدل ٥٦ ألف كلمة فى كل رواية . وتقوم بعد ذلك بعملية المراجعة التى لا تستغرق وقتاً طويلاً !

وقد اعتادت أن تولى فى السنة أربع روايات ، أغلبها عاطفى ، لأنها تعتقد أن ثلاثين فى المائة من القارئات يفضلن الروايات العاطفية الخيالية!

وثالث قارئاتها من الطبيبات والمحاميات اللائى يسعين إلى الهروب من عملهن الذى يحتاج إلى جهد عقلى . ولا يجدن سبيلاً إلى الاسترخاء إلا فى الروايات العاطفية . وليس صحيحاً أبداً أن قراءة الروايات الخيالية من أنصاف الأيمن والجهلة ، فإن هؤلاء قد لا يقرأون شيئاً على الإطلاق !

ولم تفكر مارى ويبرى فى كتابة تجربتها كزوجة وأم بل تسمع باهتمام كل ما يقوله زوجها وصديقاتها والجيران وأصدقاء الأسرة وترجم هذا كله إلى وقائع مثيرة جذابة .

ولكنها تلقت رسالة جعلتها تفكر طويلاً .

الرسالة من زوجة شابة تقول :

« تزوجت منذ ثلاث سنوات من شاب أحبه . وقد أحسست أخيراً بالملل ، فالزواج ليس شحنة عاطفية دائمة ومستمرة كما كنت أظن .

إن زوجى الذى كان يهمس فى أذنى بكلمات حب ، أصبح مثل كثير من الأزواج ، يعود إلى البيت فيأكل ثم يجلس أمام التلفزيون حتى يستغرق فى النوم . وغالباً أوقظه ليتوجه إلى السرير !

أعلم أنه يجبنى ولكن ماذا أفعل « أقرأ رواياتك لتسلىنى ولكنى أعرف أنى أستطيع الكتابة أيضاً فهل عندك نصيحة لى » .

فكرت مارى طويلاً فى هذه الرسالة . ووجدت أن نسبة كبيرة من قارئاتها ، المتزوجات حديثاً ، يعانين الفراغ بعد سنوات قليلة من الزواج .

إنهن لسن زوجات فاشلات تعسات ولكن الأيام تبدو أمامهن طويلة بلا عمل . هن فى حاجة إلى قراءة الروايات لقتل الوقت ولكن يمكن أن يصبحن كاتبات أيضاً .

ورأت مارى ويبرى أن الرسالة تستحق الرد . وكان الرد فى كتاب عنوانه « إلى الكتاب مع حبنى » .

فى هذا الكتاب قدمت الكاتبة خلاصة تجاربها ونصائحها لكل رجل ، ولكل امرأة ، تريد أن تكتب روايات عاطفية .

قالت :

« لا تكتب ، ولا تكتبى ، مقدمة طويلة فى فصل أو فصلين تصفين فيها زرقة الماء ، أو امتداد البحر إلى مالا نهاية وانسياب الزورق . وارتفاع القمر فى صدر السماء .

لا تتكلم في الفصل الأول عن هدوء الرياح أو عصفها ، والحديقة الغناء ، والزهور الفيحاء .

لا تحاول تقديم البيت الذي جرت فيه الأحداث وأين موقع الحجره وعلى أى شىء تطل .

لا تسهب عن مكان وزمان اللقاء ، بل من الفصل الأول ، قدم ، البطل ، وبالذات الرجل ، إذا كنت كاتبة ، أو البطلة إذا كنت رجلاً .
ليكن للبطل اسم قوى يشع بالرجولة ، وللمرأة اسم ينطق بالأنوثة .

إينك وأنت تكتب ، أو اضحك وأنت تكتب . ولكن لا تتوقف أبداً مهما رأيت الكتاب غير مسل أو بلا جاذبية . الأمر المهم أن تستمر حتى تصل إلى كلمة النهاية .
وقد تكون كلماتك محدودة ، أى رصيدك من الألفاظ محدوداً فأنت لم تدرس اللغة ولا تعرف مترادفات . وأنا مثلك . ولذلك أضع بجوارى القاموس - مختار الصحاح وغيره عندنا فى اللغة العربية - وعندما أجد أنى أكرر كلماتى أختار كلمة من القاموس الذى يوجد فيه ٦١ مترادفاً لكل كلمة !

ولكنى لا أتوقف لإتمام عملية الاختبار بل أترك فراغاً حتى لا أقطع تسلسل أفكارى ثم أعود إلى الكلمة أنتقيها لتناسب الجملة ثم أضعها فى مكانها .
وانتقاء البطل ، اسمه ، وشخصيته ، وعمله ، ودوره هو العامل الحاسم فى نجاح الرواية .

وتقول مارلى ويبرى : إن كل كاتب لم ينشر كتاباً يجب أن يتوقع رفض كتبه .
وإذا لم يتوقع ذلك فإنه سيصاب بخيبة أمل بالغة وسيحطم مع أول رفض ، أو أول صدمة . إذا استسلم انتهى ككاتب . إذا لم يستسلم فإن أمامه طريقين :
الأول أن يرسل الرواية إلى ناشر آخر فقد تلقى قبولاً .

الثانى أن يضع هذه الرواية فى مكان بعيد لا يراه ويبدأ رواية أخرى ثانية وثالثة كما فعلت .

وإذا نجح يجب عليه العودة إلى الرواية الأولى بعيون جديدة وفكر جديد ، وسيكتشف ما فيها من أخطاء وعيوب . وسيلمس عنصر عدم التشويق ونقص الإثارة .
وفى هذه الحالة يعيد كتابة الرواية لتصبح أجمل وأروع وربما تلقى قبولاً .

ولا تقل لنفسك أبداً :

- ليس عندي وقت . أمامي عملي في المكتب أو المصنع أو البيت .
كل إنسان عنده ساعات فراغ طويلة . أو يمكن أن يفسح للكتابة ساعات من الليل
أو النهار يقتطعها من طعامه ، ومن مشاهدة التلفزيون أو الأحاديث التافهة ليكتب .
وكل تجربة ، بشيء من الخيال ، يمكن أن تصبح رواية .
والكتاب حافل بالنصائح أحدثها قصة الكاتبة نفسها التي لم تياس ، والتي تكتب
كل يوم ألفى كلمة مهما كانت لديها من مشاكل نفسية أو أزمات مع الزوج والطفلين
والناشرين .

وقد احتاج أرنست همنجواى إلى من يقدمه إلى ناشر فرنسى ليوافق على طبع كتابه
الأول واسمه « فى عصرنا » .
ولكن همنجواى كان ناكراً للجميل . أو أصيب بعقدة نفسية لأنه اعتمد على كاتب
آخر فهاجمه وانتقده .

ولم يكن همنجواى أول من انتقد الناشر الذى ساعده ودفعه إلى أبواب الشهرة فإن
عدداً من المؤلفين فعلوا ذلك .

مارك توين الكاتب الساخر قال :
« خذ إنساناً غيبياً من مستشفى للأمراض العقلية واجعله يتزوج من فتاة غيبية .
وانتظر الجيل الرابع من هذا الزواج الغريب لأنه سيكون ناشراً أمريكياً ناجحاً !
وقتل مؤلف أمريكى فى أواخر القرن الثامن عشر ناشراً أمريكياً .

وبينما كان يصعد درجات المشنقة التفت إلى مجموعة من الناشرين أسعدهم منظر
مؤلف يشنق وقال لهم مهدداً متوعداً :

- سألقاكم !

وأمر نابليون أثناء احتلاله ألمانيا بشنق الناشر « جوهان بالم » لأنه طبع كتباً ضد
الاحتلال الفرنسى وضد نابليون مما أسعد المؤلفين من عدة دول .

قال أحدهم وهو الشاعر الإنجليزى توماس كامبل :

- نحن الإنجليز نكره نابليون لأنه يهاجمنا ومحاربنا ويريد أن تصبح فرنسا دولة كبرى بدلاً من بريطانيا العظمى، ولكن ، أيها السادة ، لا تنسوا أن نابليون العظيم شق ناشراً !

وكاد أحد الناشرين البريطانيين يقتل شهرة كارل ماركس .

بعث إليه يقول :

- سيدى الدكتور :

لقد وعدت بموافاتنا بكتاب « رأس المال » ولكنك تخلفت عن الموعد المحدد ١٨ شهراً فإذا لم تسلمنا الكتاب خلال ستة شهور سنعهده بهذه المهمة إلى كاتب آخر .

ولكن الناشر صبر وانتظر أكثر من ستة شهور .

وقال كثيرون بعد ذلك :

- ليت الناشر لم يصبر ويتتظر !

إن صغار الناشرين من أصحاب المطابع هم الذين قدموا للشهرة مئات من كتاب العرب الكبار مثل العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم .

وقد أصبح النشر الآن صناعة ضخمة تحتاج إلى ملايين الجنيهات وخبرات في فن التسويق .

وسيظل الصراع بين المؤلف والناشر إلى الأبد . فكل كاتب يرى في الناشر « عنق الزجاجة » الذى لا يسمح له بالخروج إلى العالم لأنه - أى الناشر - يحب المال ويسعى إليه .

أما الناشر فيرى أنه لا يستطيع أن ينشر كل ما يصله وإلا أفلس . ومن مصلحة الكتاب والروائيين والشعراء أن يستمر في عمله ليتتشر إنتاجهم أديباً وشعراً .

والناشر يرى أنه يتم عمل الكاتب ولا ينافسه أديباً .

والمشكلة أن الناشرين لا يهتمون إلا بكتابة المشاهير . . ينشرونها ويعيدون طبعها .

أما المؤلفون الشبان فإنهم فى حاجة إلى فرصة . . أو فرص .

بعض الكتاب الشبان يظن أنه لا يمكن أن يتعلم لغة أجنبية في وقت قصير ليطلع على الآداب العالمية بلغتها الأصلية أو لأن بعض الكتب لم تترجم إلى لغة بلاده .
وبعض الكتاب الشبان يظن أنه لا يمكن أن يتعلم لغة أجنبية ليكتب بها .
الكاتب السوفييتي فلاديمير نابوكوف ولد في روسيا من أسرة أرستقراطية هاجرت منها بعد الثورة البلشفية بعامين ، وكان في العشرين من عمره .
درس في جامعة كامبردج البريطانية ثم عاش في باريس يؤلف بالروسية .
وهاجر إلى الولايات المتحدة ليقوم بتدريس الأدب في الجامعات الأمريكية .
وهنا حدث التحول الكبير في حياته .
إننا عرفنا علم وفن زراعة الأعضاء في أجساد المرضى ، كزراعة القلب والشرابين والكلى . . . إلخ .

ونابوكوف بدأ في تلك الفترة ، أي أثناء عمله مدرسا في أمريكا ، في زراعة اللغة الإنجليزية في عقله وقلمه . وهي عملية مؤلفة معدبة مر بها قبله كاتبان شهيران هما صمويل بيكيت الذي تحول من اللغة الفرنسية إلى الكتابة بالغة الإنجليزية، وجوزيف كونراد الذي تحول من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية !
واختار نابوكوف ثقافة أخرى ، ولغة أخرى كوسيلة اتصال ، واستبدل الإنجليزية بلغته الأصلية الروسية .

وعندما اشتهر ككاتب باللغة الإنجليزية ترجمت أعماله الروسية إلى تلك اللغات !

وبعض الكتاب الشبان يظن أن تأليف أى كتاب بلغتهم يحتاج إلى سنين . وهم - في ذلك - يتخيلون ما يفعله كبار الكتاب في أزمنة قديمة .

كان الكاتب لا ينتقل من مدينته أو قريته ولا يطالع عدداً محدوداً من الكتب ، الآن أصبح العالم ، كما يقولون : قرية واحدة لسهولة الاتصال والانتقال . . الأفكار تجيء من كل مكان ، فإذا تفاعل معها الكاتب استطاع أن يؤلف كتابه الأول في أيام قليلة .

في معرض فانكوفر في كندا ، يوجد ممر أو قسم ، يجلس فيه الكتاب . وهذا الممر يقدمه المعرض لكل الكتاب الناشئين في أى بلد في العالم .

ويهدى المعرض للكتاب الأوراق ، والأقلام ، والآلات الكاتبة ، مجاناً تشجيعاً لهم حتى يؤلفوا روايتهم الأولى !

ولا يجلس الكتاب وراء حواجز زجاجية تفصلهم عن المشاهدين والزوار .
ولا يدفع الزائر ثمناً لرؤية الكتاب وهم يعترضون عقولهم من أجل فكرة ، جملة ، أو لفظ واحد .

ولا يمنع المشاهدون أيضاً من الوقوف أمام الكتاب والحديث إليهم وقطع حبال الأفكار ، كما يقولون ، ومنعهم من الاستمرار .

يجلس الكتاب في منطقة صغيرة محدودة داخل المعرض وعليهم حماية أنفسهم من المتطفلين ، وقد وضعوا لافتة ضخمة تقول :

- لا تزعجوا المؤلفين .

وإذا كانت هذه اللافتة تستهدف الدفاع عن الكتاب جميعاً ، فإن كل كاتب له طريقته الخاصة في توفير الأمان لنفسه من المقاطعة والتدخل والفضول . .

أحدهم ترك أمامه لوحة صغيرة تقول :

- مازلت عاقلاً !

وآخر وضع في أذنيه « سدادات » تمنع وصول أصوات رواد المعرض وأدواته وألعابه ومعروضاته .

وثالث يجيء إليه كل فترة مدلك يحاول « ترويض » كتفيه وذراعيه ويديه ليستأنف الكتابة على الآلة الكاتبة .

ورابع يصرخ في الناس بين الحين والحين :

- لا شأن لكم بى . دعونى أكتب .

وخامس يدور سارحاً حول نفسه ، أو حول الآلة الكاتبة ، ثم يهتف مقلداً
أرشميدس العالم اليونانى قائلاً :

- وجدتها . . وجدتها .

يقصد بذلك فكرة الرواية !

والمعرض الدولى وجد أن هؤلاء الكتاب يمكن اعتبارهم نوعاً من الترفيه عن الزوار في الوقت الذى يقدم إليهم العون .

ومن ناحية أخرى فإن الكاتب لا يمضى في المعرض فترة طويلة بل إن المسافة الزمنية المحددة لكل منهم لا تتجاوز ثلاثة أيام ، أى ٧٢ ساعة ، على الكاتب أن يؤلف خلالها روايته وإلا خرج من المسابقة مهزوماً من حيث الشكل لأنه خالف الشرط الأول وهو أن يتم تأليف الرواية في ثلاثة أيام قد تنقص ولكن من المستحيل أن تزيد !
وقد تصادف بدء الاشتراك في المسابقة مع فتح أبواب المعرض . ومن هنا رؤى السماح للكاتب باستخدام التسهيلات المجانية التى يقدمها المعرض لكل كاتب خلال أيام ثلاثة .

* * *

- وفكرة المسابقة نشأت أثناء حديث عابر ، على فنجان قهوة بين ناشر صغير وبائع للكتب القديمة .

كانا يجلسان معاً يتكلمان عن سوق الأدب وما فيه فقال أحدهما للآخر وهو يشير إلى نسخ كثيرة من « مدام بوفارى » :

- هل يعرف القراء أن الكاتب الفرنسى فولتير أمضى خمس سنوات فى تأليف هذه الرواية !

قال صاحبه .

- ولكن فولتير ألف أيضاً رواية « كانديد » فى ثلاثة أيام عندما كان فى الخامسة والستين من عمره .

أخذ الناشر يردد بلا وعى « ثلاثة أيام » . . . « ثلاثة أيام » . . هذا صعب ولكنه ليس مستحيلاً . ترى هل يستطيع أحدنا أن يكون فولتير الثانى ونؤلف رواية فى هذه الفترة القصيرة ؟

ويتفق الرجلان على محاولة التجربة ، وينقطعان لهذه التجربة المهمة .

وعندما التقيا بعد انتهاء المدة المحددة اعترفا بالفشل . ولكن الناشر الصغير رأى أن يستمر فى البحث عن فولتير الثانى فأعلن عن مسابقة تأليف رواية خلال ثلاثة أيام . وأكد أنه سينشرها مهما كان عمل المؤلف : « نجار ، حداد ، موظف ، ساع ، كاتب ، صحفى ، محام ، أو صاحب أى مهنة أو حرفة أخرى » .

وقال أن الشرط الوحيد يتركز فى كتابة الرواية خلال تلك الأيام المحددة ، أما التحكيم فتركه للجنة من الأدباء والفنانين وممثل للناشر نفسه .

وقال إن الكاتب سيحصل على الأجر أو العمولة أو الحصة أو النسبة المقررة للكاتب الكبار .

وبقيت المشكلة الأساسية، وهي ضمان أن يكون الكتاب قد أُلّف خلال ثلاثة أيام فقط .

أعلن الناشر أن المؤلف ينبغي أن يبدأ عند منتصف الليل مساء الجمعة وينتهي من التأليف بعد منتصف الليل مساء الاثنين حتى لا يتعطل إلا يوماً واحداً عن عمله الأساسي الذي يتكسب منه .

ولكن ما الذي يمكن أن يقدمه الكاتب دليلاً على ذلك ؟

قال الناشر :

- يقسم الكاتب على أنه صادق فيما يقول ، أى فى مدة التأليف ، ويوقع بإمضائه على ورقة يذكر فيها هذا القسم .

وقد يكذب الكاتب ، ولكن الناشر لا يستطيع الحصول على دليل آخر . ولا يمكنه أن يسجن المؤلفين فى مكان واحد لأنه لا يستطيع أن يتحمل نفقات سفرهم وإقامتهم فى كندا . ولا يمكنه إرغام الكاتب الناشئين على السفر إليه ، فإمكانياتهم المالية لا تسمح لهم بذلك . وحدد الناشر أسماء المكتبات فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية التى يتقدم إليها الكتاب بمؤلفاتهم .

حدث أن تقدم متسابق برواية طويلة فى خمسمائة صفحة فقالت لجنة التحكيم فى المسابقة أنه من الصعب جداً أن يؤلف كاتب هذه الصفحات الطويلة فى ثلاثة أيام . ولكن بعد قراءة الرواية أجمع المحكمون على أن الكاتب يمكن أن يكون صادقاً لأن الرواية تافهة يستطيع أى كاتب على الآلة الكاتبة أن يؤلفها فى أيام أقل !

بدأت المسابقة منذ تسع سنوات ، ونشرت فى كندا عدة روايات لمؤلفين يظنون أن فى استطاعة أحدهم أن يكون « فولتير الجديد » .

ونجح البعض وفشل آخرون ، ولكن ظروف الاشتراك فى المسابقة وفرت لها وللكتاب دعابة ضخمة مثيرة .

قالت زوجة إنها كانت تكتب أربع ساعات ثم تصرخ فى زوجها ساعة كاملة أو أكثر لأنه لا يساعدها كما ينبغي أن يعاون الزوج امرأته العبقريّة !

وقالت زوجة أخرى أنها سجلت على شريط كلمات ترد بها على صديقاتها اللاتي يرغبن في الحديث معها .

- معذرة ، الإلهام لا يجيء والنوم مفيد يجدد خلايا العقل .

وقال كاتب شاب : إنه أبعد زميله الذي يقيم معه حتى يتفرغ للتأليف دون مقاطعة من أحد .

وقال آخر : أنه لجأ إلى فندق رخيص ليؤلف الرواية ، بعيداً عن الأسرة والأصدقاء . ولكن شاباً قال : أنه جلس في حديقة صغيرة ، بين النبات والقاذورات ، والغربان والحمام بينما الطفيليون حوله يضحكون عندما يروونه . . . مؤلفاً !

* * *

وجرت العادة أن تكون صفحات الرواية بين مائة وعشرين ومائة وخمسين صفحة . ويحرص المؤلفون الشبان على أن يكون الموضوع غير مطروق ، لم يتناوله أحد ، أو يتفق مع الوقائع والأوضاع السياسية الجارية . وقائع إحدى الروايات تبدأ بعد خمسة آلاف عام من حرب النجوم التي تدمر العالم .

ورواية أخرى عن اثنين من مندوبي التليفزيون يتورطون - رغماً عنهم - في عملية تجسس مع المخابرات الأمريكية ومكتب المباحث الفيدرالي الأمريكي . وكتبت الرواية قبل سنوات من القبض على الصحفي الأمريكي في موسكو وكأن المؤلف الشاب يتنبأ !

وفي كل عام يتقدم للمسابقة أكثر من ألف ناشئ - بعضهم في العشرين أو تجاوزها بقليل ، وبعضهم تجاوز السبعين . والجميع يجدون أن هذه فرصتهم لنشر مؤلفاتهم . والغريب في الأمر أن أغلب الكتاب يؤكدون أنهم كتبوا الروايات في أيام ثلاثة لأن التحدي يدفعهم لذلك .

وقالوا أنهم في تلك الأيام يكتبون أكثر مما كانوا يفعلون في سنة أو في خمس سنوات . وبعد نجاح تجربة معرض فانكوفر رأت شركة للورق اسمها « بال بريس في فانكوفر » أن تنظم مسابقة مماثلة اسمها « اكتب رواية في ثلاثة أيام » بالاشتراك مع ٢٦ مدينة في كندا مع ٤ مدن أمريكية هي سياتل ونيويورك وشيكاغو وبافالو .

ويدعى المشتركون للإقامة - مقابل مبلغ زهيد - ثلاثة أيام ابتداء من منتصف الليل مساء الجمعة حتى منتصف الليل يوم الاثنين .

ومطلوب من الكتاب - وكلهم من الشباب وإن كان الباب مفتوحاً للجميع - أن يكتبوا رواية كاملة خلال ثلاثة أيام على الآلة الكاتبة . . وأغلب المشتركين يكتبون على هذه الآلة .

اشترك في المسابقة ٥٠٠ من الكتاب وهو الرقم المعتاد للمتقدمين .
يومها فاز مدرس كندى اسمه جيف دوران - عمره ٣٨ سنة - بالجائزة الأولى عن روايته « ضيف هذا الصيف » .

قال لي أنه ظل عشرين عاماً يحاول أن يتعلم كيف يكتب الرواية .
وقال إن الرواية عاشت في فكره وفي خياله هذه المدة الطويلة . ولم يكتب حرفاً منها قبل ذلك ولكنه استطاع أن يؤلف الرواية خلال الأيام الثلاثة بطعام قليل ، ونوم أقل ، وانتهى من روايته قبل الموعد المحدد بتسعين دقيقة .

والرواية من ١٢ فصلاً كتب كل فصل في ساعتين . بدأها بالفصل الثاني ولما أتم الرواية كتب الفصل الأول !

ولم يكن لديه وقت يضيعه في شطب كلمة أو إعادة كتابة جملة واحدة !
وكان يعرف من البداية أن عنوان المسابقة رواية في ثلاثة أيام وليست رواية في أربعة أو خمسة أيام .

وقرأت بعد ذلك أن عاملاً في مصلحة البريد في مدينة كالجارى الكندية فاز في العام الماضي بنفس الجائزة عن روايته « شىء طبيعى جداً » والبطل فيها طفل في الثانية عشرة من عمره .

ودانت الشهرة لجيف دوران بعد نجاح روايته الأولى ، فإن كتابة رواية في ٧٢ ساعة يعتبر أقوى وأفضل دعاية لشباب الكتاب !!

قابلت في نيويورك الكاتب الأمريكى اسيموف الذى لم يصل إلى الرقم القياسى الذى حققه كريس ولكنه استطاع أن يؤلف - حتى الآن - ٣٠٠ كتاب .

اسيموف يبدأ الكتابة في السابعة والنصف صباحاً . وتستطيع أن تضبط ساعتك على مواعيده فهو لا يغيرها إلا في مناسبات قليلة محددة أو عندما يعطى نفسه إجازة .

وينهى عمله في العاشرة مساء كل يوم .

وقد تعاقد مع ٢٤ ناشراً يصدرون كتبه .

ولا تظن أن كتبه روايات خيالية بل إنه يسمع أصولها وأسسها وجذورها من الناس ،
والإذاعة والتلفزيون ثم يغير ويبدل الوقائع والأسماء . إن أسيموف يؤلف في كل
الموضوعات .

كتب روايات علمية ، وقصصاً بوليسية . وألف في التاريخ والأدب ، وأصدر دليلاً
عن مسرحيات شكسبير .

ومن أعماله أيضاً قصص الأطفال ودوائر المعارف وحكايات ونوادير وكتب مدرسية
وعملية ، ولكبار السن أيضاً .

ألف أسيموف المائة كتاب الأولى في ٢٠ عاماً .

وألف المائة كتاب الثانية في تسع سنوات ونصف السنة .

وألف المائة كتاب الثالثة في ست سنوات .

قال لى :

- أصبحت الكتابة أكثر تسلية لى كلما تقدمت فى العمر . وكلما كتبت أكثر كانت
الكتابة أسهل .

وقال :

- رغم أنى ألفت كتباً علمية فيها الكثير عن اكتشاف الطيران ومزاياه فإنى لأحب
الطيران بل أكرهه وأرفض أن أستقل طائرة فإنى أخاف السقوط من ارتفاع عال .

قلت له :

- ولكنك تقيم فى الدور رقم ٣٣ ؟

- اعتدت ذلك .

واسيموف فى الخامسة والستين من عمره ، زوجته سيدة عادية لا تمنعه من الكتابة
ولا تحاول جذب انتباهه إلى مسئوليات اجتماعية ينفر منها .

ومعظم كتبه طلبها الناشر . . أى رغبوا إليه فى أن يؤلف كتاباً بالذات فى موضوع
معين فىقوم بجمع المواد اللازمة للكتاب العلمى أو الأدبى أو التاريخى ثم يبدأ بعد ذلك
فى التأليف .

ومهمته صعبة للغاية مع تنوع الموضوعات التى يكتب فيها . ومع ذلك فإنه يصدر
كتاباً كل شهر .

وأسلوبه في الكتابة بسيط للغاية . لا يعتمد الأسلوب الأدبي ولا يختار الكلمات الرنانة الغريبة أو المدوية . ولا يقدم الألفاظ الجزلة التي قد لا يفهمها القارئ .

انه يكتب بوضوح ولذلك يرضى عنه القارئ ويشتريه .

قلت له :

- في سنك هذا هل تتوقع الاستمرار ؟

قال :

- لا تظن أن سؤالك استفزازي . . أبداً . في أوقات فراغي القليلة أقول لنفسي :

- لقد نضبت أو في طريقي للجذب ولا بد أن الناشرين مجتمعون الآن ليقولوا لي . . يا أسيموف : لن تجد موضوعاً تكتب فيه . وإذا وجدت الموضوع فلن تقدم فيه جديداً : وقلت كل ما عندك في ٣٠٠ كتاب .

قلت :

- وماذا كانت نتيجة الاجتماع ؟

قال :

- لا يستطيع ٢٤ ناشراً أن يتفرغوا ليقولوا قرارهم . لا بد أن يجيء أحدهم ليضع الجرس في رقبة القط . وحتى يتحقق ذلك سأظل أكتب .

إن كثيرين يعترضون على فكرة الكتابة السريعة قائلين :

- المواهب الأدبية في حاجة إلى صقل ، والأفكار تحتاج إلى عقل هادئ أما المسابقات المجنونة فلا تفيد !

- وأنت لا تعرف قدراتك الحقيقية ، وأنتك تستطيع تأليف رواية في ثلاثة أيام إلا بعد أن تخط بقلمك ، أو بالآلة الكاتبة ، كلمة « النهاية » .

في هذه الحالة فقط ستعرف أنك « فعلتها » . فابدأ كتابك الأول ولا تفكر في كتابك الأخير !

مفتاح . . الرواية

« انظر حولك » .

هذا شعار حديث ارتفع في مصر أخيراً للدعاية لتنظيم الأسرة . . الهدف منه أن ينظر كل فرد حوله فإذا رأى أفراد الأسرة زاد عددهم ، وقلت المساحة المخصصة لكل منهم في البيت ، وانخفض مستوى المعيشة ، حرص الجميع على ضبط النسل . وهو في الوقت نفسه شعار أدبي يقول للكاتب الناشئ :

- إذا أردت اختيار موضوع لروايتك فلا تبحث بعيداً ، ولا تنقب بعمق ، يكفي أن تنظر حولك لتجد عشرات الموضوعات التي تصلح قصصاً وروايات لأن الحقيقة أعجب من كل خيال . . وكل رواي يستمد أفكاره من حقائق الحياة والناس حوله .

وفي مذكرات أحد مشاهير الصحفيين قال إنه لوركب الأتوبيس من محطة البداية حتى النهاية يجد موضوعات صحفية كثيرة من الذين يستقلون الأتوبيس ، أو يغادرونه ، ومن الطرق والمحال التي تمر بها السيارة .

ورواية « الفندق الكبير » من هذا النوع . . إن كل من يبيت بالفندق ، أو يمر به زائراً يصلح بطلاً لرواية ونجماً لفيلم . ومعظم الشخصيات التي ابتكرها الكتاب الكبار لها أصل ، أو ظل ، من الواقع .

رواية « أليس في بلاد العجائب » التي ألفها لويس كارول ، وهو اسم مستعار ، كتبها مؤلفها لإسعاد ابنة صديق .

. . خرج الكاتب مع الطفلة أليس وشقيقاتها إلى البحيرة في قارب يستمتعون بالتجديف .

سعدت الصغيرة بكل ما رآته ، وبدا من ملاحظها ، وفي ضحكاتها ، ودهشتها ما جعل الكاتب يظن أن أليس أصبحت في بلاد العجائب . ومن هنا جاءت الفكرة التي

ترمز لكل الناس عندما ينتقلون إلى مواقع جديدة ، وبلادغربية ، وتحيط بهم مشاهد لم يروها من قبل .

فالكاتب دائماً مسافر يرى الواقع ولكن لمساته الفنية تأتي من خياله الدائم .
كتب لويس كارول روايته عام ١٨٦٥ . . ونشرها في نفس العام فهو المؤلف والناشر معاً .

وبعد ١٧ سنة ظل قلقاً خائفاً من كساد روايته فكتب في مذكراته قائمة بحساب الأرباح والخسائر .

قال إنه لو باع كل نسخ الطبعة الأولى ، وعددها ٢٠٠٠ نسخة ، سيخسر مائتي جنيه .

وإذا أصدر طبعة جديدة وباع ألفى نسخة أخرى يعوض الخسارة ويربح مائتي جنيه .

وقال إنه إذا باع أكثر . . ربح أكثر ولكن ليس لديه أمل في ذلك .
وقبل وفاته بأيام - عام ١٨٩٨ - كانت المبيعات قد بلغت ١٨٠ ألف نسخة وترجمت الرواية إلى لغات عديدة بينها اللغة اللاتينية!

ورواية « الفرسان الثلاثة » التي ألفها كاتب فرنسا الشهير ألكسندر دوماس الأب أخذت عن قائد كتيبة اسمه الحقيقي دارتنيان مثل بطل الفرسان الثلاثة .
ولكن دارتنيان الحقيقي لم يكن يحمل لقب كونت . واشتهر لأنه قبض على وزير المالية الشهير نيقولا فوكيه عام ١٦٦١ وحمل لقب جنرال بعد ذلك بتسع سنوات .
ولكن القراء لم يخلوا بالتاريخ الحقيقي وظلوا يعتقدون أن مغامرات دارتنيان - التي كتبها دوماس - حقيقية .

ومسرحية شكسبير « روميو وجوليت » تعبر عن بطلين حقيقيين عاشا في فيرونا بإيطاليا .

وقد نشرت القصة من وجهات نظر مختلفة قبل شكسبير الذي أخذ الفكرة ، وصاغها بطريقته ، ليعبر عن الشباب اليائس عندما يجب .

ولم تشتهر سوى مسرحية شكسبير واختفت باقى الروايات والمسرحيات إلا من أذهان
النقاد وأقلام المؤرخين!

ورواية غادة الكاميليا التى كتبها الروائى الفرنسى ألكسندر دوماس الابن عن
الحسناء التى تضع زهرة الكاميليا البيضاء طوال الشهر عدا الأيام الخمس الأخيرة
فتتزين خلالها بزهرة الكاميليا البيضاء ليعرفها الناس بلونها .

إن الرواية تعكس قصة سيدة حقيقية ماتت فى الثالثة والعشرين والمرضى يلتهم
رثيها .

وشرلوك هولمز المخبر الذى قدمه الطبيب البريطانى آرثر كونان دويل له أساس من
الواقع .

الاسم لأستاذ تشريح فى جامعة هارفارد اسمه الكامل أوليفر وندل هولمز، والأفكار
الجراح اسمه الدكتور جوزيف بل كان أستاذاً لأرثر كونان دويل وهو يدرس الطب .

وهذا الجراح كان يستطيع أن يتعرف على حياة أى رجل غريب وعاداته عندما يدخل
عيادته ويقوم بتشخيص مرضه .

من ملابسه وحديثه ودائه كان الجراح « بل » يقدم الرجل إلى «دويل» الذى اختار
لنفسه شخصية واطسون مساعد شرلوك هولمز أو بعبارة أصح مساعد « بل » .

وقصة دانييل ريفو « روبنسون كروزو » هى فى أصلها قصة بحار رفض أن يستمر
فى العمل على ظهر سفينة لسوء الأحوال فيها فطلب إنزاله إلى جزيرة نائية فى أمريكا
الجنوبية . وعاش فيها وحده أربع سنوات حتى أنقذته سفينة أعادته إلى إنجلترا .

وكان دانييل ريفو صحفياً سمع بالقصة وربما التقى بالبحار وسمع منه وأضاف
إليه ، على أنه قصة حقيقية .

ولم يعد البحار إلى الجزيرة أبداً ، بل أصابته الوحدة بنوع من الجنون فعاش فى كهف
قرب بيته يعلم القلط الضالة رقصات غريبة!

ولكن ريفو أعاد روبنسون إلى الجزيرة فى روايتين ، فإن خياله أمده بمبررات العودة
فى حين منع الجنون البحار الأصيل من الاقتراب من الجزيرة التى حطمت عزلتها ، فكره
وأعصابه!

وقصة فأر والت ديزنى معروفة ومعادة .
بطل أفلام « الكارتون » ابتكره والت ديزنى فى رحلة بالقطار بين نيويورك وهوليوود
عام ١٩٢٨ .

والفأر الحقيقى وقع فى مصيدة المؤلف فى أحد الاستديوهات وأراد إطلاق اسم
مورتيمر عليه ولكن زوجة ديزنى اختارت له اسم « ميكى ماوس »!
وفى كل دولة كان لهذا الفأر اسم يختلف فى اليابان عن فرنسا ، وفى أسبانيا يختلف
اسمه عن إيطاليا . . . إلخ .

وقصة الكاتب البريطانى روبرت لويس ستيفنسون « دكتور جيكل ومستر هايد »
التي نشرت عام ١٨٨٦ بطلها طبيب يكتشف عقاراً يعطيه ملامح وخصال الشياطين
فيقتل ولا يبالي .

الفكرة أخذت عن رجل عاش فى أدنبرة يحترمه الناس نهائياً كرجل أعمال وقور . .
ولكنه يقود عصابة من اللصوص ليلاً .
وانتهت القصة الحقيقية بإعدام انبطل قبل تسعين عاماً من كتاب ستيفنسون
لروايته .

هذه القصة كتبها ستيفنسون فى ثلاث ليال بعد أن أغلق على نفسه باب مكتبه .
وإذا كان روبرت لويس ستيفنسون قد كتب روايته فى ثلاثة أيام فإن كاتباً اسمه لوب
دى فيجا كان يكتب الرواية أو المسرحية فى ليلة واحدة .

وقد كتب ٢٢٠٠ مسرحية .
والسير والتر سكوت البريطانى كان يكتب رواية فى الأسبوع .
وكاتب الرواية البوليسية الأمريكى إيرل ستانلى جاردنر الذى مات منذ ١٧ سنة ألف
١٤٠ رواية . وكان يكتب ويملى على سكرتيرته ، وعلى آلة التسجيل ١٠ آلاف كلمة
فى الساعة .

وكان يكتب ٧ روايات بوليسية فى وقت واحد معظمها بطل واحد وهو رجل الشرطة
وفيهما عشرات المجرمين ومئات الجرائم !

وشارلز هاملتون ألف ١٠٠ مليون كلمة في روايات للأطفال .
وكاتبة في جنوب إفريقيا اسمها كاتلين لندساي ألفت ٩٠٤ روايات .
وباربارا كارتلاندا البريطانية نشرت ٣٤٤ رواية .
ومنذ ١٢ سنة ، ألفت السيدة أليس بولوك روايتها الأولى وعمرها ١٠٢ سنة !

وليس شرطاً أن يكون الكاتب جامعياً .
إن مكسيم جوركى الروسى ومارك توين الأمريكى وألبرتو مورافيا الإيطالى لم يتموا
دراساتهم الإعدادية .
وجاك لندن ، ووليم سارويان ، الأمريكيان لم يتما دراستهما الثانوية .
والكاتب الفرنسى إميل زولا نال صفراً فى الأدب الفرنسى أثناء تعليمه فى المدرسة .
ولذلك فإن الكاتب الناشئ لا يجب أن ينتظر إتمام تعليمه أو نيل الشهادة الجامعية
وإن كان سباق هذه الأيام يحتم ذلك ، أو يجعل من الأفضل ذلك .
والكتابة موهبة وعبقرية أو شطارة ولكنها - أيضاً حظ !
إن توماس ويرجمان الكاتب اهتم بالمظهر وجعل كل صفحة من كتبه بلون مختلف
ولم توزع كتبه سوى ٦ نسخ مع أنه أنفق على عمليات الطبع ٢٠٠ ألف دولار .
وأخذ الكاتب البوليسى إدجار آلان بو عشرة جنيهاً فقط عن روايته الشهيرة
« الحداة » .

وفاز أرنست همنجواى بربع مليون دولار عن قصته القصيرة « ثلوج كلمنجاو » التى
كتبها عام ١٩٣٦ .

وربح ١٥ ألف دولار عن مقال من ٢٠٠٠ كلمة يصف فيها مصارعة الثيران .
ومنح المخرج زانوك ١٥ ألف دولار للكاتب جيمس جونز لتغيير سطر فى حوار الفيلم
« أطول يوم فى التاريخ » أى بمعدل ٢٥٠٠ دولار للكلمة الواحدة .

وتوفى الكاتب المسرحى الرومانى سنيكا مصاباً بمرض سوء التغذية لأنه خاف من
التسمم فلم يأكل إلا التفاح البرى ولم يشرب إلا الماء وترك ثروة تقدر بـ ٣٠ مليون
دولار !

واستطاع كاتب أن يضحك على القراء في أمريكا عندما باع ما اعتبره أفضل الكتب بـ ٣ دولارات، والكتاب يضم أوراقاً بيضاء في آخر صفحة منه كلمات تقول «أنت تستطيع أن تملأ هذا الكتاب بكلمات أفضل» .

وبيعت أسطوانة في أمريكا بلا غناء ، ولا شعر ، ولا حديث لأنها تعطي المستمع خمس دقائق من الصمت بلا صوت !

وترك طبيب هولندي أشهر وأفضل كتب الطب محتوماً بخاتمه فاشتره مريض في المزداد بعشرين ألف دولار فلما فتحه وجد فيه هذه الكلمات :

« احتفظ برأسك بارداً .

واحتفظ بقدميك دافئتين .

وستجعل أفضل الأطباء فقيراً لأنك ستعالج نفسك بنفسك !»

سئل ستة من كبار الكتاب :

- ما المشكلة التي واجهتكم وأنتم تكتبون لأول مرة ؟

لم تختلف الإجابات كثيراً وكلها دارت حول نقطة واحدة وهي :

- البداية دائماً صعبة .

قيل لهم :

- وكيف تغلبتم عليها ؟

قالوا :

- على الكاتب أن يكتشف نفسه ويحدد طريقه ويختار اللون الذي يتقنه .

قيل لهم مرة ثالثة :

- وكيف ؟

قالوا ؛

- كل إنسان يكتب عن بيئته ، يعجب بها ، يؤيدها ، يسخر منها ، وينتقدها ،

يقدم الحكمة التي يلمسها أو الرعب الذي يخيفه منها . الكاتب يجب أن يبيع للناس -

من خلال كتبه - تجاربه الشخصية .

فيل لهم :

- هذا بالنسبة للإنسان الذى يريد كتابة تاريخ حياته ، أو قصته نفسها .

قالوا :

- كل الروائيين يصفون أنفسهم من خلال الأبطال . ويضعون أنفسهم مكان الشخصيات .

قيل لهم :

- إذن فالكاتب يكرر نفسه !

قالوا :

- أبداً . الكاتب يلتقى بألوف الناس فى حياته كل يوم ، ويقرأ عن كثيرين . ويتخيل نفسه مكانهم

وهو - الكاتب - كالطبيب النفسى يتوهم أنه يسأل البطل عشرات ومئات الأسئلة ، ومن خلال الإجابات التى يضعها يقدم أحاسيس البطل نحو الحدث ، فيغضب له أو يسعد به . ومن هنا تجيء الرواية .

ومنذ مائة سنة وجهوا السؤال نفسه للكاتب الروسى « تشيكوف » فقال لمن يريد أن يكتب :

- هذا عمل متصل لا ينقطع ولا يتوقف أبداً . يجب أن تكون قارئاً دائماً . واهتم بعنصر الزمن . كل ساعة تمر هى جزء من حياتك . لا تكن طفلاً إن الوقت أهم العوامل فى الحياة ، وهو أئمن مافى الحياة .

والكاتب يجب أن ينسى الغرور . إن كتاباً كثيرين أعادوا كتابة بعض الفصول عشرات المرات .

ولا تحاول أبداً انتزاع القارئ من تتابع الأحداث والقصة ليصفق لك . فإن بعض الكتاب يريدون إبهار القارئ فينسى الرواية ويذكر المؤلف .

قيل لتشيكوف :

- فى قصصك مصادفات كثيرة لا يمكن أن تتحقق فى الحياة .

قال :

- معنى ذلك أنى فشلت ككاتب . مهمتى أن أجعل القارئ يثق بأن هذه الصدفة يمكن أن تحدث فى الحياة والواقع .

وقال :

- حاول أن تجعل الرواية تحتضن القارئ، تسليه ، تنسيه كل ما يحيط به ، وتأخذه بعيداً .

* * *

وفي عشرات المدارس التي تعلم الإنسان الكتابة بصفة عامة ، والقصة بصفة خاصة ، يقول المدرس الأول :

- المواقف الإنسانية محدودة: حب وكرهية وغيرة ، زواج وطلاق وخيانة وتفرغ عن هذه النقاط فروع محدودة أيضاً ولكن طريقة وأسلوب الكتابة هي التي تفرض كاتباً على الناس .

ومن هنا فإن على الكاتب اتباع غريزته فيخلق حالة ، ويلقى الضوء على نقطة بالذات . ولا توجد قاعدة تحدد كيف تكتب بل المطلوب قصة تحرك عواطف الناس وتثير فضولهم .

وكل إنسان يختلف عن الآخر في اختيار الكلمات ، والنقط ، والفواصل ، وطول الجملة وقصر الفقرات ، وابتكار البداية والنهاية .

التعليم يقتصر على قواعد اللغة فحسب وهذا يتلقاه الإنسان في المدارس ولكن الكاتب يصنع أسلوبه .

وفي مدارس تعليم الكتابة يحاولون مساعدة الشباب على اكتشاف طريقتهم .
أحياناً يقولون لهم :

- اكتبوا قصة ، أو رواية ولكن لا تستعملوا كلمات معينة أو لا تستعملوا صفات أى لا تنقل فتاة جميلة أو شجرة طويلة ، أو شاب أنيق . قل فتاة وشجرة وشاب أما الصفة فممنوعة تماماً .

والهدف من ذلك زيادة محصول الكاتب من الكلمات فيقرأ أكثر ليصل إلى ما يريد .

وأحياناً يقولون :

- اكتب قصة في عشرة سطور تتضمن جريمة ومحكمة وغيرة وإحساناً
و... ويشترطون ألا تكتب القصة كخبر صحفي .

ويبررون ذلك بأن القصة القصيرة تستغرق وقتاً أطول لتكون قصيرة مما يحتاج إلى صبر وشجاعة وجهد فيتحدى الكاتب إمكانياته القليلة .

وهذه المدارس تستعين بالكتاب الكبار وتدفع لهم مكافآت ضخمة ليقدموا أنفسهم للشباب من خلال اعترافات صادقة يذكرون فيها من أين جاءتهم أفكار الروايات . ومن هو البطل الحقيقي لكل رواية ، والعقدة كما كانت في الواقع وكيف حولها الكاتب في روايته .

باختصار الكتاب الكبار يقدمون سر المهنة والحرفة والصنعة والفن ، حتى يستطيع الكاتب الشاب أن يقلدهم .

أحد الكتاب قال أنه عندما يعود إلى بيته يكتب مذكرات عن كل شخص قابلته أفعاله ، مزاياه وعيوبه ، وكيف يمكن أن يتحول إلى شخصية روائية .

وكاتب آخر قال إنه يكتب عن أماكن وأشخاص وأصحاب حرف لا يعرف شيئاً عنها . وكلما ابتكر شخصية ومكاناً من هذا القبيل فإنه لا يتوقف عندها أو عنده ، بل يستمر في الرواية وبعد ذلك يجمع المعلومات الحقيقية ليضيفها فهو ليس كاتباً تسجيلياً بل إنه روائي أولاً وأخيراً .

وقد حدث ذلك مع الكاتبة « كارلين كوين » .

لم تؤلف غير رواية واحدة اسمها « عبر مرآة سوداء » تقاضت عنها عربوناً قدره ٣٥٠ ألف دولار ، وهو أكبر « عربون » يدفع للرواية الأولى ، أى لأول رواية يؤلفها كاتب أو كاتبة !

وكان السبب في ذلك أن الناشر بعد أن قرأ الرواية وأعجب بها رأى إجراء اختبار صغير للمؤلفة فعهد بالرواية إلى أكبر مؤرخ في أوروبا وهو فنلندي .

طلب إليه مراجعة الرواية لمعرفة ما بها من أخطاء تاريخية فقال العالم الفنلندي :

- هذه الكاتبة حرصت على أن تقدم كل التفاصيل بدقة لم أعرف لها مثيلاً من قبل .

وسئلت المؤلفة :

- كيف فعلتها . . كتابك قصة حب في القرن الثامن عشر تدور أحداثها بين

إنجلترا وفرنسا ، ومع ذلك لم ترتكبي خطأ واحداً في أي شيء . . كيف ؟

قالت وهي تبسم :

- ظللت خمس سنوات أؤلف هذه الرواية .

قيل لها :

- وماذا في ذلك ، كثيرون يؤلفون رواياتهم في 'مدة أطول .

قالت :

- ولكنني حرصت على قضاء معظم هذه المدة في مكتبة الجامعة ، أقرأ تاريخ حياة الشخصيات من النواحي السياسية والعاطفية . وطالعت كتب الطهي وقواعد الإتيكيت والسلوكيات والأخلاق والأغاني الشعبية والنكات والخرافات أيضاً .
قرأت ثلثائة كتاب في كل هذه العلوم والفنون . ودونت مذكرات طويلة بملاحظاتي .

ولم أكتف بذلك بل كانت في الكتاب لقطعة عاطفية عند الفجر في أحد أيام عام ١٧٢١ وقد طالعت الصحف الصادرة في تلك الأيام لأعرف حالة الطقس حتى أصور المشهد كما كان ، لأقدم صورة حقيقية صادقة ، أما مشاعر الأبطال وأحاديثهم فقد تخيلتها .

وأضافت :

- زرت كل موقع ، قصر ، حديقة ، شارع ، بيت ، تكلمت عنه ، وكل حجرة التقى فيها الصديقان فإن الرواية التاريخية تعتمد على الخيال من ناحية ، وتعتمد على الواقع في باقى النواحي .

وقالت :

- كتبت مسودة الرواية ثلاث مرات . وفي كل مرة كنت أجد أن بعض التفاصيل تنقصني فأعود إلى مزيد من القراءة والبحث والدراسة . وكنت أصرخ كثيراً ، وأبكي طويلاً ، وأفكر في التوقف لولا زوجي الذي كان عنصراً مهدئاً ومشجعاً أيضاً .

كان يقول لي . . إذا كان هناك شك في نقطة فلا بد من الوصول إلى يقين . وإذا وجدت أنه يمكنك بمزيد من الاطلاع هنا أو هناك معرفة الحقيقة فحاول مرة أخرى .
ما إذا لم يكن أمامك سبيل للمعرفة عند ذاك فالخيال يسد النقص .

وليس ت هذه أول رواية تؤلفها كارين الأمريكية المقيمة في تكساس بل ألفت قبل ذلك روايتين وضعتها في أدراج مكتبها فقد وجدت أنها لا يستحقان النشر . وقد تعود إليهما يوماً ما عندما تجد القدرة على إدخال تعديل بهما أو عندما ترى أملاً في إنقاذهما .

وكارين صحفية وأم لطفلين ، وأثناء عملها بالصحافة كانت تتوقف أمام بيتها لإطعام طفلها الرضيع ، وعندما أسند إليها عمل مكتبي في مجلة « البيت والحديقة » كانت تستعين بصديقة تأتي إليها بصغيرها لترضعه في « حمام » المجلة !

أما السبب في ذلك فهو رغبتها في أن تكون صحفية وأما في نفس الوقت ترعى طفلها . وقد أرهقتها العذابات ولذلك رأت أن تتفرغ للكتابة فهي تؤمن بموهبتها وقدرتها على التأليف الروائي .

وقد طالت مدة كتابة الرواية أكثر مما توقعت لأن العقدة غريبة فالبطلة أحبت شخصيته تاريخية رحلت عن هذا العالم وفتنت به فلما وجدت صغيراً له أحبته .

وفرق ضخم بين أن تحب بطلاً تقرأ قصته في كتاب وأن تعيش مع نفس البطل . . ولكن أن تعيش مع صغيره فهذه حكاية أخرى لها العجب .

ومن خلال الرواية تقرأ أحداث الحروب التي اشتركت فيها إنجلترا وفرنسا في القرن الثامن عشر والشخصيات الأسطورية التي كانت تحاول السيادة على أوروبا والعالم في ذلك الحين .

وعندما قدمت الكاتبة روايتها للناشر أعجب بها واعتمد مليوني دولار لحملة إعلانية ضخمة .

ولم تكن أموال الإعلانات وحدها سبباً لرواج الرواية ، ولكن الأحداث العاطفية والحربية والسياسية هي التي جعلت الناشر يرى في المؤلفة صورة أخرى لمرجريت ميتشيل مؤلفة رواية « ذهب مع الريح » .

ولذلك ، ومنذ البداية ، تم التعاقد مع الكاتبة على إنتاج فيلم لا يصور الحرب الأهلية الأمريكية كما حدث مع كاتبة « ذهب مع الريح » بل يصور الصراع في أوروبا وتأثير ذلك على العالم ، لا بمحاضرات ونصائح وكلمات جافة بل من خلال لمسات صغيرة ، هنا أو هناك .

وقد حدث في رواية « الصمت » التي قدمها المخرج السويدي إنجمار برجمان أن قدم لقطة واحدة لم تستغرق إلا دقائق قليلة لعدد محدود من الدبابات يخترق الشوارع . ولم

تطلق الدبابات رصاصة واحدة ، ولم يطلق عليها مدفع واحد ومع ذلك يلمس القارىء من هذه اللقطة أن الأحداث كلها تدور أثناء الحرب .

ولكن في رواية « عبر مرآة سوداء » هناك مدافع ونيران وقتلى وجرحى ، ولكن توجد أيضاً قصة حب .

والعبرة في نجاح هذه الكاتبة أو الدروس المستفادة من قصتها أن الإنسان يستطيع أن يحس بموهبته ، ويكتشف قدراته ويبقى بعد ذلك عمل شاق وصبر وتضحية فإن خمس سنوات بلا مرتب ، وبلا عمل إلا الكتابة في انتظار المجهول من نجاح أو فشل عملية ليست سهلة . ولكنها أسفرت في النهاية عن قلم يغمس في ذهب أو في حبر من ذهب ! رأيت كتباً عنوانها « كيف تؤلف » . .

وموضوعات هذه الكتب الرواية بأنواعها المختلفة ، عاطفية أو بوليسية أو تاريخية والرسالة الجامعية والشعر . . إلخ .

وقرأت كتباً تبين للشباب أسماء الناشرين الذين يتمنون إصدار أعمال الشباب . وهذه الكتب تقدم أسواق الأدب والفن .

وبعض دور النشر تحدد ثمن الرواية والقصيدة واللحن مقدماً . .

وطالعت كتباً تحذر الشباب من الوقوع في براثن الوكلاء واللصوص الذين يسرقون إنتاج المؤلفين المغمورين المجهولين !

ووجدت دور نشر تسرق إنتاج المؤلفين الشباب لأنها تعلن مقدماً أنها ستحصل على العمل الفنى ولن تنشر اسم صاحبه . . أبداً !

وبعض هذه الدور قالت أن الشباب يساعد الشباب . . فكل مشترك يدفع رسماً والفائز الأول يحصل على المبالغ التي تجمعت من الاشتراكات ويستفاد بها في نشر العمل الفنى أو الأدبى !

ولعل أهم كتب صدرت في سنة الشباب التي قررتها الأمم المتحدة هي التي جمعت آراء الكبار في كل المجالات .

وهي كتب كتبها الناجحون يروون قصص الفشل في حياتهم ، ومن الذى تغلب عليهم وهزمهم في البداية .

وكتب لفاشلين ، لينصحوا الشباب بأن يتغلبوا على كل العقبات .

وهذه الكتب قدمها رياضيون وعلماء وخبراء كان يمكن أن يلمعوا لولا أنهم في مفترق الطرق بين النجاح والفشل تقاعسوا وتراجعوا واستسلموا للهزيمة .

وتنشر بعض مدارس تعليم الكتابة كتباً سنوية عن متاعب الجيل الجديد من الكتاب ، يرومها الشباب بصدق . فأصبحت هذه الكتب أكثر رواجاً من كثير من المؤلفات !

في أحد الكتب قرأت اعترافاً عجبياً للفائز الأول الذى تنبأ له كل الأساتذة بالتفوق والنجاح في احتراف الكتابة .

قال إنه استمع إلى نصيحة أستاذه في أن يقرأ فطالع القديم والجديد من الروايات في أدب بلاده . . والآداب العالمية قبل أن يخط الحرف أو الكلمة الأولى في أول قصة له .

وبعد هذه القراءات الكثيرة أحس باكتئاب بالغ .

بدأ يلوم نفسه لأنه لا يستطيع أن يؤلف كتاباً مثل الكتب التى طالعتها .

وكلما قرأ أكثر كلما اقتنع بأنه ليس كفواً لأن يكتب على الإطلاق .

الشخصيات التى قرأها في روايات الآخرين تعكس شخصيات حقيقية يمكن أن يلقاها في الحياة .

والعقد في روايات الآخرين محبوكة تماماً ، وتنفرج مع كل صفحة فجاءت النهاية طبيعية ومتوقعة أو كانت المفاجأة أن الخاتمة غير متوقعة ولكن لاتبدو غريبة !

والأسلوب نظيف بسيط يتعذر الوصول إليه أو تقليده .

وأحياناً الأسلوب جزل مفهوم لا يحس القارئ بأن المؤلف قد اصطنعه أو افتعله .

وهو يتجمد أمام بعض الصفحات يلتصق بها . ولا يستطيع أن يترك الكتاب إعجاباً .

وفي البداية كان يلتمس لنفسه العذر لأنه يقرأ لكتاب يفوقونه عمراً وتجربة وخبرة . ولكنه قرأ لشباب الكتاب فلم يجد لنفسه عذراً .

وهكذا انتهى الكاتب الشاب إلى نتيجة واحدة .

قرر ألا يكتب أبداً وأن يمارس حرفة أخرى .

وكثير من الشباب يعانون المشكلة ذاتها فيفقدون مع كل كتاب يقرأونه الثقة بالنفس ويجدون أنهم لن يقدرُوا أبداً على تقديم كتاب يشبه ما طالعوه .

وعندما يعقد القارئ مقارنة بينه وبين كاتب آخر فإن المقارنة لا معنى لها على الإطلاق وإلا فكرنا في أوجه التشابه بين التفاح والبرتقال والعنب والبطيخ والموز !

إن كل كاتب يمثل نوعاً مختلفاً من الفاكهة .

والمقارنات تؤكد الشكوك والمخاوف والأحاسيس السلبية ، وسيدخل الكاتب في منافسة لا مع مواطنين من الكتاب بل مع كتاب العالم جميعاً .

وإذا نظرنا إلى العالم بهذه الطريقة تصبح الحياة غاية في التعاسة بالنسبة له .

كل كتاب وكل كاتب لا ينافس الآخر .

وكل كتاب لنفس المؤلف لا ينافس كتاباً ثانياً له .

وكل سطر لا يشبه السطر الآخر والصفحات أيضاً .

وستكون النتيجة أن الكاتب سيحس بأن الآخرين عباقرة ، وليس كل الكتاب عباقرة .

سيفقد الشاب الثقة بنفسه ، وسيجد أنه يدفع ثمن تفوق الآخرين ، ونجاحهم على حسابه ومن رصيده .

أما النتيجة النهائية فهي أن كل كتاب يراه سيجعله يزداد كراهية لنفسه .

وكلما نجح الآخرون اعتقد أن نجاحهم تهديد له فالمنافسة في هذه الحالة دموية وقاتلة .

أما إذا نجح الكاتب نفسه فإن نجاحه يصبح بلا متعة وتتحول القراءة نفسها إلى عذاب .

ولو كانت نظرة الجميع بهذه الطريقة فلن يكتب أحد . ولن تجد دور النشر كاتباً جديداً .

إن أجيال الكتاب تتابع وأنهم مثل أمواج البحر لا توجد موجة أخيرة . . . أبداً، لأن الموج لا يتوقف فالموجة الأخيرة بالنسبة لك لن تكون الأخيرة لمن يقف على الشاطئ بعدك .

وهناك فارق ضخم بين الكاتب والممثل .

الممثلون يتنافسون لأن كلاً منهم يريد الحصول على نفس الدور وكل يريد تمثيلية .
وإذا حصل الممثل على دور معين فإن الآخرين لا يفوزون به بطبيعة الحال . ولكن
ذلك لا يحدث مع الكتب فكل كتاب ينشر يؤدي دوراً لا يؤديه آخر .
والقارىء يشتري الكتاب لأنه يريد قراءته ويرفض شراء كتاب آخر لأنه لا يريد !

أراد صلاح ذهنى فى شبابه أن يقدم توفيق الحكيم كتابه الأول فكتب توفيق الحكيم
مقدمة غريبة قال فيها أن الكاتب ، أى كاتب ، لا يحتاج إلى تقديم فيما أن يعجب به
القراء أو لا يعجبون . فإذا وجدوا متعة فى الكتاب فإنهم يتبعون الكاتب وإلا انصرفوا
عنه .

ودعا توفيق الحكيم الكاتب الشاب إلى أن يستمر بعد كتابه الأول « فى الدرجة
الثامنة » .

وكان صلاح ذهنى أيامها كاتب سجن فى الدرجة الثامنة وهى أدنى الدرجات
الوسيفية الحكومية فى مصر . واستمر فنجح كاتباً وصحفيّاً وفناناً ومديراً لدار الأوبرا .
وفى إحدى الروايات الناححة ترى فتاة تقوم بدور البطولة تحيا فى أسرة فقيرة تريد
منها أن تتخرج وتعمل لتكسب ولكن الفتاة تتمنى أن تكون كاتبة .
وتشجعها الأم وتأخذ ماكتبته ابنتها إلى أشهر كاتبة فى زمانها فتقول لها :

- الأسلوب جميل ولكن الفتاة تكتب عن أشياء وأشخاص لا تعرفهم . دعيها تكتب
عما تراه .

وتكتب الفتاة عن أمها التى شجعتها ، وأسرتهى التى عاونتها وتصف ذلك كله فى
رواية اسمها « اذكر أمى » .

وتتحول الرواية إلى فيلم يفوز بأعلى الجوائز فى أمريكا . . جائزة الأوسكار ! فكل
كاتب ناشئ يستطيع أن يكتب بلا شهادة إذا نظر حوله ولا يهتم بالمدة التى تستغرقها
عملية الكتابة .

وكل كاتب يمكن أن يأخذ الفكرة ممن حوله ، وما حوله .

وفى فرنسا وألمانيا يطلقون على بعض القصص والروايات كلمتين :

« رواية بمفتاح » أو « رواية لها مفتاح » .

يقصدون بذلك أن كل رواية لها أصل وأسماء قد تكون زائفة ، وهمية ، ولكنها ترمز
لأشخاص حقيقيين .
وكان بعض الروائيين يكتبون ملحماً بالأسماء الحقيقية يوزع بعد صدور الرواية بأيام
أو شهور .
وأنت أيضاً أمامك المفتاح وبقي أن تكتب الرواية !

إنهم يقتلون الأدباء

يقول الناشرون العالميون : إن أكثر الكتب توزيعاً في العالم - الآن - تلك التي كتبها وليم شكسبير « الشاعر الإنجليزي » ويوهان فولفجانج فون جوته الشاعر الألماني و « شارلز ديكنز » الروائي الإنجليزي .

ولم يتوقع الثلاثة شيئاً من ذلك فإن النقاد هاجمهم في حياتهم ، وبعد وفاتهم بسنوات . .

ولو أن أحداً من هؤلاء ، صدق النقاد ، الكبار والصغار ، لامتنع عن الشعر والمسرح والرواية وقصف قلمه لأن النقاد لم يرحموا أحداً . . قط .

هذا هو « شكسبير » . .

نشر أقل من أربعين مسرحية خلال عشرين عاماً .

ولم يحصل إلا على ٨ جنيهات عن كل مسرحية .

ولم يزد دخله عن عشرين جنيهاً سنوياً .

كان يكتب بالحبر ولم يستعمل « النشافة » ليحفظ كلمة واحدة ، فقال الشاعر والمسرحي الإنجليزي « بن جونسون » :

- ليت « شكسبير » جفف ألف كلمة!

يقصد بذلك أنه كان يتمنى لو أن الشاعر جفف كلماته ومحامها كلها!

ويوم قيل إن مسرحيات « شكسبير » ستنشر في أمريكا هاجمتها الصحف لأن أمريكا لن تقبل هذه المسرحيات أبداً .

وانتقد كاتب آخر « صامويل ببس » - مسرحية « حلم ليلة صيف » فقال إنها أسخف مسرحية قرأها في حياته .

أما « برنارد شو » فتهاذى فى النقد فائلاً : إنه لا يحتقر كاتباً كما يحتقر « شكسبير » وأنه يتمنى أن يحفر قبره ويُلقي على جثمانه . . الحجارة .

وهذا « ديكنز » .
لم يتم تعليمه الإعدادى . وسجن أبوه لأنه مدين ، فعرف الفقر فى طفولته .
واشتغل بالصحافة ، وألف فرقة مسرحية وكتب أشهر الروايات « قصة مدينتين »
و « أوليفر تويست » و « دافيد كوبر فيلد » و « أوراق بيكويك » ! . . وغيرها وغيرها .
ومع ذلك فإن مجلة « ساترداى ريفيو » التى تصدر فى لندن لم يعجبها مدح البعض
له فقالت :

- نحن لا نؤمن بأن شهرته ستدوم . وسيعجب أطفالنا لأن أجدادهم وضعوا
« ديكنز » يوماً فى مقدمة الروائيين .

ولكن الأحفاد وضعوه - أيضاً - فى مقدمة الروائيين .

وهذا هو أكبر شعراء ألمانيا . . « جوتة » .
درس القانون وعمل كبيراً لوزراء دوق فيمار . ودرس علوم الأحياء والنبات . وأجاد
الرسم وعزف الموسيقى وتعلم ٦ لغات ونقل فن شكسبير المسرحى وترجم « فولتير »
و « بايرون » وألف « آلام فرتر » و « فاوست » .

كرهه هتلر لأنه انتقد الألمان .

ورأى كاتب ألماني شهير آخر وهو « توماس مان » إن « جوتة » هو الفنان الكامل .
وألف « مان » كتاباً عن حياة جوتة العاطفية الذى فكر يوماً فى الانتحار لأنه يجب .
أما مجلة « أدنبرة » فرأت أن كل ما كتبه « جوتة » : « كلام فارغ » .

ولم يقتصر هجوم النقاد على هؤلاء الثلاثة فحسب .

كل كاتب وشاعر مسرحي أخذ نصيباً كبيراً - في حياته ، وبعد مماته - من النقد وإن كانت الكلمات الطيبة قد تكررت كثيراً . . بعد الوفاة !

« بلزاك » الروائي الفرنسي عاش في أخصب عصور الأدب مع « هوجو » و « لامارتين » وابتكر ألفى شخصية في رواياته ، ووصف المجتمع الفرنسي وقدم « الكوميديا الإنسانية » .

ومع ذلك فإن مجلة « العالمين » الفرنسية وجدت أن مكانة « بلزاك » في الأدب الفرنسي لن تكون عالية ، أو محترمة . وقد ظهر خيال محدود في قدرته على إظهار العواطف وابتكار عقدة الرواية .

« وجوستاف فلوبيير » الكاتب الفرنسي الذي هجر الطب ليتفرغ للأدب وألف « مدام بوفاري » . . قالت عنه صحيفة « الفيجارو » ببساطة : إنه ليس كاتباً .

وأدت حملة النقد إلى محاكمته ، والناشر أيضاً ، لولا أن القضاء حكم ببراءته .
« وجون ملتون » الشاعر البريطاني ، مؤلف « الفردوس المفقود » لم ينل عنها سوى عشرة جنيهات فقط عام ١٦٦٥ .

وقال النقاد إذا كانت « للملتون » مزية فهي أنه أطال وأطال ولكن شهرته مثل شمعة في مهب الريح ستطفأ وذكره ستستقر في مستنقع !

ومع ذلك بيعت ١٣٠٠ نسخة من « الفردوس المفقود » خلال ١٨ شهراً وهو رقم قياسي بحسابات ذلك الزمان .

ولا يوجد كاتب كبير عاشت شهرته عشرات ومئات السنين بعد وفاته إلا وقد وطأه النقد بأقلامهم . .

الشاعر صامويل كولريديج قالوا عن قصائده : إنها لن تصل إلى عتبة الشهرة وسنظهر لأطفالنا أننا أقزام في الفكر إذا بدا لنا كولريديج عظيماً .

والكاتب الناقد الروائي « شارلز لامب » الذي رفض أن يتزوج لرعاية شقيقته المجنونة التي قتلت أمها . . والذي اعتزل الناس تماماً بعد وفاة صديقه « كولريديج » - قال عنه كاتب آخر ومؤرخ كبير هو « توماس كارليل » :

- أعتقد إنك مجنون يامستر « لامب » .

والروائي الأمريكي « وليم فولكنر » الحائز على جائزة نوبل قالوا عن بعض رواياته :
إنها ضربة وجهها لنفسه باعتبار أنه كان يوماً صاحب موهبة .
وبالمناسبة فإن « كارليل » أشتهر بين المؤرخين لأنه ألف تاريخ الثورة الفرنسية .
وأشتهر بين الأدباء لأنه أهدى مخطوط كتابه لصديقه « جون ستوارت ميل » .
وكانت المسودة مكتوبة على ما يشبه الأوراق السميكة التي تباع فيها اللحوم قبل سنين
فأرأت الخادمة المخطوط وظنته شيئاً قذراً فأحرقته .
أخذ « كارليل » يبكي على الجهد الضائع قائلاً :
- قتلت نفسى عرقاً وعملاً لأحقق صغراً .
وقال :
- لا أذكر شيئاً مما كتبت .
ومع ذلك أعاد كتابة الجزء الأول الضائع من الثورة الفرنسية وتبعه بباقي الأجزاء .

و« راديارد كبلنج » الكاتب الشاعر الذى ولد فى الهند وترجمت إحدى رواياته وعنوانها
« لو » إلى ٢٧ لغة عام صدورها ١٩١٠ ، وحصل على جائزة نوبل .
عمل فى صحيفة « سان فرانسيسكو أكزا مينر » فاستدعاه رئيس تحريرها يوماً .
أقبل كبلنج إلى مكتب رئيس التحرير متفائلاً .
قال الصحفى الكبير :
- يا مستر « كبلنج » : أنت تعرف طبعاً أن هذه الصحيفة ليست دار حضارة
للكتاب الهواة .
أجاب « كبلنج » وهو يظنه يقصد آخرين :
- طبعاً . . طبعاً .
قال الصحفى :
- ولذلك فإننى آسف جداً يا مستر كبلنج أن أقول إنك لا تعرف كيف تحب اللغة
الإنجليزية .

وألقى بالمفاجأة في وجهه :

- أنت مفصول .

واشتهر « كبلنج » بعد ذلك بأنه يحسن الكتابة بهذه اللغة وترددت هنا في العالم العربي إحدى جملة الشهيرة .

« الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولا يلتقيان » .

والشاعر « وليم ورد سورث » الحائز على جائزة نوبل أيضاً وصفته مجلة بريطانية بأن حالته ميئوس منها ولا علاج لها، والنقد لا ينبغي أن يتعرض له فهو أقل من مستوى النقد !

وأرنست همنجواي قالت عنه إحدى الناقدات إنه « لا يكتب أدباً » .

وصعد إلى خشبة المسرح مخرج مسرحية « معركة الملائكة » - أول مسرحية للكاتب الأمريكي « تينيسي وليامز » - ليعتذر للمشاهدين ويسدل الستار على المسرحية قبل إتمام عرضها قائلاً :

- آسف . . لن نكمل عرض المسرحية لأنها لا تستحق .

والصحفي والكاتب الفرنسي « ألفونس دوديه » قال عن زميله « إميل زولا » الذي ألف رواية مسلسلية عن قصة أسرة اسمها « روجون مكار » في عشرين جزءاً :

- إنني أنصح مستر « زولا » أن يشق نفسه على أعلى شجرة .

أما المسرحي البريطاني « أوسكار وايلد » فاكتفى بأن يقول :

- إميل زولا « عازم على أن يظل كاتباً مملاً »

وهاجم « وايلد » كاتبة أخرى اسمها « ماري كوريللي » اشتهرت برواية رائعة اسمها « أحزان الشيطان » فيها ينتقم البطل من خطيئته الخائنة عندما قبل أن يتزوجها .

في حفل الزفاف فاجأها أمام كل المدعوين :

- آسف لن أقبلك زوجة لي .

وانطلق في الشوارع هائماً خائفاً من نفسه مرتاعاً لبشاعة انتقامه .

قال وايلد في السجن عن « ماري كوريللي » .

- مكانها لا ينبغي أن يكون أمام مكتب وفي يدها قلم .. مكانها هنا .. في السجن !

والمطلوب من كل كاتب شاب ألا يصدق النقاد إذا هاجموا كتابه الأول وقصيدته الأولى أو اللحن الأول لأي موسيقى .

والمطلوب من كل كاتب شاب ألا يصدق الناشرين أيضاً إذا رفضوا كتبه .

« جوناثان لفنجستون » رفض الناشرون روايته « طائر النورس » ١٢ مرة .

ومارك توين رفضت رواياته ومقالاته ٥٠ مرة وبالذات من المجلة التي نشر فيها - بعد شهرته - هذه الكتب والمقالات .

وتحاييل الكاتب البريطاني « جون كريسي » على الناشرين فألف كتبه بـ ١٣ اسماً مستعاراً ولكن كتبه رفضت ٧٤٣ مرة .. وأصر واستمر .. فنجح .

وإذا آمن الكاتب بما يكتب فإن النقاد والناشرين لن يستطيعوا أبداً قبر موهبته بل سيظل يكتب أدباً ، ويتغنى شعراً ، ويجوع زوجته وأولاده حتى يصدر كتاباً !

والخوف من النقاد جعل كثيرين من الكتاب يخفون وراء أسماء مستعارة لأسباب كثيرة .

المرأة رأّت أن المجتمع يشجع الرجال فاخترت لنفسها اسم رجل حيناً ، واسم امرأة أخرى أحياناً ، حتى تهرب من قيود الأسرة والمجتمع حولها .. والرجل خاف الفشل فاحتمى باسم آخر يواجه به الصدمة .

والبعض وجد أن اسمه فرض عليه ، ولم يكن له رأى فيه ، فاختر اسماً موسيقياً له رنين ، أو لا يتشابه مع أسماء أخرى .

وبعد النجاح والشهرة والبريق رأى أصحاب الأسماء اللامعة في التاريخ الأدبي أن يعلنوا ألقابهم الحقيقية ، ولكن أحداً لم يهتم بها ، فإن القراء فضلوا الأسماء المستعارة . والأمثلة على امتداد التاريخ لا حصر لها .

إن جورج أرويل ، وجورج أليوت ، وأناطول فرانس ، ومكسيم جوركي ، ومولير ، ومارك توين ، وساكي ، وجوزيف كونراد ، وأندريه مورا ، ومئات غيرهم عُرِفوا في العالم بهذه الأسماء غير الحقيقية .

اختار بعض الكتاب أسماء مدن ، وأسماء أبطال مسرحيات ، أو شخصيات ثانوية ، أو بعض رؤسائهم في الوظائف وأطلقوها على أنفسهم .

وأرادت سيدة في إفريقيا الجنوبية التخلص من القيود السياسية والاجتماعية فوعدت ٩٠٤ روايات بستة أسماء مستعارة قبل أن تستقر على أحدها وهو « كاثلين لند ساي » . . أما اسمها الحقيقي فهو السيدة ماري فوكنر . .

وقد تلاشت ظاهرة الأسماء المستعارة الآن ، أو هي في طريقها إلى الاختفاء فقد زاد جنون البحث عن الشهرة . ولم تعد الكتابة حرفه ، أو مهنة يهرب منها الإنسان . . إلا في أحوال سياسية معروفة .

رأت كاتبة بريطانية شهيرة أن تجرى تجربة أدبية جديدة وأن تطلق على نفسها أسماء مستعارة هرباً من الشهرة من ناحية ، وساعية إلى مناورة ضخمة أرادت أن تهز بها المجتمع الأدبي في بريطانيا ، وفي أوروبا كلها ، ونجحت في ذلك إلى حد كبير .

ظهرت في المكتبات في إنجلترا منذ ثلاث سنوات رواية باسم « مذكرات جارة طيبة » من تأليف « جين سومرز » .

البطلة سيدة متوسطة العمر ، عاقر ، ترأس مجلة أدبية ، تحب عملها وتتفانى فيه بعد وفاة زوجها أثر إصابته بالسرطان . وهي تثق بنفسها كل الثقة .

وتلتقى بجارة لها عجوز خائفة مترددة ، تحس بذل الشيوخوخة ومتاعبها .

وبالتدريج نجد الصحفية تترك عالمها الأنيق لتدور مع كبار السن وتركز اهتمامها عليهم .

بعد أن كانت البطلة تفكر في رحلاتها المنتظمة إلى أوروبا والعالم الجميل الذي تنتقل إليه ، إذا بها تتوجه إلى الشيوخ وتأمين حياتهم وتنطلق بصحيفتها من عالم الأزياء والمجتمع الصاخب إلى عالم رعاية الكبار صحياً واجتماعياً وضرورة الترفيه عنهم .

وبعد أن كانت الصحفية تحيا في حدود ذكرياتها إذ بها تنتقل إلى عالم الماضي مع السيدة العجوز في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

والنتيجة الطبيعية لهذا كله أن زحف ماض لم تعشه الصحفية إلى حياتها الجديدة التي تغيرت تماماً إلى جارة طيبة وجدت نفسها مسئولة عن أم لها لم تلدها .

* * *

لم يستقبل النقاد في بريطانيا رواية « جين سومرز » . ولم يسأل أحد عن هذه الكاتبة الجديدة التي اهتمت دار نشر كبرى بتقديم روايتها دون تعريف القراء والنقاد بالكاتبة التي ظهرت فجأة في الحياة الأدبية في العاصمة البريطانية .

ولكن « جين سومرز » لم تحفل بهذا التجاهل والإهمال واللامبالاة من الأوساط الأدبية . وأصدرت رواية ثانية اسمها « إذا استطاع الكبار » .

والرواية الجديدة مكمل للرواية الأولى .

البطلة تقدمت في السن هذه المرة وأصبحت أيامها تتساقط كأوراق الخريف . وحوها أبناء أشقائها وشقيقاتها ، جواسيس عليها يراقبون كل تصرفاتها وأعمالها . ولا تستطيع أن تخطو خطوة إلا وقد حاسبت عليها نفسها ، قبل الحساب العسير الذي تلقاه من « الجواسيس » الشبان .

ومن خلال الرواية نجد أن البطلة تقدم نفسها كنموذج للكياسة واللياقة وحسن السير والسلوك بحيث تكون مثلاً أعلى للجميع ، وحتى يقلدها شباب الأسرة دون أن تلقى إليهم بنصيحة واحدة ، أو مواظ ، تحول الرواية إلى موضوع إنشائي يكتبه طلبة المدارس .

ولأن البطلة لا تستطيع أن تحيا وحدها فإن بنات الأسرة يقمن معها فتتعرف على مشاكل الجيل الجديد الذي يعاني التمزق النفسى ، ويظل طول النهار وقد التصقت سماعة جهاز التسجيل بأذنيه تدوى فيها الموسيقى نهراً وليلاً .

ومن خلال فارق السن ، والثقافة والخبرة ، والتجربة يلمس القارئ صراع الأجيال حيناً ، وتداخلها وتكاملها أحياناً .

وللمرة الثانية لا تنشر - عن جين سومرز وروايتها الجديدة - كلمة واحدة في الصحف اليومية أو الأسبوعية وكذلك المجلات الأدبية المتخصصة .

وأغفلت الندوات الأدبية في الإذاعة والتلفزيون روايتين فيها أفكار كثيرة عن مشاكل الشباب والشيوخ في هذا الزمن المتقلب .
وكان الإهمال مزدوجاً .

لم يتساءل أحد من النقاد عن الكاتبة الجديدة .
ولم يسأل أحد الناشر عن سر تشجيعه لهذه الكاتبة وموهبتها التي دفعته لتقديم كتبها للقراء .

وبعد عامين كاملين أصبحت الروايتان موضع اهتمام كل ناقد أدبي في بريطانيا .
والتقطت صحف أوروبا القصة وأخذت تتكلم عن « جين سومرز » وآرائها في الحياة والناس ومع ذلك لم يستطع ناقد واحد لقاء « جين سومرز » لأنه لا وجود لهذه الكاتبة . . قط !

أما سر تركيز الأضواء أخيراً حول الروايتين فيرجع إلى كتاب جديد أصدرته روائية بريطانية ذائعة الشهرة وهي « دوريس ليسنج » التي نشرت كتاباً اسمه « مذكرات جين سومرز » .

في هذا الكتاب مقدمة طويلة كتبها « دوريس ليسنج » وقالت فيها :

« أنا جين سومرز » .

وأنا مؤلفة الروايتين .

وقد اخترت أن أطلق على نفسى هذا الاسم المستعار لأعرف أمرين :

الأول : هل تباع الكتب لأسماء مؤلفيها أو مضمونها ومحتوياتها وما فيها من حبكة روائية وآراء ؟!

وقالت « دوريس ليسنج » : إن القراء أفضل من كل النقاد وإن النقد الأدبي أصبح يدور حول المشاهير فحسب ، وإن عالم الأدب يجب أن يُجدد ويتجدد .

ومع المقدمة الطويلة أعادت الكاتبة نشر الروايتين كاملتين وطالبت الجميع بإعادة تقييمهما مرة أخرى بعد أن عرفوا أن كاتبة شهيرة هي المؤلفة .

كانت المقدمة صفة لكل نقاد بريطانيا وأدبائها الكبار .
وكان أمام هؤلاء خياران : إما الترحيب بالروائيتين والاعتذار عن التجاهل القديم ،
أو التجاهل التام بدعوى أن الروائيتين أقل من مستوى النقد .
ولكن معظم نقاد بريطانيا سقطوا في الفخ الجديد .
بدأت الصحف تكتب عن الروائيتين وتعتذر عن الإهمال القديم . وأخذ النقاد - أو
أغلبهم - يتكلم عن أهمية هذا الحدث الأدبي ، وأن المقصود منه إيقاظ الضمائر للاهتمام
بالشباب وإعطائه فرصاً كثيرة .
وأراد كُتاب آخرون تبرير ما فعلوه فقالوا : إن أفكار الروائيتين لاستحقاق النقد
وكلها تقليدية مكررة ومعادة .

وهاجم النقاد بعضهم البعض بسبب هذه الآراء المتعارضة .
ولكن أحداً لم يهتم بالناشر ، ولم يعرف أبداً ما إذا كان قد تم الاتفاق بينه وبين
الكاتبة الكبيرة على هذه الخطة لأن حرص الناشر على عدم تقديم المؤلفة الشابة « جين
سومرز » يدعو الكثير من الشكوك .
وعلى أية حال فإن اختلاف النقاد أدى إلى مزيد من الضجة الأدبية في أوروبا كلها .
في فرنسا مثلاً قالوا : إن حكاية « جين سومرز » تعيد للذاكرة أمثلة كثيرة لما جرى
في سوق الأدب !

إن كاتباً مثل « فيكتور هوجو » لم ينجح إلا في سن الستين برواية « البؤساء » .
ومصوراً فوتوغرافياً اسمه « يوجين اتجيه » مات عام ١٩٢٧ في سن السبعين بعد أن
صور الشحاذين والموسيقيين الذين يتسولون بالأنعام وأحذية النساء وقبعاتهم والناس
وهم يشترتون في شوارع باريس النباتات الطبيعية التي كان فيها الشفاء .
وهذا الفنان عاش العشرين عاماً الأخيرة على اللبن والسكر والخبز . . بسبب الفقر
ولو أن يداً امتدت إليه بالعون لتغير تاريخه .

أما جورج سيمينون كاتب الرواية البوليسية الذي تسمى ب ١٦ اسماً مستعاراً فإن
« المجلة الأدبية الجديدة » أخذت تنشر مؤلفاته عام ١٩٣١ وهو في سن الثامنة
والعشرين .

كان يستيقظ في الخامسة والنصف صباحاً لبدأ الكتابة في السادسة ويؤلف الرواية
في أربعة أيام حتى أنهم حبسوه مرة في قفص زجاجي أربعة أيام ليكتب رواية .

وفي عام ١٩٨٤ نشر سيمينوف مذكراته بعد خمسين عاماً من الشهرة .

وفي تشيكوسلوفاكيا سخرُوا من الإنجليز وقالوا إن « كافكا » حصل على الشهرة كاملة وأصدر كل رواياته في سن الحادية والثلاثين .

وأخذت أوروبا كلها تتحدث حول الاهتمام بالجيل الجديد من الكتاب وبدأت الصحف البريطانية والأدبية تتكلم عن ضرورة إحياء التقاليد الأدبية القديمة التي أدت إلى شهرة الكثيرين ودفعت إلى الصفوف الأولى أسماء لامعة .

إن أصحاب المكتبات في أوروبا وأمريكا يقيمون حفلات استقبال صغيرة عند صدور الكتاب الأول لأي كاتب يلتقى خلاله بالمندوبين الأدبيين للصحف والنقاد وكبار الكتاب .

وأصحاب دور النشر يقيمون مآدب غداء ، أو عشاء ، قليلة النفقات كل شهر لكبار الكتاب يقدمون من خلالها كاتباً جديداً أو أكثر .

وفي كل الأندية الاجتماعية التي يلتقى أعضاؤها أسبوعياً يدعى ، بين الحين والحين كاتب شاب يتطلع للشهرة ليتحدث حتى يتعرف إليه الناس .

والمسابقات الأدبية التي تعقدها المؤسسات الأدبية الحكومية ودور النشر كثيرة ولكن مضاعفتها مطلب أساسي للجميع !

وطرحت وسائل أخرى كثيرة للمناقشة هدفها ألا تتكرر تجربة « جين سومرز » أبداً .

وفي مصر جربت تجربة مماثلة بأسلوب عابث .

ألف الكاتب الصحفي أحمد رجب قصة قصيرة زعم أنها من تأليف الكاتب السويسري فريدريك ديرينيات .

وطاف مندوب صحفى على النقاد يسألهم تقييم القصة فأشادوا بها وأخذوا يعددون مزاياها .

ونشر أحمد رجب الحقيقة وضحك كثيرون على « مصيدة النقاد » بينما أصر بعضهم على أن القصة من تأليف ديرينيات . . فعلاً !

وعندما حجب مجمع اللغة العربية جائزته عن رواية « مليم الأكبر » للكاتب الأديب عادل كامل نشر الرواية بمقدمة تزيد صفحاتها عن المائة انتقد فيها أسلوب المجمع .

الكتاب الأول يعنى أن إنساناً ملهماً موهوباً - من الجنسين - حقق رسالة واندفع بأنبل العواطف يسجل أحاسيس روجه .

فالنقاد يقتلون الأدباء عندما يهملونهم ويتجاهلونهم في بداية حياتهم ، ويقتلونهم مرة أخرى بعد تحقيق الشهرة عندما يجاملونهم . . لأن النقاد في هذه الحالة ربما يجاملون وينافقون !

كاتب تحت التمرين

قال الشاب :

- أريد أن تعلمنى فن الكتابة .

قال الكاتب الكبير :

- أين تعلمت ؟

- فى الجامعة . . درست الصحافة .

- ومؤهلك الدراسى !!

- لم أحصل عليه .

- إذن لم تتعلم وتكذب على !

- أنا لا أكذب ياسيدى ، ولكنى رفضت سداد رسم الحصول على الدرجة الجامعية .

- إذا كان المال ينقصك فإنى على استعداد لدفعه .

- ما حاجتى إلى شهادة جامعية أحملها فى يدي ، وأطوف بها على الناس . كل ما أريده أن أكون كاتباً ، وذلك لا يحتاج إلى الشهادة الجامعية .

ضحك الكاتب الكبير وقال :

- لا أستطيع أن أعلمك الكتابة فى يوم أو يومين . كل ما سأقوله لك فى هذه الحالة مجرد نصائح تطالعها فى أى كتاب .

بكى الشاب وقال :

- قرأت لك قصة جميلة فيها تشجيع لأمثالى . . يبدو أن ما تكتبونه يختلف تماماً عن أسلوب حياتكم .

أراد الانصراف فاستبقاه الكاتب وأخذ يفكر فيما يريده الشاب ، وأى هدف وراء قدومه هـآية أسرار يختزنها ؟ .

وجه إليه عشرات الأسئلة عن أسرته وحياته وما الذى تعلمه فى الجامعة عن الصحافة ، حتى اقتنع بأن نواياه طيبة ، وكل ما يرغب فيه أن يتعلم حرفة الكتابة وفنونها .

- ما رأيك فى أن تبقى معى ، ترانى وأنا أكتب أحياناً وتسافر معى ، وسأعطيك مرتباً .

قال الشاب دون أن يسأل عن الأجر :

- أوافق .

وهكذا بقى شاب اسمه « أرنولد صامويل سون » مع « أرنست همنجواى » عاماً كاملاً كان يقوم خلاله بمهمة السكرتير حيناً ، والخدام حيناً آخر ، والتابع الأمين فى كل الأحيان !

أما الأجر فكان دولاراً كل يوم !

وقد يبدو المبلغ تافهاً بمقاييس الزمن الحاضر ، ولكنه كان أجراً معقولاً عام ١٩٣٤ أثناء الأزمة الاقتصادية التى اجتاحت العالم فى الثلاثينيات .

وعندما سافر همنجواى مع زوجته وولديه إلى كوبا صحب معه الشاب أرنولد يخدمه على ظهر الباخرة ويعينه فى كل عمل يقوم به .

كان الشاب كثير السؤال لهمنجواى ففكر فى الاستغناء عنه ، ثم عدل أمام إصرار الفتى على الاستمرار فى التجربة حتى النهاية .

اتخذ الشاب طريقة جديدة .

عرف المواعيد التى يكتب فيها همنجواى ، ومتى يريد أن يستريح من الكتابة ، ومتى يرغب فى الحديث .

فى تلك الأوقات كان أرنولد يجلس ساكناً حتى يتكلم الكاتب فيسأله عن ذكريات طفولته .

قال همنجواى :

- كل كاتب يظل يكتب عن طفولته حتى يبلع الأربعين .

قال أرنولد :

- ومتى يكتب عن شبابه ؟

قال همنجواى :

- كل كاتب يحرص على إخفاء تجارب الشباب ، لا يريد أن يتكلم عن حبه وغرامه وعاطفته إلا فى رواياته لتظهر الشخصيات باسم مستعار .

- ولكنهم فى باريس حددوا الشخصيات الأربعة الرئيسية فى روايتك « والشمس تشرق أيضاً » التى نشرتها عام ١٩٢٦ .

- أعرف ذلك ولكنى أقصد أن الكاتب وهو يروى سيرته الذاتية فى مطلع شهرته لا يكتب أبداً غرامياته .

- معنى ذلك أن أهم جانب فى حياة الفنان يختفى وهذا ليس صحيحاً .

قال همنجواى :

- أنهم يكتبون عن غرامياتهم بعد أن يتجاوزوا سن الشباب ويتعدونها ويعانون من الشيخوخة . . عند ذلك يكتبون ويترسلون . . فالكاتب يجب أن يكتب عندما يتحرر من قيود العاطفة والانفعال .

فى هذه الحالة يكتب بعمق .

وأضاف :

- كل مايمر بالإنسان يعتبر تجربة ذاتية لا يستطيع أحد انتزاعها منه . ومن الأفضل للكاتب أن يدخر الذكريات الضخمة حتى ينضج ويعرف كيف يقدمها للناس .

إذا كتب أروع ما عنده قبل النضج فلن يستطيع أن يرويه ، أو يقدمه مرة أخرى .

وعند المأساة بالذات ، ومهما آلتك يا ولدى . . انتظر . إن المأساة هى قمة الفن ، وهى أصعب الأشياء عند الكتابة ولا بد من معالجتها بعمق .

ولن تفقد قصة خاصة أبداً إذا لم تكتبها . دعها تتفاعل مع الزمن كما فعلت عندما قتلت أختى !

كتب الشاب هذه الأفكار فى مذكراته . وكتب الكثير عن حياة همنجواى الشخصية مع أخيه الأصغر .

وكان همنجواى يريد أحياناً مطيعاً يستمع إليه ، ويعجب به ، أى بشقيقه الكبير ، فهو لا يريد ناقداً ، بل يريد معجباً . . فحسب !

وكان يطلب ذلك من أفراد أسرته !

وينتهى العام الذى حدده الشاب لنفسه ويترك همنجواى ولكنه يظل يتابع أخباره وكتبه ويقارن بين ما عاشه عن قرب ، وما سمعه بعد ذلك .

ويستمر الشاب يقرأ عن كاتبه المفضل . . كيف تزوج ٤ مرات . والدرس الذى كان يعلمه لزوجاته وهو أن يجدن إطلاق الرصاص مثله . فقد سأل الشاب أستاذه :

- ما سر إفريقيا لديك . . لم تريد الذهاب للصيد ؟

قال :

- لأنى أريد أن أقتل . .

وتكون النتيجة النهائية ، أو قمة المأساة فى حياة الكاتب الذى يريد أن يقتل ، أن ينتحر فى سن الثالثة والستين بإطلاق الرصاص على نفسه .

وفى أول الأمر ظن العالم كله أن الرصاصة أنطلقت خطأ ، وأن الكاتب قتل . . . قتلته يده رغماً عنه !

ولكن أرنولد فكر طويلاً . .

وجد أن كاتبه يحسن استعمال البندقية والمسدس ولا يمكن أن يرتكب مثل هذا الخطأ .

وبعد سنة كاملة تأيدت شكوك وظنون أرنولد وثبت أن همنجواى قد انتحر !

والذكريات التى يحفظها أرنولد عن الكاتب كثيرة ، سواء تلك التى عاشها معه ، أو تفسيره للأحداث من خلال تجاربه .

ويوالى الشاب قراءة كل رواية لكاتبه ويرى كيف تحولت ١١ رواية إلى أفلام . . وهل عبرت السينما عن حياة الكاتب وأفكاره أم تخلفت .

ويتابع رد فعل أوروبا وأمريكا لهمنجواى . .

رأت أمريكا أنه قدم إليها أوروبا وإفريقيا والصيد ومصارعة الثيران فى أسبانيا .

بعد الشهور التي عاشها أرنولد مع همنجواي تركه ليكتب .
لم يؤلف أرنولد رواية واحدة ولكنه كتب بعض المقالات الأدبية في الصحف
والمجلات الأمريكية .
ولم يشتهر أرنولد بل عاش مثل الآلاف على الهامش ، يطالعه الناس ولا يذكرونه .
وكان يمكن أن يشتهر لو أنه نشر مذكراته عن كاتبه المفضل عام ١٩٦١ عند وفاته
ولكنه وجد أن هذه المذكرات لا تستحق النشر لأن عاماً واحداً في حياة أى كاتب لا تعبر
عنه ولا تقدمه ، كما ينبغي أن يقدم ، للناس .
وبقيت المذكرات حبيسة في أوراق الكاتب حتى مات عام ١٩٨١ بعد عشرين عاماً
من وفاة همنجواي .

لم تفتش ابنة أرنولد في أوراق أبيها أبداً . بل احتفظت بها للذكرى ترى أنها أشياء
مقدسة لا ينبغي أن تلمسها . . كما يفعل الناس مع ذكريات الآباء والأجداد والزوجات
والأبناء والأعزاء بعد الوفاة !

وهدأت عواطف ديانا - ابنة أرنولد - بعد سنوات من وفاة أبيها ، ورأت أن تقرأ ما
كتب من رسائل ومقالات لم تنشر وكتب لم تطبع فوجدت هذه المذكرات ورأت أنها
تستحق النشر فأصدرتها في كتاب حقق لأبيها من الشهرة ما لم تحققه مقالاته كلها .

لقد أراد أن يتعلم الكتابة من همنجواي . . وتعلمها فعلاً بعد وفاته ووفاء كاتبه ومن
خلال ما رآه وتعلمه في السنة التي عاش فيها معه يعمل ظلاً . . له .
ومن هنا كانت أهمية الكتاب . . فالكاتب ليس ناقدًا وليس معجباً فحسب . . إنه
كان صديقاً للكاتب وتلميذاً مريداً وخادماً فهو يعرف عنه أكثر مما يعرفه الكاتب نفسه

ولقد تكررت هذه التجربة الأدبية أخيراً ، وبصورة مختلفة مع نورمان ميللر الكاتب
الأمريكي نورمان ميللر . . في حياته .
طاف كاتب اسمه بيتر مانسو بهائة وخمسين من أصدقاء ميللر ليروى كل منهم ما يعرفه
عنه .

وجمع الكاتب ٧٠٠ صفحة أصدرها في كتاب عن حياة كاتب لا يزال على قيد الحياة
فليس شرطاً أن يكتب عن المشاهير بعد وفاتهم ، بل ربما يكون من الأفضل أن يقرأوا
مايقوله الآخرون عنهم للرد والإيضاح !

وكثير من أعلام الكتاب والشعراء والفنانين في العالم العربي والإسلامي يمكن
تقديمهم للناس بهذه الطريقة . . أن يتلمذ عليهم بعض هواة الأدب ، وشباب الأدباء
وطلبة الجامعة .

وليس المقصود بذلك تمثيلية هازلة ، أو القيام بتحقيق صحفي طويل عن
الكتاب . .

وليس المقصود أيضاً أن يدلى الكاتب الكبير ببعض الحكم والمواظ والنصائح للكاتب
الشاب فينقلها كما هي فتكون نسخة مكررة ومشوهة لآراء الكاتب بل الهدف الوحيد
لهذه العملية أن يقدم إلينا كبار الكتاب من خلال عيون بريئة ، ولكنها فاحصة ،
صديقة ولكنها أيضاً ناقدة ، تشرح عادات الكتاب وتقاليدهم وآراءهم وأخطأهم
الصغيرة والكبيرة .

ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الكتاب الشبان سيتعلمون الكثير .
وبعض الوظائف في بلادنا تشترط أن يقضى الخريج الجديد زمناً تحت التمرين حتى
يسمح له بالعمل كمحام مثلاً . .

فلم لا يكون عندنا « كاتب تحت التمرين » !

وتوجد طريقة أخرى لتشجيع المؤلفين الشبان ، تتبع في الغرب .
منذ سنوات اشترك الكاتبان الكبيران طه حسين وتوفيق الحكيم في كتاب رواية
« القصر المسحور » .

وهذه الفكرة تطبق الآن - على نطاق واسع - في معظم الدول تشجيعاً للشباب .

الكاتب الكبير - أى كاتب كبير - يشترك الآن مع أديب ناشئ في كتابة رواية .

والشاعر الكبير - أى شاعر كبير - يشترك مع شاعر شاب في تأليف قصيدة .

وفي الأغاني ، تأليفاً ولحناً ، نشأت عملية المشاركة بين الجيل العملاق والجيل
الشاب بهدف إعطاء الشباب فرصة ليتعلموا من الأجيال الرائدة وأيضاً ليحصل الشباب
على دعاية ضخمة .

وبعض الكبار أعلنوا - من الآن - تبرعهم بنصيبهم المادى من التأليف للكاتب والملحن الشاب .

والبعض قال بأن نصيبه سيذهب إلى جمعيات الشباب الأدبية والفنية .

وكثيرون وهبوا حصتهم لمسابقات يقتصر الاشتراك فيها على الشباب .

بالاختصار هذا المشروع يمنح شبابنا ، فرصاً ضخمة للشهرة والكسب والتعليم .

وقيل أن العمل الفنى فى هذه الحالة لن يكون عمل المؤلف الكبير أو الصغير بل سيكون من إنتاج طرف ثالث ينشأ عن امتزاج عقليتين وتفاعل جيلين وموهبتين .

وقد يقال أن طريقة كتابة الرواية فى هذه الحالة صعبة . ولكن رواية طه حسين وتوفيق الحكيم أعطت كلاً من الكاتين فرصة كتابة فصل كامل .

وإذا كان طه حسين قد بدأ كتابة الفصل الأول فإن توفيق كتب الفصل الثانى وهكذا .

والتجربة التى تجرى فى الخارج تتبع نفس الأسلوب حيناً .

والكاتبان يتفقان - أحياناً - على طريقة توزيع العمل .

أحدهما يضع عقدة الرواية وخطوطها الأساسية .

والثانى يتولى كتابة الرواية كلها فى ظل هذه الخطوط العريضة .

ويتولى الكاتب الكبير إدخال التعديلات التى يراها إذا لم يقم بعملية الكتابة كلها .

والرواية مجموعة شخصيات . . رجل وامرأة مثلاً .

ويمكن أن يقوم أحد الكتاب بكتابة الرواية من وجهة نظر الرجل .

ويتولى الثانى الكتابة من وجهة نظر المرأة .

أو يقوم كل منهما بكتابة فصل برواية أحد الأبطال بحيث يكون كل فصل متمماً للآخر ومكملاً له ويكشف عن تتابع الأحداث .

وهناك الكاتب الكبير الذى يتولى وحده كتابة الرواية ويكون الطرف الشاب خبيراً أليكترونياً أو طبيباً شرعياً أو مهندساً . . وهؤلاء قد لا يجسنون الكتابة ولكن لديهم الفكرة التى يصوغها الكاتب الكبير بحيث يتعلم الفنى الشاب كيف تحولت أفكاره إلى رواية .

وقد عارض بعض كبار الكتاب هذه الفكرة .

قالوا :

- الرواية والقصيدة والموسيقى والأغنية عمل منفرد ، أو عمل وحيد منعزل يضعها الإنسان وحده .
ولكن هذا الاعتراض انتهى عندما وجد مؤلفون كبار أن التفكير المزدوج أفضل من التفكير الفردى وأن العمل المشترك يعنى نصف العمل !
وقيل أن العمل السينمائي في أغلب الأحيان يتم بين عناصر متعددة فكتاب السيناريو كثيراً ما يكون شخصاً آخر غير كاتب الحوار ومع ذلك يبدو الفيلم وحدة واحدة متكاملة .

ويبقى سؤال :

- كيف يختار المؤلف الكبير . . الشاب الذى يشترك معه فى العمل الفنى ؟ .
وقد حلت هذه المشكلة . . .

كل مؤلف كبير يعرف من غير شك أسماء عشرات الشبان اتصلوا به أو قرأ لهم أو سمع بعض مؤلفاتهم . . ومن حق الفنان الكبير أن يختار شريكه فى العمل الفنى .
ويمكن أيضاً إقامة مسابقات فى كل الأعمال الأدبية والفنية المختلفة والفائز فى هذه الحالة من حقه أن يختار الأسماء الكبيرة اللامعة التى تشترك معه .
وتستطيع أن تتخيل الضجة الدعائية الضخمة التى تصاحب رواية يشترك فيها نجيب محفوظ ، وقصيدة يشترك فيها الأمير عبد الله الفيصل وكتاب دينى يؤلفه أحمد عبد الغفور العطار أو الشيخ متولى الشعراوى مع روائى وشاعر وكاتب دينى شاب .

جوائز للعباقرة

ظل ثلاث سنوات يطالع رسائل ومذكرات ، وأبحاث علماء الأحياء والكيميائيين ويقراً كتبهم ويراجع دراستهم ليعرف ظروف حياتهم وأحوال معيشتهم وكيف تعلموا والمشكلات التي واجهتهم ليصل إلى السر الذي جعل هؤلاء العلماء يكتشفون شيئاً لم يستطع الآخرون الوصول إليه .

ولم يكتف بذلك : طالع المناخ العلمي الذي كان سائداً في كل فترة عاش فيها أحد العلماء ومعاصروه .

وفي العام الرابع ألف كتاباً جديداً اسمه « الاكتشافات » هدفه تشجيع الجيل الجديد من العلماء على أن يكونوا بدورهم مكتشفين ببيان الوسيلة لذلك من خلال من سبقوهم وهي النظر بعمق وإمعان إلى كل شيء حتى يمكن رؤيته بطريقة مغايرة ومختلفة تماماً .

ومن ناحية أخرى ليعرف الشباب أن الطريق ليس سهلاً أمام عالم فإن الآخرين تعذبوا وكافحوا وأصيبوا باليأس كثيراً وراودهم أمل قليل ولكنهم انتصروا في النهاية بفضل عامل واحد هو الصبر .

وكان المؤلف نفسه روبرت روت ملتزماً بقاعدة الصبر وهو ينتظر هبة ، ومنحة ، تساعده على القيام بهذه الدراسة .

وجاءته النجدة دون أن يطلبها ، بلا استغاثة وعلى غير انتظار فقد تلقى من مؤسسة ، أو معهد ماك آرثر الأمريكي أنه اختير ليفوز بمنحة قدرها ١٥٢ ألف دولار خلال أربع سنوات ، وأن شيكات متتابعة بالمبلغ ستصله على أقساط كل شهر .
وقالت المؤسسة في رسالتها :

- لن نطلب رد المبلغ في يوم من الأيام .
- ولا نريد كشف حساب .

● أنت في الحادية والثلاثين من عمرك . وعرفنا أنك تقرأ الآن تاريخ العلماء وتطمح إلى تأليف كتاب عنهم . فإذا رغبت في تأليف الكتاب فهذا شأنك وإذا عدلت فالقرار قرارك وسيصلك المبلغ كل شهر فإذا أردت إيداعه في البنك وحصلت لنفسك على الفوائد فهذا من حقتك أيضاً .

باختصار هذه ١٥٢ ألف دولار موزعة على ٤٨ شهراً . . هي لك . وقد يبدو هذا الخطاب الذي يتضمن شروط المنحة غريباً غاية الغرابة لم يسبق أن تلقاه باحث ، أو دارس ، أو هاو ، ولكن هذا بالضبط ما تفعله هذه المنظمة الوحيدة من نوعها في العالم .

وفي كل المنظمات التعليمية والعلمية والخيرية ترتبط الجوائز والمنح بشروط أهمها تقديم كشف الحساب ومتابعة الدراسة والمراقبة عن قرب ، أو عن بعد ، إلا في هذه المنحة التي تريد من صاحبها أن يكتشف قدراته الخلاقة وأن يحاول استغلالها على الهواه .

* * *

كنت في الولايات المتحدة عام ١٩٨١ عندما أعلن عن هذه المنح . يومها انتقد قرار المؤسس^٣ بن إنها مغامرة بأموال الناس الذين تبرعوا لباحثين . وقيل أن الطامعين والأنانيين واللصوص ومدعى العلم سيزحفون لنيل هذه المنح . وقيل أن الأموال سيأخذها الذين لا يستحقون . وطالبت هيئات جامعية بأن تكون هناك مسابقة لاختيار الفائزين . وارتفعت أصوات تشرط سناً معينة للفائزين ، ودرجة علمية ووظيفة آمنة وضماناً من بنوك .

ولكن المؤسسة رفضت هذا كله وقالت : الباب مفتوح للجميع . والشرط الوحيد ألا يتقدم أحد يطلب للحصول على هذه المنحة حتى لا تكون هناك ضغوط على القائمين بالعمل والذين يختارون المرشحين .

وقامت المؤسسة باختيار مائة من العلماء وأساتذة الجامعات في مختلف الفروع والأدباء والفنانين من موسيقيين ونحاتين وشخصيات عامة وبعض الحرفيين .

وقيل للأعضاء المائة :

- أنتم تطالعون الصحف والمجلات العلمية والأدبية ، وتتصلون بالناس في ولايات أمريكا المختلفة فاختراروا من تشاءون .

قيل لهم :

- وكيف نختار؟

قالوا :

- كل منكم يختار وتوزع الأوراق عليكم جميعاً . وكل يكتب رأيه للمؤسسة . وهكذا أصبح المائة الذين لا يعرف أحدهم الآخر لجنة عامة ترشح من تشاء لنيل مبلغ يصل في بعض الأحيان إلى ربع مليون دولار موزعة على ٤ سنوات . وهناك لجنة أخرى من ١٥ عضواً يجتمعون ، لاختيار الفائزين .

وتعلن الأسماء مرتين في كل عام . والفائزون سنوياً يصل عددهم إلى الأربعين . وعندما يصلهم القرار بذلك من المؤسسة . وفيه ضمان بأن الشيكات لن تتوقف خلال السنوات الأربع حتى لا يتجمد أحدهم في منتصف الطريق .

ومن بين الـ ١٦٦ الذين فازوا في السنوات الماضية اكتفى اثنان فقط بالحصول على المبالغ وأودعوها البنوك وحصلوا على فوائدها المتراكمة . ولم يقدموا إنتاجاً .

ولم تعلن المؤسسة اسميهما فليس الهدف التشهير بأحد ، كما أن لجنة الـ ١٥ لا تريد أن تعترف بأنها أساءت الاختيار أو بددت عبثاً أموال المتبرعين ولذلك لم تطالب الرجلين برد المال .

ولكن الباقين قدموا إنتاجاً فنياً رائعاً .

● ناقد أدبي ألف خلال السنوات الست الماضية ستة كتب في النقد الأدبي وجمع آلاف القصص القصيرة والقصائد لمؤلفين مجهولين .

● وأستاذ متخصص في علوم البحار طاف بسواحل متعددة ليقدم كتاباً عن الأسباب التي تؤدي إلى التغيير المؤقت في المناخ .

● وشاعر روائي كان يقرأ الشعر في الإذاعة ، وفي المدارس ليكسب من ذلك ما يعينه على الحياة . ولكنه بعد أن تحرر من الحاجة للمال اتجه إلى العمل الذي يحبه وهو تأليف أول مجموعة من قصائده ونشرها يوم الاحتفال بعيد ميلاده الثمانين فإن المنح ينالها الشباب والشيوخ أيضاً .

● ومصور بدأ يضع المجلد الأول من ٢٥ مجلداً عن التماثيل والرسوم في أمريكا الوسطى .

● وعالم اجتماع ومحام اسمه لورانس روزين ألف كتاباً عن العلاقات الاجتماعية في قرية مغربية وهو يعد الآن مؤلفاً ثانياً عن المحاكم الشرعية الإسلامية .

● ومؤرخ في جامعة برنستون اسمه روى موتاهيد انتهى من مجلد ضخيم اسمه «عبادة النبي» عن تطور الثقافة الإيرانية في ألف سنة ودورها في الأحداث الأخيرة .

● وطبيب نفسى درس تأثير الأزمات الاقتصادية والاجتماعية على الأطفال ولكنه استطاع بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار تأليف ثلاثة كتب عن الحياة الأخلاقية للأطفال و«الحياة السياسية للأطفال» و«القيم الدينية والروحية للأطفال» و«كيف تجعل الحياة ذات معنى وهدف» .

وعشرات من الكتب لرجال ونساء كانوا ملزمين بكتابة أبحاث جافة أو إصدار كتب عادية أو تافهة بقصد الحصول على مال يعينهم على تحقيق الهواية التى يحبونها .

وكان كثيرون يقومون بأعمال روتينية وظيفية للحصول على الراتب الشهري ولديهم الأمل فى التفرغ . ولكن المنحة حررتهم من القلق المالى ، والضغط النفسى ، والتوتر العصبى ، ليفعلوا ما بدا لهم متابعين ملكاتهم الخلاقة ، تحت شعار يقول للجميع :

- افعلوا ما بدا لكم .

وعندما لاحت لهم الفرصة وأمنوا مصدر الدخول انطلقوا - وبالذات فى المجال الأدبى والفنى - يجمعون أدب المجهولين الذين رحلوا دون أن تلمع أسماؤهم فاحتواها البريق وأحاطت بها الشهرة عن طريق منح لم تشمل أصحابها . ولكن الذين فازوا رأوا أن واجبهم كشف معادن الناس الفنية والأدبية تماماً كالذهب والبتروى وغيرهما من المعادن التى كانت تحت تراب النسيان .

وفوجئت المؤسسة بأن ميدان الفن والأدب لا يقتصر على العباقرة الذين تحدثت عنهم كتب التاريخ بل هناك كثيرون لاحت لأسماؤهم الشهرة من وراء القبور .

وانطلقت مواهب خلاقة كانت مكبوتة فظهر أدب جديد ، وشعر حديث وأنغام وأحلام لأن الجوائز والمنح والمساعدات لاتريد من أصحابها أن يؤلفوا فى موضوع بالذات ، أو فى مجال محدد . فهذه المنح للتفرغ فعلاً وإن كان هذا النوع من التفرغ غير مألوف .

في الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية وفي المجال الأدبي يقال للناس :
- نريد كتاباً في اللغة وفي موضوع كذا .
أو :

- هذا مجال التخصص لك في تلك النقطة بالذات دون غيرها .
ولا يستطيع أحد أن يخرج عن الموضوع بحال من الأحوال ، وإلا ألغيت المنحة أما
هنا فالفائز يقرر مصيره ومستقبله وعمله .

ولا يستطيع أحد السعي للجائزة فالطلبات لا ينظر فيها .

وقد يقال أن اللجنة تختار رجالها وأصحابها وأنصارها . وقد يصح هذا في حالات
قليلة . ولكن من الصعب أن يتفق مائة على ذلك كما أن هؤلاء المائة لا يعرفون لجنة
الـ ١٥ صاحبة القرار النهائي مما يضمن حسن الاختيار ، لا عدالة الاختيار ، فقد
لا يعرف الجميع موهوبين في مناطق منعزلة ، أو لا تكتب عنهم الصحف أو تشير إليهم
الجامعات .

وبعد هذا النجاح امتدت الجوائز إلى غير الأمريكيين في بلاد بعيدة بقصد خدمة
الثقافة والعلوم والفنون .

ولا يقتصر تشجيع الأدباء والفنانين والباحثين على هيئات حكومية وجمعيات خيرية
وأفراد يتجمعون ليتبرعوا بل أن دور النشر تفعل .

إذا ذهبت إلى أية مكتبة في فرنسا قبل أيام من عطلة عيد الميلاد ، ورأس السنة ،
فستجد زحاماً من الزوجات ، بالذات ، وكل منهن تقول للبائع هذه الكلمات :
- اعطني « الجونكور » .

وقد تظن على الفور أن هذا الاسم لكتاب شهير تطلبه كل ، أو معظم ، نساء فرنسا
في تلك الأيام . ولكن الحقيقة أن الاسم لأشهر جائزة أدبية للرواية تعلن في أواخر
نوفمبر وتشتريها الزوجات ليطلعهن الأزواج ، والزوجات أيضاً في فترة العطلة وهم على
يقين من أن الكتاب يستحق القراءة مادام قد فاز بالجائزة الشهيرة .

ويخطيء من يعتقد أن جائزة مالية ضخمة تمنح للكاتب الفائز فإن قيمة الجائزة
لا تتجاوز ١٥ دولاراً تقريباً بينما يحصل كل عضو من أعضاء لجنة التحكيم العشرة على
أكثر من ألف دولار !

ومع ذلك فإن المتقدمين للجائزة يصل عددهم سنوياً إلى نحو ٥٠٠ روائي هدفهم الفوز بالجائزة لأنها تقدم لهم الشهرة وترفع توزيع الكتاب - على الفور - إلى نصف مليون نسخة تقريباً فيتحقق الربح الضخم من أرقام التوزيع وحدها .

وهناك جوائز كثيرة للراوية في فرنسا ولكن « الجونكور » أشهرها نتيجة عامل واحد وهو أن الذين يمنحون الجائزة من كبار الأدباء وأساتذة الجامعات ورجال المسرح وأهل الفن وقد فاز بها أخيراً الكاتب المغربي الطاهر بن جلون عن روايته « ليلة القدر » .
ومن ناحية أخرى فإن القيمة المادية الصغيرة للجائزة أكدت للقراء أن المؤلف المتقدم للفوز لا يريد مالا وإنما يبغى شهرة تسعى إليه في أعقاب الجائزة .

وقيمة الجائزة وأتعاب لجنة التحكيم تجيء من حصيلة بيع كتب وروايات ومذكرات الشقيقتين جول وإدموند اللذين عاشا في فرنسا في القرن التاسع عشر يؤلفان معاً فيظن الإنسان أنها توأمان . ولهما كتب في التاريخ والاجتماع وروايات متعددة ولكنها اشتهرا بمذكراتهما عن أشهر أدباء وفناني العصر تورجنيف ، وبلزاك ، وفلوبير ، وفيكتور هوجو ، وإميل زولا ، وموباسان ، وجورج صاند وعشرات غيرهم .

وكان بيت الشقيقتين يجمع عظماء الأدب والفن والشعر والمسرح في فرنسا كل ليلة وكان الشقيقان يسجلان مذكراتهما بعد انصراف الجميع .

وفي هذه المذكرات طرائف ونوادير وحكايات وفضائح عاطفية عن هؤلاء الكتاب والفنانين جميعاً . وقد كتب جانب من هذه المذكرات باللغة الهيروغليفية !

وقبل وفاة آخر الشقيقتين آدموند عام ١٨٩٦ عهد بمذكراته إلى المكتبة الوطنية في باريس وأوصى ألا تنشر إلا بعد عشرين عاماً من وفاته .

وجاء موعد النشر عام ١٩١٦ والحرب العالمية الأولى مشتعلة في فرنسا ولكن ورثة وأحفاد الكاتب ألفونس ودديه والصحفي ألفونس ليون دوديه أقاما دعوى طلبا فيها حذف كل ما ورد في المذكرات مما قد يسىء إلى الكاتبتين .

ولكن القضاء الفرنسي رفض الحذف ، وإرجأ نشر المذكرات حتى يوارى التراب آخر الكتاب الذين وردت أسماؤهم في تلك الصفحات .

ولم تنشر المذكرات إلا عام ١٩٥٤ - أى بعد ٥٧ سنة من وفاة آدموند - وترجمت إلى عدة لغات لأنها تين روح العصر الذهبي للأدب والفن الفرنسى والذكريات التادرة عن أولئك الذين صنعوا مجد فرنسا الأدبى .

والجدير بالذكر أن البيت الذى أقام فيه الشقيقان ٢٦ عاماً فى باريس تقلب عليه ملاك كثيرون ولكن بلدية باريس اشتريته عام ١٩٢٠ بعشرة أضعاف الثمن الذى دفعه الشقيقان . وسمحت البلدية للمالك بأن يقيم فيه حتى وفاته ثم تحول البيت بعد ذلك إلى متحف يقبل على زيارته عشاق الأدب من كل مكان .

ولا تعلن جائزة « جونكور » التى بدأت عام ١٩٠٣ من هذا البيت بل أنها تذاق من أشهر مطاعم فرنسا « دوران » بينما يتناول أعضاء لجنة التحكيم أجمل أسماك البحر ، ويقف المتقدمون للمسابقة على باب المطعم ينتظرون خروج الأعضاء ومعهم الشهرة لشباب المؤلفين !

وتعتبر هذه الجائزة أحد أسباب شهرة الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار زميلة سارتر .

فقد فازت بالجائزة عام ١٩٥٤ عن روايتها « الماندرين » - أو اليوسفى - فبيعت مائتا ألف نسخة من الرواية فى أيام قليلة .

وقبل الجائزة كانت تقيم فى شقة مفروشة من حجرة واحدة فى حي شعبى واشترت سيارة بقرض من الناشر ، كما طلبت منه أن يمنحها ثلاثين جنيهاً كل أسبوع من حصيلة بيع روايتها لتعيش .

ولكن الرواية بعد الجائزة - جلبت لها إيراداً بلغ ٢٥ ألف جنيه فى نفس السنة .

وتحاط الجائزة بدعاية واسعة من التكهنتات والتوقعات والدعاية المحسوبة من لجنة التحكيم ومن الناشرين أيضاً .

وهوجمت الجائزة من أكبر النقاد الفرنسيين .

قالوا أن مشاهير الكتاب لم يفوزوا « بالجونكور » أبداً . فلم يحصل عليها أندريه جيد أو فرنسوا مورياك أو سارتر أو كامو أو سانت اكسوبرى .

وقالوا إنها اشبه بورقة اليانصيب يلعب فيها الحظ - لا الأدب - الدور الأساسى !

ورغم هذا كله فإن الذين يفوزون بالجائزة وبعض الذين يخسرون أيضاً يحققون شهرة ويتقدمون إلى الصفوف الأولى لأن الجائزة تعد فرصة لا تتكرر ، حتى أن البعض اطلقوا على أعضاء لجنة التحكيم لقباً جديداً وهو أكاديمية « جونكور » .

وإذا كانت الجائزة تعتبر شهادة تقدير لشباب المؤلفين ، فإن فرنسا كرمت الشقيقتين بكل الطرق في السنة التالية لانتهاى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٦ .

وبمناسبة مرور نصف قرن على وفاة آدمون دى جونكور أقامت الحكومة الفرنسية معرضاً لأعمال الشقيقتين في متحف اللوفر الشهير . . لتبين العصر الذى عاشا فيه .

في المعرض شهادة ميلاد الشقيقتين وصورهما ومخطوطات كتبهما وكتب معاصريهما وبعض آثار الجميع . . عصا توكأ عليها هذا الأديب أو ذاك ، ومكتب جلس إليه ، أو مائدة تناول عليها طعامه ، والمحادثات الخاصة للجميع ، والطبعات الأولى لكتبهم .

وفي المعرض أيضاً الخطب التى قيلت يوم وفاة الشقيقتين ، وما قالوه عن أدباء العصر وفنانيه وصور أصدقائهم وأسرههم أيضاً .

ويستطيع المشاهد أن يتخيل ما يشاء وهو يرى هذا كله ولكنهم في فرنسا يكررون هذا المعرض في المكتبات العامة لإثارة اهتمام الجيل الجديد ، وبالذات في سنة الشباب ، بكبار أدبائهم وفنانيهم .

وفي كل بلاد الدنيا توجد جوائز أدبية الهدف منها تشجيع الشباب على الكتابة . . والفن .

في شركات السينما والمسرح والاسطوانات ودور النشر في العالم يوجد « مدير للمواهب » مهمته التفتيش عن أصحاب المواهب الذين يغنون ويرقصون ويمثلون ويكتبون .

وتعتبر هذه الوظيفة أهم الوظائف في هذه المنظمات لأن الرجل يبحث عن الموهوبين في كل المجالات ، يشجعهم ، ينصحهم ، يأخذ بيدهم يوجههم ، يقنعهم ، يدلمهم على الطريق السليم الذى يستفيدون منه ، ويفيدون منه المجتمع .

وقد حان الوقت لإيجاد هذا المنصب في العالم العربي ، في الفرق المسرحية ، في الأفلام ، في المؤسسات الأدبية ، في الرياضة وفي كل المجالات .

ومدير المواهب لابد أن يكون رجلاً كبير القلب ، كبير النفس ، لا يحقد ، ولا يحسد . بل يتبنى أصحاب المواهب . يلمس الموهبة عن بعد مثل الخبراء النوويين وخبراء البترول وخبراء الأرصاد والباحثين عن الآثار !

مهمته أن يستشعر الموهبة يحس بها ، يلمسها ، يتحسسها ويساعد صاحبها بكل الطرق .

ومهمته إذا وجد أن صاحب الموهبة لا يعرف نفسه ، أو يخطئ في الاستدلال على موهبته يدلّه عليها ويحسن توجيهه ويعطيه المساعدة المادية والأدبية .

« ولويزفيل » هي أمدنية المسرح في الولايات المتحدة لأنها تقيم في خريف كل عام مهرجاناً دولياً للمسرح تشترك فيه الدول المختلفة .

يعلن اتحاد الممثلين في المدينة سنوياً عن قبول المسرحيات الجديدة فتقدم إليه ٥٠٠٠ مسرحية في المتوسط .

ويوجد ١٢ خبيراً يطالعون هذه المسرحيات جميعها ويختارون منها المسرحيات الفائزة .

وحتى لا ينفرد أحد الخبراء بالقرار فيحطم مستقبل كاتب ناشئ عندما يرى أن مسرحيته لا تصلح ، فإنهم يشترطون أن يطالع ثلاثة من الخبراء كل مسرحية أو أحد فصولها ، على الأقل ، حتى يمكن ضمان الجودة والنزاهة .

وهناك شرط آخر يفرض على كتاب المسرح . إنهم يطلبون من الكاتب الناشئ أن يكون عدد أشخاص المسرحية محدوداً . ويصرون على أن تكون المشاهد بسيطة لا تتكلف مالاً .

والهدف في كل الأحوال التوفير لمساعدة أكبر عدد من الكتاب وتقديم كل ما يمكن تقديمه من المسرحيات . إن الرواية الأولى للمؤلف الشاب لا تباع ، في أغلب الأحوال ، سوى ألفى نسخة ولا بد من تشجيع أو دفعة قوية .

ومن هنا نشأت في العالم فكرة الجوائز التي تركز على الشهرة كما هو الحال بالنسبة لنجوناكور ، أو تعتمد على المال كما يحدث في بريطانيا وأمريكا فإن قيمة الجائزة للمؤلف

الشباب الذى يقل عمره عن ٣٥ عاماً تتراوح بين ١٥ ألف جنيه فى بريطانيا وهو الحد الأدنى لقيمة بعض الجوائز ، وتصل فى أمريكا إلى أكثر من ١٠٠ ألف دولار .
ومعظم الروايات الفائزة ، بما يحيط بها من دعاية - يعاد طبعها - وتتحول إلى أفلام سينمائية وتليفزيونية وأفلام فيديو وأحياناً مسرحيات . ولذلك فإن الجائزة تجعل الكاتب الشاب الموهوب يعبر المراحل الأولى من كفاحه فى سهولة ويسر .
وقيمة الجوائز تأتي من دور النشر والحكومة ومجالس الفنون والآداب ووزارات المعارف والثقافة والشباب ومن الولايات والمحافظات وأيضاً من كبار الكتاب وتبرعات الأفراد .

فى أمريكا تركت سيدة ثروتها ليستغل ريعها فى منح جائزة أدبية . ولم يكن أحد يعرف أن هذه السيدة تملك ثروة .

ولم يعرف أحد أن هذه السيدة حاولت أن تكون روائية وفشلت ورأت أن تجنب الشباب خيبة الأمل التى يصادفها الروائيون وهم يتعثرون فى محاولتهم لنشر إنتاجهم .
وسر شهرة نجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار وبعض كبار كتاب مصر يرجع إلى موهبتهم من ناحية وإلى الجوائز التى منحت لهم فى بداية مشوارهم الأدبى الطويل .

وقد نشرت مجموعة أحاديث للروائيين الفائزين بهذه الجوائز عن مصدر إلهامهم ووحيمهم أو من أين جاءت أفكارهم والعقدة التى قامت عليها رواياتهم .

اعترف البعض بأن الرواية ماهى إلا قصة حياة الكاتب أضيفت إليها لمسات خيال .
ولكن اعترف آخرون بأنهم كتبوا عن بلاد لم يروها ، وأشخاص لم يقابلوهم فى حياتهم ، ولم يعرفوهم أبداً .

كاتب فى أمريكا جرت أحداث روايته فى معسكر لأسرى الحرب فى ألمانيا مع أن الكاتب لم ير ألمانيا فى حياته ، وإنما شاهدها فى لقطات تليفزيونية محدودة . وهذا الكاتب ولد بعد الحرب فلم يسمع دوى قنبلة ، ولم يشاهد حطام مدينة . ولم يستقل طائرة حربية أو مدنية ! ومع ذلك فازت روايته لأنه أحسن الخيال من ناحية وقرأ ودرس ويبحث فى تاريخ هذه الدول وجغرافيتها أيضاً .

والأمثلة كثيرة . .

وكلها تدور حول نقطة واحدة وهى أن الكاتب يتعلم كل شىء .

ويقول أحد الشعراء أنه كان يقرأ دليل التليفون ويعى الأسماء والأرقام وكأنها أبيات الشعر ويضع لها الأنغام والأوزان . فالشعر موهبة وهو علم أيضاً .

ولكن ازدحام المكتبات في فرنسا قبل عيد الميلاد بالراغبات في شراء كتب لتسلية أنفسهم والأزواج تبين أهمية الكتاب كرسول الحضارة .

الناس في فرنسا ، وفي أوروبا بصفة عامة ، يعتبرون الكتاب أفضل هدية في العطلة الصيفية ، وفي المستشفيات ، وفي كل المناسبات .

أما نحن في العالم العربي - فالهدايا التي نتبادلها إما زهور أو طعام . . والطعام هو الصنف الغالب من الهدايا .

إذا أردنا أن نزر مريضاً لا يأكل نحمل إليه الحلوى أو الشيكولاتة .

وإذا دخلنا بيتاً لأول مرة فنوع الهدية - الحلوى أو الشيكولاتة - واحد لا يتغير ، ولا يتبدل .

وإذا أردنا أن نكافئ طفلاً صغيراً يحب على يديه وقدميه أو رغبتنا في تشجيعه وتحريضه على العمل فالحلوى هي الهدية والحافز .

والعالم كله يرى أن العلم سلاح للتقدم ولذلك فإن . . هدية الكتاب أفضل الهدايا .

إنها الحافز على التفكير ، وهي التي تشجع على العمل ، وترفع المستوى وتنمي القدرات والمواهب .

وإذا استطعنا أن نغرس في نفوس الأجيال الشابة فكرة أن أجمل ما في الحياة هو الكتاب فإننا نحول التفكير الإنساني في بلادنا إلى اتجاه جديد .

والجوائز الأدبية هي التي تجعل الكتاب يروج ، وتؤدي إلى انتشار الرواية فالرواية تراجع هذه الأيام، وأكثر الكتب رواجاً في الغرب عن التجميل والصحة والعقول الإلكترونية . ولكنهم يرون أن الرواية تطلق الخيال ، وتغرس القيم في المجتمع . وقصة نجيب محفوظ الأولى التي فازت بجائزة وزارة المعارف كان عنوانها « كفاح طيبة » عن البطل المصري أحسن الذي قاد جيش مصر وشعبها لطرده الهكسوس !

ولذلك يمكن أن تخصص جوائز للروايات التاريخية إنغرس في نفوس الشباب من خلال أحداث تاريخية معينة قيما عليا للدفاع عن الوطن .

ولكن الأهم من هذا كله أن تكون الجوائز في كل تجمع في البلاد . . واحدة لطلاب المدارس الثانوية في منطقة ، وطلاب الجامعات في منطقة أخرى ، وهكذا، وأن تشمل نواحي الحياة المختلفة وعندما تقرأ الشعوب فإنها تنضج ، أو تسرع إلى النضج والنمو .

وقديماً قالوا: الإنسان حيوان اجتماعي ، ويجب أن يتميز الإنسان عن الحيوان بأنه مخلوق يقرأ . . وهو قارى !

الكتاب الشعبي

قصد الشاب إلى الناشر الكبير وقال له :

- أريد إعادة طبع كتبك فهل توافق ؟

أجاب الناشر بالنفي ورد بصوت حاد :

- أنت موظف عندي فهل تريد أن تكون ناشراً « من الباطن » ؟

قال الشاب :

- لقد استقلت .

وأضاف :

- الآن !

فقال الناشر :

- هذا سبب يدعوني ، قبل غيره ، إلى الرفض .

قال الشاب :

- ولكنني لن أنافسك . إن متوسط ثمن الكتاب الذي تنشره حوالي ٤٥ قرشاً .

ولكنني سأبيعه بستة قروش

قال الناشر وهو يضحك

- ستخسر رأس مالك في أيام ، وسأسبقك إلى الإفلاس أو أتبعك . ستغرق

السوق بكتبي ، وبسعر تافه .

قال الشاب

- سأصدر طبعة شعبية بورق رخيص . وسيكون الثمن حافظاً للناس على الشراء .

وسيدفعهم ذلك إلى قراءة الكتاب والاستغناء عنه . سأبيعه في مواقف الأتوبيس ،

ومحطات القطارات وسيوزع كالمجلات مع باعة الصحف . ويمكن للإنسان بعد

قراءته ، أن يتركه في أي مكان أو يلقيه في سلة القمامة أو يدع الآخرين ينتفعون به .

سيكون كتاباً يضعه الناس في جيوبهم .

قال الناشر ساخراً :

- الناس يابنى تحب الاحتفاظ بالكتب في مكتبة البيت . إنه جزء من زينة المكان .

قال الشاب :

- أريدهم أن يطالعوه فحسب . لا أريد تأييد ، أو تأسيس ، مكتبات في البيوت ، بل في العقول !

قال الناشر :

- أعط نفسك فترة من الهدوء لإعادة التفكير . وسأوافق على سحب استقالتك رغم أنى لم أعد أثق بك كثيراً .

قال الشاب :

- سأنفذ مشروعي .

قال الناشر في غضب :

- ستجوع وستندم ولن أتسامح معك أبداً .

ولكن الشاب « ألين لين » مضى في طريقه من ناشر إلى آخر حتى عثر على الرجل المناسب .

قال له العجوز الجريء :

- وكم ستلحق لي ثمناً لحق نشر كل كتاب ؟

قال الشاب :

- لن أدفع شيئاً فإن العقود مع المؤلفين لا تتضمن نصاً بأحقية المؤلف في شيء من ثمن النسخة المباعة في الطبعة الشعبية لأنه لا توجد طبعات شعبية حتى الآن .

قال العجوز :

- بل أريد نفس النسبة التي ندفعها نحن للمؤلفين فمن حقى أن أربح .

وبدأت المساومة التي انتهت بموافقة الشاب على أن يدفع للناشر أربعين في المائة من القرش عن كل نسخة يطبعها سواء بيعت أم رفضها القراء .

وانتقل النقاش إلى العربون .

قال العجوز :

- كم ستدفع ثمناً لكل كتاب .

قال الشاب :

- سأدفع ٢٥ جنيهاً كعربون عن كل كتاب أعيد نشره .

قال العجوز :

- وكم كتاباً ستشتري حقوق نشرها .

قال الشاب :

- عشرون كتاباً .

قال العجوز :

- أريد ٤٠ جنيهاً مقدماً أى ٨٠٠ جنيه فما رأيك ؟

قدمها الشاب راضياً .

وهكذا ظهر الكتاب الشعبى لأول مرة فى إنجلترا عام ١٩٣٥ باسم سلسلة -
بنجوين - ومعناها البطريق .

وهوجم المشروع من الناشرين والمؤلفين والصحف والقراء .

وعاش الناس فى هزة ستة شهور كاملة أحسوا خلالها بأنهم يعيشون فترة تطور
فكرى ضخمة وأنهم يطالعون الكتب الغالية - بمقاييس ذلك الزمان - بثمن بخس !
وبدأ النجاح . .

فى السنة الأولى باع مليون نسخة .

وشهدت فى لندن الاحتفالات التى جرت بمناسبة مرور خمسين سنة على هذا
المشروع الذى سجلت مبيعاته من الكتب بليون نسخة .

وانتقل المشروع من إنجلترا إلى كندا ، والولايات المتحدة ، وأستراليا وأصبحت لدار
النشر فروع فى هذه الدول تحمل نفس الاسم .

وقررت الهند بمناسبة الاحتفالات أن تنشىء فرعاً لدار النشر يخصص لكتب المؤلفين
الهنود !

وفى كل الدول والقارات قيل أن المشروع تمهيد للجامعة التليفزيونية المفتوحة

لأنه يعلم ويثقف الذين يحملون درجات جامعية والذين يعرفون القراءة والكتابة .
فحسب .

وإذا كان ثمن الكتاب في البداية ، قبل نصف قرن ، يعادل ستة قروش فإن هذا
المبلغ يعادل ستين قرشاً هذه الأيام .

وإذا كان ثمن الكتاب الأصلي ٤٥ قرشاً عام ١٩٣٥ فإن ذلك يعادل ٩ جنيهات في
الوقت الحاضر .

لكن الكتاب الشعبي لا يباع الآن بستين قرشاً بل يتراوح الثمن بين جنيهين ونصف
وأربعة جنيهات أى أن ثمن الكتاب الشعبي أصبح يعادل ثلث أو أقل من نصف ثمن
الكتاب الغالى بعد أن كان ثمن الكتاب ثمانية أمثال ثمن الكتاب الشعبي . . والأسباب
لذلك كثيرة أهمها ارتفاع أسعار الورق وأجور العمال العالية .
ولكن الكتاب الشعبي حقق لدار النشر أرباحاً خيالية .

لقد استطاعت أن تنشئ خمس دور للنشر ونشرت كتباً غالية الثمن تصدرها مع
الكتاب الشعبي في نفس الوقت .

ويباع من الكتاب الشعبي سنوياً ما قيمته ٩٠ مليوناً من الجنيهات .
وتصدر الدار ١٢٠٠ كتاب كل عام .

أما الأرباح فوصلت إلى ١١ مليون جنيه في السنة .

وكان أكبر دليل على النجاح أن دار النشر رأت أن تتحول إلى شركة مساهمة فعرضت
أسهمها للاكتتاب العام فغطى المساهمون ثمن الأسهم ١٥٠ مرة . . أى ١٥٠ ضعفاً
للثمن المطلوب |

وأصبح موضوع الكتاب يعرف من عنوانه . .

اللون البرتقالى للروايات العاطفية . .

واللون الأحمر للأدب القديم . . الكلاسيكى .

واللون الأزرق الفاتح للكتب الحديثة الجادة .

وأخذت دار النشر تصدر كتباً شعبية لأول مرة . فلا تعيد طبع الكتب القديمة
الغالية بل تقول للمؤلفين :

- أصدروا كتبكم في طبعة شعبية تريحون أكثر .
ودفعت مقدمات - عرايين - للمؤلفين وصلت إلى نصف مليون جنيه للكاتب إيفنج
دالاس عن إحدى رواياته .
وقدمت كتابين في كل عام للكتاب الجدد تضم آراءهم وأفكارهم وقصصهم القصيرة
وأشعارهم .
ولم تقتصر على المؤلفين في بريطانيا وكندا والولايات المتحدة وأستراليا بل ترجمت مؤلفات
الكتاب الجدد في كل مكان .
واستطاعت دار نشر الكتاب الشعبي أن تغير عملية النشر تماماً في الدول الأربعة .
كانت مبيعات الصحف والمجلات تزيد كثيراً عن الكتب سنوياً .
الآن أصبحت مبيعات الكتاب الشعبي تزيد بنسبة ٢٤٪ كل ١٠ سنوات بينما تزيد
الصحف خلال تلك المدة بنسبة ١٧٪ والمجلات ١٣٪ .
وأعطت للمؤلفين نسبة من حقوق التأليف عن إعادة طبع كتبهم وبذلك ربح
المؤلفون والقراء .
وكان أكبر دليل على النجاح أن هذه الدار اشترت أخيراً دار النشر التي رفضت
المشروع في البداية بـ ١١ مليون جنيه !
وهي لا تهتم بالكم أو الكيف بل تريد الاثنين معاً .
نشرت ٤٦ كتاباً عن مباني إنجلترا التاريخية .
وباعت مليون نسخة من كتب برنارد شو ومثلها من هـ . ج . ويلز .

ولكن هذه الدار خلال نصف قرن لم تصدر كتاباً واحداً لمؤلفين من المسلمين
والعرب .
لم تترجم كتاباً لأحد منهم ولم يقدم إليها الناشر العربي والمسلمون ووزارات الثقافة
والإعلام في العالم العربي والإسلامي كتاباً واحداً ينشره ليوزع على نطاق واسع
وبذلك ينتشر آدبنا وأفكارنا ويكون هذا مقدمة تسمح لفكرنا بالحصول على جائزة
نوبل . . في سنة ما .

ومن ناحية أخرى فلا توجد دار نشر في عالمنا العربي والإسلامي تهتم بمراجعة قوائم هذه الكتب الشعبية وتختار ما يناسبنا لترجمته في وقت نحتاج فيه إلى اتساع فكر الأجيال الجديدة وتعميق مداركها وزيادة معلوماتها وانفتاحها على العالم .

وإذا كانت هذه الدار تبيع كثيراً من كتب شعبية رغم زيادة التكاليف هناك عنها في بلادنا فإن ذلك يدعونا إلى إصدار سلاسل من الكتب الشعبية من مؤلفين على مستوى العالم العربي كله .

وفي وقت من الأوقات ارتفع في مصر شعار يقول :

- كتاب كل ٦ ساعات .

ولكن فشل المشروع بعد ذلك فقد قامت به الحكومة وحرمت المؤلفين أجورهم وحقوقهم المجزية ومع زيادة عدد الكتب هبط مستواها وتركز الاهتمام حول الكم لا الكيف . وكان من الطبيعي أن تزداد خسارة الحكومة والأفراد ، وأن تنقل الكتب من المطابع إلى المخازن ولا تمر على الموزعين ولا يراها أو يطالها القراء !

ومشروع الكتاب الشعبي يحتاج إلى دراسة جادة وهيئة تعاونية ، أو مساهمة يشترك في رأس مالها الكتاب والدارسون وتكون أسعار الأسهم قليلة في متناول الجميع .

وفي أستراليا وسنغافورة لا يزيد ثمن السهم في الشركات المساهمة عن جنيه واحد أو دولار واحد حتى تتسع قاعدة المساهمين الذين يراقبون المشروع ويفيدون منه .

والكتاب الشعبي هو الوسيلة العلمية لنشر الثقافة . . وما أظن غيره يجدى . فإن مبيعات الكتب ، في العالم كله لم تعد تزيد بنسبة زيادة عدد السكان ، أو عدد القراء .

وقد سمعت دويماً ضخماً في معرض الكتاب الأخير بمدينة فرانكفورت الألمانية .
أسرعت إلى مصدر الصوت فقد ظننت أن قنبلة قد انفجرت في أرض المعرض
لتحطم الكتب وتقتل الناشرين !

وبالفعل وجدت قنبلة ولكن من نوع لا يخطر للإنسان على بال .
آلة ضخمة لها قوة تعادل ٣٠ طناً تنزل بكل قوتها على صندوق من الخشب
والبلاستيك يبدو مثل جهاز التليفزيون لتحطمه قطعاً صغيرة .

ويزداد الضغط ، ولكن الأجزاء لا تتناثر بل تلتصق وتتجمع بطريقة خاصة لتصير على شكل مكعب يقوم أحد الفنانين بطلائه فتراه جميلاً أنيقاً جذاباً .
وتساءل :

- ما الهدف من هذا الدوى ؟

ويقول لك المشرف على هذا الجناح :

- نريد استدعاء كل الحاضرين .

قلت :

- ولكن أغلبهم من ناشري الكتب ٨٠ ألفاً من ٩٠ دولة .

قال :

- نريد أن تعرفوا الخطر الذى يهدد الفكر وصناعة الكتاب .

وأضاف :

- التلفزيون يقضى على الكتاب . الإحصاءات فى العالم كله تؤكد أن الساعات التى كانت تضيع فى القراءة أصبح أغلبها يوجه لمشاهدة البرامج . والتلفزيون يميل إلى الترفيه . . لا إلى المعرفة . هذا الجناح يطلق عليه قسم الابتكار والإلهام .
إننا ندعو لتحطيم التلفزيون ونبين أن قطع هذا الصندوق الصغير تتحول إلى عمل فنى إذا أضاف إليه الفنان ألوانه وريشته .

وفى العالم الآن اتجاه قوى لتقريب الكتب إلى الناس بالتوسع فى إنشاء المكتبات العامة فى كل المدن والقرى حتى يجد القارئ كتاباً يطالعه بالمجان وخاصة بعد أن زاد تأثير التلفزيون بظهور الفيديو .

قالوا لى فى السويد أنه أصبح لديهم مكتبة عامة لكل ٢٠ ألف نسمة .

وفى كل مكتبة ٧٣ ألف كتاب فى المتوسط .

ويستطيع الإنسان أن يتخيل مدينة صغيرة تضم ٢٠ ألفاً من السكان ويمكن لكل منهم أن يستعير إذا رغب ، أو كانت لديه القدرة - لاستعارة هذه الكتب وإعادتها .

وفى الدانيمرك يوجد بكل مكتبة عامة ١٣٠ ألف كتاب .

وفى مكتبات إيطاليا كتاب لكل ٣٠ فرداً .

وفي الولايات المتحدة مكتبة عامة لكل ٢٥ ألف نسمة .
وتعتبر أيرلندا أكبر دولة تشجع القراءة المجانية إذ توجد بها ٣٠ مكتبة في كل منها ١٦٥ ألفاً من الكتب .

وفي إنجلترا تنتشر المكتبات المتنقلة التي تستعير كتبها من المكتبات المركزية في المدن الكبرى .

والإحصاءات لا تنتهي .

وهدف هذه الدول مقاومة التليفزيون والفيديو ، لا بالتشريعات فحسب ، وإنما بتشجيع وصول الكتاب المجاني إلى قارئ يتلهف على القراءة وتمنعه إمكاناته المالية من تحقيق المتعة والفائدة .

وتشجع الدولة الأغنياء على ذلك فتخصم كل التبرعات لإنشاء المكتبات من الأرباح وتعفى أصحابها من الضرائب .

وفي واشنطن وجدتهم يمشون خطوة أبعد .
في مكتبة الكونجرس تم الاستغناء عن البطاقات أو « الكروت » التي تقلبها بين يديك لتعرف منها مكان الكتاب الذي تريد الاطلاع عليه .

هناك عقل أليكترونى يتصل بشاشة تليفزيون . فإذا أشرت إلى اسم المؤلف ، أو اسم الكتاب فإنك ترى رقم الكتاب . وبذلك يستطيع أحد أمناء المكتبة إحضاره إليك في دقائق .

وإذا أشرت إلى موضوع معين ، كالسينما ، تتابع أمامك على الشاشة أسماء ألوف الكتب عن السينما .

ورغم هذه التيسيرات فإن كثيرين احتجوا على المكتبة قائلين : أنهم كانوا يستمتعون بقراءة البطاقات فقد تدل على كتاب آخر يفضلون قراءته .

ولكن المسئولين عن المكتبة لم يهتموا بهذه الاعتراضات بل قرروا استخدام مزيد من الوسائل الإليكترونية للتيسير على الناس .

ومنطقهم في ذلك يقول :

- ما دام التليفزيون ، وهو جهاز أليكترونى قضى ، أو يكاد يقضى ، على الكتب فمن الضرورى مقاومة التليفزيون بالوسائل الأليكترونية أيضاً .

وهم يعدون الآن طريقة جديدة لنقل الكتاب ، وكل كتاب ، إلى البيوت دون أن ينتقل القارىء من حجرة الجلوس أو حجرة النوم .

وبعد ١٥ سنة فقط ، أى فى عام ٢٠٠٠ يستطيع الإنسان من أى مكان فى الولايات المتحدة أن يتصل بالمكتبة ليسأل عن موضوع معين فىرى على شاشة فيديو كل ما فى الكتب عن هذا الموضوع .

وحجم الشاشة صغير مثل الآلة الحاسبة .

وبهذه الطريقة يستطيع الباحث الاستغناء عن مكتبته ، وعن كتبه ما دامت المراجع كلها تتحرك أليكترونيا إلى البيت .

وهم يقولون أن العقل الإنسانى فى حاجة إلى التغذية المستمرة فى كل مكان .
ومادام الإنسان لا يستطيع الانتقال إلى المكتبة فإن المكتبة ، وكتبها جميعاً ، لابد أن تنتقل إلى القارىء .

ولكن تطور المكتبات لم يتوقف عند هذا الحد .

فى المكتبة العامة فى مدينة دينفر الأمريكية نجحوا فى تحويل المكتبة إلى جامعة شعبية .

ولم تقم المكتبة بهذه العملية وحدها بل تعاونت معها ٣ جامعات ، و٤ وكالات علمية وكثير من الأغنياء الذين تبرعوا بالمال .

إن المكتبة أصبحت تساعد الذين يرغبون فى الدراسة الجامعية أو يريدون الحصول على الدبلومات العليا ودرجات الماجستير والدكتوراه أيضاً .

أقاموا فى المكتبة قسماً اسمه « اعتمد على نفسك » ، زود بمراجع فى مختلف العلوم والفنون وزود بأفلام سينمائية وأفلام فيديو .

ويكفى أن يصل الطالب إلى القسم ليسأل عن الطريقة التى يدرس بها موضوعاً معيناً فيقدم له الأمين أسماء المراجع المطلوبة ، ويطلب من الجامعات هذه المراجع إذا لم تكن متوفرة محلياً .

وإذا فكر الطالب في الحصول على درجة جامعية دون أن يكون ملتحقاً بأية جامعة فإن أمين المكتبة يقدم له أسماء الجامعات التي تسمح له بالانتساب ، أو تسمح له بأن يدرس فيها سنوات أقل ، أو شهوراً أقل أو ساعات محدودة في كل عام .
وإذا أراد الطالب أسماء أساتذة يعطون دروساً خصوصية فإن المكتبة تتكفل بذلك ، أى تتصل بالأستاذ المختص وتعرف مواعيده ، وتحدد مكان وزمان الدروس الخصوصية .

وتشترى المكتبة لكل طالب ما يريد من كتب .

باختصار أصبحت المكتبة العامة في مدينة دينفر مكتباً « لمسجل » الجامعة .

وأصبح أمين المكتبة مرشداً وموجهاً ومعاوناً للطالب يساعده على اختيار العلم الذي يدرسه ، ويختار له الجامعة التي تمنحه الدرجة الجامعية ويشترى له الكتب ولكنه لا يعطيها مجاناً بل يعيرها للطالب فترات قد تطول .

وبهذه الطريقة أصبحت المكتبة جامعة شعبية تخفف عن الجامعات أعباءها وتقلل من عدد الطلبة وتوفر نفقات إنشاء مزيد من الكليات الجامعية .

وقد يقال أن المكتبة - في هذه الحالة - ستحتاج إلى اعتيادات ضخمة . ولكن الحقيقة أن هذه العملية تتم بنفقات محدودة ، لأن الطلاب يتعاونون فيما بينهم .

وكل مهمة أمين المكتبة أن يأتي بالمعلومات والكتب للطلاب ، وهي مهمة يمكن أن تقوم بها سكرتيرة ، أو سكرتير ، يحسن الاتصال بالجامعات والأساتذة . ويعرف عن طريق العقول الأليكترونية أسماء المراجع .

ومن هنا أطلق على هذا النظام اسم « اعتمد على نفسك » .

ونظام الانتساب للجامعات يقوم على هذا الشعار، وهو الاعتماد على النفس تماماً بالمراسلات مع الجامعات . وهو ما تقوم به مكتبة دينفر في الوقت الحاضر .

وقد يظن البعض أن هذه الدراسات قاصرة على العلوم النظرية ، ولكن مع انتشار الفيديو أصبح ممكناً تدريس الهندسة والعلوم والطب بالأفلام في المكتبات ، وقضاء فترات عملية قصيرة ومحدودة في الكليات للحصول على التجربة العملية .

ويبقى سؤال واحد :

- هل يمكن تنفيذ ذلك في العالم العربي ؟ .

والجواب بالإيجاب بتجربة هذ النوع من المكتبات فى العواصم والتوسع فى التجربة بعد ذلك فى باقى المدن .

والنجاح مضمون بشرط واحد وهو أن يؤمن أمين المكتبة بأن له رسالة لا تتوقف عند حد إعارة الكتب للقراء بل تقديم المعونة والمشورة والمساعدة ليتحول أمين المكتبة بالتدرىج إلى أستاذ فى هذه الجامعة الشعبية الجديدة !

كتب . . لها العجب

بدأ عمال الشركة يتهايمسون . .

قال بعضهم :

- هذا ليس أستاذاً جامعياً فلا تبدو عليه ملامح الأساتذة .

وقال البعض الآخر :

- لا بد أن إدارة الشركة غرسته بيننا ليعرف أخبارنا ونوايانا ، واتجاهاتنا .

وقال آخرون :

- فتش عن الشرطة :

واتفق الجميع على أن أستاذ الجامعة الذى جاء يعمل فى الشركة ليؤلف رواية تجرى أحداثها فى أوساط العمال ، دسيسة عليهم ، فأخذ الجميع يعاملونه بحذر ، يراقبون تصرفاته ، ويتحدونه بلا مبرر ، ويوجهون إليه ألفاظاً فيها ما فيها من تلميحات لا تسر!

وبعد شهور ظهرت رواية « الحياة شبه الآلية » تصف رتابة الحياة فى المصانع بصفة عامة من خلال قصة أبطالها من الجنسين ، من العمال ، فأدرك الجميع أن الشركة لم تغرس شرطياً بينهم ولم تحاول الوصول إلى خبيثة نفوسهم بل إن أستاذاً جامعياً رأى أن يجدد ويبتكر فطلب من الشركة أن تسمح له بالعمل فى مصنعها حتى تكون الرواية شديدة الواقعية .

ومن قبل تنكر الصحفيون والصحفيات فى ملابس العمال والفلاحين وأرباب المهن المختلفة ليقدّموا تحقيقات مثيرة . ولكن فى الولايات المتحدة رأى أساتذة الجامعات ألا يكتبوا عن أحداث لا يعيشونها ولا يعرفون شيئاً عنها ، ومن هنا انتشروا فى المصانع ليحققوا ميزة أخرى وهى أن يزداد انتشار كتبهم بين العمال الذين سيسعون لشراء روايات تتحدث عنهم .

ورأت الجامعات من ناحيتها التوسع في هذا الاتجاه الجديد فقررت بعض الكليات تكليف الباحثين الاجتماعيين وأصحاب الميول والمواهب الأدبية بالعمل في المصانع حتى تأخذ كتاباتهم لوناً جديداً .

ولم يكن الهدف تقديم تقارير اجتماعية عن أحوال العمال أو النقص والتقدم في بعض المصانع، بل كان الهدف الوحيد أن ينتقل الأدب الى مكان جديد ومناخ مختلف فلا يصف الحياة في الفنادق والحفلات والمجتمعات الصاخبة والطائرات والسفن ، بل يقدم مجتمع العاملين بمشاكله التي لا يتعرض لها الروائيون الا في أحوال نادرة ، وبطريقة خاطئة أغلب الأحيان .

ولم يقف العمال صامتين أمام هذا التغيير بل رأوا في أساتذة الجامعات وطلابها والمتقدمين للدراسات العليا دخلاء على محيطهم فأخذ العمال أنفسهم يكتبون .
وبدأت تظهر في الولايات المتحدة - كما رأيت روايات غريبة : « دورية المساء » ، « الجلود المدبوغة في سان فرانسيسكو » وهي أيضا قصة . و . . إلخ .

وتطبع هذه الروايات في كتب صغيرة الحجم أشبه بكتب الجيب ليضعها العمال في جيوبهم ويطالعونها في ساعات الفراغ أو في رحلة الذهاب والاياب بين العمل والبيت .

ولم تجذب هذه الكتب اهتمام النقاد الأدبيين إلا أخيرا لأن المناخ الذي تمضى فيه أحداث هذه الروايات لا تمثل موضوعا أدبيا ساخنا يثير الجدل وحماس النقاد .
ولكن المجالات العادية ، والأدبية ، بدأت تهتم بالكتاب الجدد مثل هامبر وثيريولت وسنجل جاك وغيرهم فعهدت إليهم بكتابة أعمدة أدبية .

ولم يترك هؤلاء العمال البديل الزرقاء التي يرتدونها ، ولم يغيروا طبيعة عملهم بل أعلنوا أن الكتابة بالنسبة لهم هواية ، أما دق المسامير ودبغ الجلود واصلاح الماكينات فهو المصدر الاساسى لرزقهم حتى الآن .

ومن المتوقع إذا نجح هؤلاء العمال كروائيين أن يتركوا العمل في المصانع وأن يتفرغوا للهواية ، أو الحرفة الأدبية باعتبار أن دخولهم من الأدب ستسمح لهم بذلك . ولكن ستبقى التحارب التي اكتسبوها من العمل هي الزاد الاساسى والرصيد الكبير الذى يمدهم بالأفكار ، والتعبير عن هذه الاجواء لفترة طويلة .

وقد حدثت تجربة مماثلة في فرنسا خلال القرن الماضي ، ولكنها كانت تجربة صحفية فقد أسس العمال شركة لاصدار جريدة اسمها « الاتليه » عاشت عشر سنوات ثم ماتت .

كان كل العاملين في الصحيفة ، الكاتب والصحفي والادارى ، من العمال . ومع مرور الوقت أصبح هؤلاء كتابا متفرغين ففقدت الصحيفة ضميرها العمالي حتى أسلمت الروح .

والفارق بين التجربة الفرنسية والامريكية أن التجربة الامريكية أدبية تماما تسعى الى تغيير المناخ الذى تدور فيه الأحداث . فقد وجدوا أن أبطال الروايات لايتغيرون أبدا . هم شبان عابثون ، ومغامرون ومقمارون وجواسيس ولصوص ، . ولايمكن أن يمثل هؤلاء بلدا ومجتمعا أغلب من فيه فلاحون وعمال ، من حقهم التعبير عن طموحاتهم وآمالهم لا بمقال ، بل برواية .

وقيل أنه ليس شرطاً لتصبح الرواية مثيرة أن يكون الأبطال على درجة كبيرة من الثراء ، وأن يعيشوا حياة حافلة بالجريمة يطاردهم رجال الشرطة وتتنظرهم السجون ، أو أن يكونوا فقراء أشبه ببؤساء كاتب فرنسا الشهير « فيكتور هيجو » ، بل يمكن أن تنشأ الإثارة من خلال حياة مرهقة حافلة بالعمل الشاق وقطع غيار المصانع ومطاردة رؤساء الورديات ودقائق قليلة من الفراغ أثناء تناول طعام الغداء .

ويمكن أن تنبع الإثارة لا من حياة المكاتب والمصالح والوزارات والطبقة العليا بل من بساطة الحياة فتعكس الرواية صورة طبيعية لأغلب الناس .

ولقد أدت هذه الظاهرة الجديدة إلى صدور مجلات عديدة في الشركات الأمريكية الصناعية الكبرى . لاتفعل بنشر صور المدير ورئيس مجلس الإدارة وأخبار الترقيات والعلاوات والجزاءات وأفتتاح أقسام جديدة بل إن هذه المجلات لاتنشر إلا الإنتاج الأدبي للعاملين وبالذات الروايات .

وتلتقط دور النشر المتفوقين من أصحاب المواهب فتتشر رواياتهم التى لم يرتفع رقم مبيعاتها حتى الآن عن ثمانية آلاف نسخة وهو رقم محدود وضئيل للغاية بالمقاييس الأمريكية ، ولكنهم يرون أنه بداية مشجعة .

ويرجع السبب في هذا الاتجاه الجديد إلى أمرين : الأول الملل الذى أحس به

القارئ وفطن اليه الناشر من روايات تكاد تكون متشابهة ولا تغيير فيها إلا بالنسبة
الاسماء . . على الأغلب .

أما العامل الثانى فهو أن الناشرين يبحثون عن المؤلف الناجح ويشترون رواياته
ويدفعون ثمنها أرقاما خيالية .

والمؤلف فى هذه الحالة يخرج برواياته بعيدا عن المجتمع الأمريكى ، وعن الولايات
المتحدة كلها . وأبطاله فى بعض الأحيان أمريكيون ، ولكنهم يعيشون خارج أمريكا .
وفى أحيان أخرى أبطاله ليسوا أمريكيين بل أجانب .



وهناك ثلاثة من الروائيين الأمريكيين يحصلون الآن على ثلاثة ملايين دولار
كعربون قبل نشر رواياتهم ، بل قبل تأليفها أيضا .

من هؤلاء جوديث كرانتز وأشهر رواياتها « مسز ديزى » عن ابنة رجل روسى أبيض
وبارونة . . ولها توأم مشوهة أحفتها الأسرة بعيدا فى مستشفى . ولها رواية أخرى اسمها
« بلا مبادئ » يتضح مضمونها من عنوانها .

ومن الكتاب اللامعين أيضاً آدموند موريس وجيمس كلافيل .

وأشهر الثلاثة ، هذه الأيام ، جيمس كلافيل الذى ألف أربعة روايات فقط تدور
أحداثها فى الصين واليابان وهونج كونج .

وروايته عن اليابان واسمها « شوجان » أنتجت كحلقات تليفزيونية فى كل من
اليابان والولايات المتحدة .

وقد ظلت تتصدر قائمة أكثر الكتب توزيعا مدة ٣٢ أسبوعا متتالية عندما صدرت
عام ١٩٧٥ وقد بيع من طبعاتها الشعبية ثلاثة ملايين و٥٠٠ ألف نسخة ولكنها لم تصل
الى الرقم الذى بلغته رواية « ذهب مع الريح » التى باعت ستة ملايين نسخة منذ
صدرت قبل نصف قرن .

وعندما أصدر كلافيل روايته « بيت نبيل » طبع منها ربع مليون نسخة قبل
التحقق من النجاح أو الفشل . وقد اعتبر صدور الطبعة الأولى بهذا الرقم القياسى
حدثا أدبيا عالميا .

وعندما أعلن جيمس كافيل أنه انتهى من تأليف روايته الجديدة واسمها « الزوبعة » وأن أحداثها تجرى في إيران . وقال أنه لن يبيع حقوق التأليف لناشره التقليدي بل سيبيعها في مزاد لمن يدفع أعلى الأسعار .

حاول الناشرون الابتعاد عن هذا المزاد ولكن الربح الكبير المتوقع أغراهم بالحضور فجاءوا واليسمعوا شرطا هاما وهو أن حقوق النشر ستكون لمدة خمسة عشرة عاما فحسب .

إن المؤلف رفض أن يبيع حقوقه وحقوق ورثته مدى الحياة .

وكانت نتيجة المزاد ارتفاع العربون إلى خمسة ملايين دولار وهو رقم تاريخي . وقد حصل عليه عن صدور الرواية في أمريكا وحدها لافي أوروبا .

وفي بريطانيا نجحت روايات جوفري أرشر الذي اختير أخيرا نائبا لرئيس حزب المحافظين واستقال بعد فضيحة مدوية .

ومعظم روايته تدور حول السياسة وأسرارها ولعبتها ومؤامرتها التي ترفع البطل الى القمة أو تهوى به الى الحضيض .

ومن هنا فكر بعض هواة الأدب ومحترفيه في أن يكتبوا عن مجتمع العمال لأن هؤلاء المؤلفين لا يعرفون السفر والرحلات ، ولم يمارسوها كما أنهم لم يطالعوا كثيرا عن العالم الخارجي ويجهلون . ووجدوا في مناخ المصانع ودخانها مجالا أقرب وقد يكون أرحب . ورأي العمال في العلماء والطلاب القادمين منافسين يحبون عنهم فرصا قد تكون مؤكدة .

وعندما اتجه العلماء والسياسيون إلى التأليف نشأ نوع جديد من الكتاب اسمهم « كتاب الظل » .

وكتاب الظل في العالم الغربي هم الذين يعيدون كتابة مؤلفات الزعماء والسياسيين ونجوم السينما الذين لا يتقنون فن التأليف ولا يحسنون اللغة وقد لا يعرفون قواعدها أيضا .

وكتاب الظل في معظم الأحيان يعيدون تاريخ حياة المشاهير ولكنهم الآن يعيدون كتابة روايات العمال .

وكل كاتب له طريقته وأسلوبه في البحث عن موضوع الكتابة .
ورأى اثنان من أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى أن أحدا من الناخبين لا يطالع تقاريرهم فقررنا تحويل كل أعمالهم إلى روايات .
بدأ « الشيخان » يلتقطان من الاجتماعات المتتالية كل فكرة مثيرة ويسجلانها على الورق فأصبحت أمامها مجموعة أحداث رأيا أن ينسجها حولها رواية اسمها « الرجل المزدوج » أصبحت من أشهر الروايات المثيرة في الولايات المتحدة .
بطل الرواية عضو مجلس شيوخ أسندت اليه رئاسة مجموعة عمل تتولى التحقيق في محاولة اغتيال وزير خارجية أمريكا .

ويتوصل التحقيق الى مؤامرة بطلها ضابط في المخابرات السوفييتى يقوم بتهريب المخدرات الى الولايات المتحدة دون الحصول على ترخيص بذلك من رؤسائه في موسكو .

ويكشف التحقيق عن وجود جاسوس يعمل لحساب السوفييت في أعلى المناصب الأمريكية .

ويكشف التحقيق أيضا عن مؤامرة أمريكية يشترك فيها جهاز المخابرات الامريكية مع عصابة المانيا لأغتيال الزعيم الكوبى فيدل كاسترو .
ومع كل صفحة تطويها من الكتاب تجد فضيحة وراء فضيحة ، عن قيام صلة هذه العصابة واغتيال الرئيس الامريكى الراحل جون كيندى عام ١٩٦٣ .

والرواية تقسم على حقائق بسيطة محدودة من عمليات المخابرات الأمريكية أما الباقي ، أو الجزء الأكبر من الرواية ، فمن خيال الكاتين .

سئل الكاتبان :

- ما علاقة هذه الرواية بعمل مجلس الشيوخ الامريكى أو رغبتكما في توعية الناس .
قالا :

- نريد أن يعرف الناس أن الجواسيس يحيطون بهم من كل جانب ، ويدبرون المؤمرات ويجب أن يتنبه الناس الى مايدور حولهم فاذا وجدوا ما يثير الشكوك تابعوا الأمر بعناية .

وأضافا :

- عقدة الرواية خيالية بالطبع ولكن فيها تجارب كثيرة حقيقية وجدناها في أعمال المخابرات .



ووجد كاتب أمريكي آخر أن أكثر الكتب رواجاً الآن هي التي تتحدث عن الرجيم ، وتخفيض الوزن والسعر الحرارى الذى يوجد فى كل صنف من ألوان الطعام . كما توجد فى أوروبا والولايات المتحدة الآن أكثر من مائتى مجلة تتكلم عن « التخسيس » ، وعشرات ألحباب التى تجعل الإنسان يفقد الرغبة فى الطعام بالاضافة إلى المصححات التى تعالج الناس من الوزن الاضافى الزائد عن الحد .

رأى ريتشارد باكمان ذلك فألف رواية اسمها « الأرفع » أى الرجل الرفيع . . يقصد بذلك الأقل وزناً ، الأرفع مقاماً .

فى هذه الرواية نجد البطل محامياً ناجحاً فى إحدى الولايات . . ولكنه رجل بدين للغاية يحاول عبثاً أن يتبع نظاماً غذائياً معيناً لسلامة قلبه ومعدته دون جدوى فإن شهيته للطعام مفتوحة دائماً وهو يريد مزيداً منه فى كل وجبة ، بل بين الوجبات أيضاً .

ويقوم المحامى برحلة بين الولايات فى السيارة مع زوجته .

والرحلة كلها متعة . وقبل الوصول إلى المحطة النهائية تداعبه زوجته فيضحك .

ولكن الضحك يجعله غافلاً عن الطريق فتتحرف سيارته ليصدم عجزاً غجرية فيقتلها فوراً .

ويجتمع الناس ويستدعون رجل الشرطة الذى يقوده وزوجته الى مركز البوليس وعندما يعرف المحقق اسم المحامى الشهير يترقق به . ويزيف الأوراق ، ويغير أقوال الشهود ويجعل العجز الذى لا تقدر على الحركة مسئولة عن الانتقال من مكانها البعيد عن الطريق إلى منتصف الطريق . وكأنها ألقت بنفسها أمام السيارة قاصدة الانتحار .

ويعرف القاضى أيضاً شهره المحامى فيجعل المحاكمة سهلة وكان براءة المتهم لا تحتاج الى دليل .

ويعجز الشهود من أسرة الغجرية وأقاربها عن اثبات الدليل على الجريمة ، التى تمت سهواً أو بإهمال ، أو نتيجة لضحكات المتهم وزوجته .

ويصدر الحكم بالبراءة ويخرج المحامى من القاعة فيجد حوله والد العجوز الذى يريد الانتقام ولكنه يعجز عن ذلك لأسباب كثيرة فيقترب من المذنب البرىء قائلاً :

- ستصبح رفيعاً !

وهكذا يبدأ المحامى « رجيماً » رغماً عنه .

أنه يأكل طعامه المعتاد ولكن أثناء كل وجبة يسمع صوت الأب يقول له :

- ستصبح رفيعاً !

ويجد على شاشة التلفزيون الإعلانات المتكررة للأدوية والمجلات التى تعده بأن يفقد ١٠ أرطال من وزنه فى عشرة أيام .

وتتحقق نبوءة المجلات والأدوية ، وهمس الأب العجوز ، مع أن المحامى يأكل على هواه دون اتباع أية قاعدة صحية أو تعليمات طبية .

ويصبح المحامى فى نهاية الرواية وقد تحققت أمنياته ومحاولاته الأولى فى « الرجيم » نتيجة للعنة الغجرية لا استجابته للمجلات أو الدواء . ولكن الرجيم يكون قاتلاً !



وسعظم الروايات الرائجة فى الغرب هذه الأيام هى تلك التى تمزج الحقيقة بالخيال أو بعبارة أخرى تخلط بين الحقائق والأكاذيب .

والمؤلف ، أى مؤلف ، يريد مزيداً من القراء لروايته فيحرص على أن تضم الرواية فى إطارها العام ظلاً من الحقائق المعروفة للقارئ العادى ، أما بعد ذلك فإن الكاتب يضيف من الأكاذيب ما يريد .

شارلز برليتز مثلاً حفيد الرجل الذى أنشأ المدارس «برليتز لتعليم اللغات» وجد أن إنشاء المدارس يحتاج الى مال وجهد . . ورأى أن تأليف الروايات أسهل خاصة اذا قامت الرواية على حقيقة علمية شائعة . وهكذا ظهرت روايته الأولى « مثلث برمودا » التى تحولت إلى فيلم .

الرواية تصف مثلثاً يقع فى المحيط الاطلسى بين ميامى وبورتوريكو وجزيرة برمودا .

فى هذا المثلث تختفى ، دون سبب معقول السفن والطائرات ولايستطيع أحد أن يفسر سر تلاشيها !

والأحداث تتوالى من خلال الأبطال الذين يستقلون وسائل الانتقال هذه يعبرون بها المعلوم الى المجهول .

وتعتمد الفكرة الاساسية للرواية على قصة حقيقية وهى اكتشاف سفينة شراعية عام ١٩٠٢ كانت قد اختفت فى هذه المنطقة .



وكاتب آخر اسمه دون ولسون أصدر كتابا اسمه « اسرار سفن الفضاء التى ارسلت الى القمر » .

فى هذا الكتاب يقدم المؤلف نيل ارمسترونج اول انسان وضع قدمه على القمر عام ١٩٦٩ بطريقة أخرى .

ان ارمسترونج أول ماهبط على القمر - كما يقول الكاتب - قال :
- لن تصدقوا أبدا ما رأيت .

فقد رأى رجل الفضاء أشخاصا آخرين يعيشون على القمر ، أى رأى سكان الفضاء .

والكاتب يقول أن محطة إطلاق الصواريخ وسفن الفضاء صادرت هذه الحقيقة ومنعت كلمات ارمسترونج ، مع ان عملية الهبوط على القمر شاهدها الملايين ولم يسمعوا تلك الكلمات المزيفة التى قيل ان ارمسترونج نطق بها .

وقال الكاتب أيضاً أن الحكومة الامريكية خشيت أن يخاف الناس من غزاة الفضاء كما حدث فى رواية أورسون ويلز الشهيرة التى قدمها فى الاذاعة فظن الناس أنها حقيقة وحدث رعب وفزع فى أمريكا نتيجة رواية اذاعية !

واذا كان اورسون ويلز افزع الامريكيين فماذا يكون الحال اذا قام ارمسترونج بإحداث رعب عالمى قادم من القمر !



ورواية اسمها « رعب أميت فيل » أى رعب مدينة أميت، باعت اربعة ملايين نسخة وأنتجت فيلما سينمائيا مرتين بأسلوب مختلف .

الرواية تتكلم عن زوجين وأطفالهما الثلاثة اشترى بيتا فى تلك المدينة منذ عشر سنوات ، أى عام ١٩٧٥ ، ولكنها تركاه هارين بعد ثمانية وعشرين يوما من الرعب .

. . رغم كل وسائل التدفئة فإن البرد القارس أحاط بالأسرة ، ولم تنفع الملابس الثقيلة أيضاً في حمايتها من الصقيع .

وسحب الذباب والموسيقى والأصوات الغامضة التي تنطلق من الجدران جعلت البيت وكأنه جزء من الجحيم .

والبيت حقيقى وقد أصبح مهجوراً يشاهده الناس عن بعد ولكن أحداً لا يستطيع دخوله أو لايجروء على الدخول لأن الرعب كما قال الزوجان جورج وكاتى لوتز فوق احتمال البشر .

والقصة فى أساسها تعتمد على أن الاسرة مالكة البيت قبل لوتز سمعت اصواتا ورأت أشباحا فاستغل آل لوتز هذه الحقيقة وقاما بتضخيمها وألفا حولها رواية فيها حقيقة واحدة وهى وجود البيت فى مكانه أما الباقي فأكاذيب باعت بالملايين .



والكاتب ويلبور فوليفا رأى أن يعيد التاريخ إلى الوراء .

إن كوبرنيكوس قال أن الأرض كروية .

وجاليليو حوكم لأنه تمسك برأيه فى أن الأرض كروية .

ولكن فوليفا رأى أن أول انسان دار فى سفينة فضاء وجد أنها ليست كروية ، فقد حسب العقل الاليكترونى المسافة التى قطعتها أول سفينة فضاء دارت حول الأرض ورأى أنه من المستحيل أن تكون الأرض كروية !

وقال العقل الألكترونى أن الأرض أشبه بالكمثرى فى بعض مناطق فهى ليست كروية تماما .

ومن هنا عاد فوليفا إلى النظرية القديمة وهى أن الأرض مسطحة وبنى رواية حول هذه النقطة التى تعتمد على حسابات العقل الالكترونى !



توجه مصور صحفى الى بيت قاضى القضاة الجديد ليصوره مع قرينته بمناسبة تعيينه فى منصبه وبعد أن أتم المصور مهمته . قال للقاضى :

- سيدى . ارجو أن تقفز فى الهواء .

نظر اليه القاضى فى دهشة وصرخ فيه :

- ماذا تريد ؟

قال المصور فى هدوء :

- لاشىء ياسيدى . سأصورك وانت تقفز فى الهواء لأسجل مايرتسم على وجهك فى هذه الحالة الغريبة .

وبدلا من أن يقول له القاضى :

- عيب . ذلك لايجوز .

إذا بالقاضى يقفز والمصور يلتقط الصورة ، ويحتفظ بها ولا ينشرها .

وكرر المصور البريطانى فيليب هلسمان هذه العملية مع الأمراء فى أوربا والدوقات والزعماء ، والحائزين على جائزة نوبل من العلماء .

وعندما قال للرسام العالمى سلفادور دالى :

- اقفز .

أصر الفنان على أن تكون الصورة معبرة عن حياته وفنه . فوضع بعض الزهور ، وحوضا للأسماك الملونة ولوحة من رسمه .

ويوم طلب ذلك من الكاتب الشهير برتراند راسل ، لم يتردد لحظة وقال :

- هذه صورة لم أفكر فيها .

أما دوقه وندسور ، المرأة التى جعلت ادوارد الثامن يترك عرش إنجلترا ليتزوجها فقد أصرت على الرفض . ولكن الدوق قال لها مبتسما :

- لقد قفزنا من فوق العرش ، فما المانع من أن نقفز الآن !

وهكذا جمع المصور الصحفى صور ١٧٨ شخصية من نجوم السياسة والرياضة والفن والأدب وغيرهم ، وهم يقفزون ، ونشرها فى كتاب طريف ، غريب ، وعجيب ، عرض فى معرض فرانكفورت الدولى للكتب فأوحى للقائمين على المعرض بفكرة جديدة نفذوها بعد سنوات .

أعلنوا عن مسابقة منذ سبع سنوات عن أغرب كتاب صدر فى ذلك العام ففاز اثنان

من المؤلفين البريطانيين ، اختاروا معا كتابا عنوانه . . « محاضر جلسات المؤتمر الدولي
الثانى الذى عقد فى معمل الفيوان العراة » !

وفى كل عام - منذ ١٩٧٨ - كان الكاتبان يفوزان فى مسابقة معرض فرانكفورت
فقد كانا يتصلان بكل دور النشر العالمية يسألان عن عناوين الكتب ثم يختاران كتابا
واحدا .

فى احدى السنوات فازا بالجائزة لأنها اختارا عنوان كتاب « سعادة الدجاج » !
وفى سنة أخرى كان فوزهما عن عنوان يقول « المربى ، وسوابقها التاريخية ودورها
فى العالم المعاصر » !

ووجد الكاتبان وهما « راسل آشى » و « بريان ليك » أن هذه الكتب الغربية توزع
توزيعا جيدا ، فلا بد أن لها قارئاً ، وأن هذا القارئ يسعى إليها ويريدها .
ووجدا أيضا أن الكتب الغربية قديمة فأخذوا يبحثان عن أسماؤها فى كل العصور
ويطالعانها فى المكتبات العامة والخاصة ويطلبان الى جامعى الكتب وهواتها أن يكتبوا
اليهم بأعجب الاسماء .

وجمعا هذه الاسماء فى كتاب ممتع اسمه « الكتب الغربية » صدر فى لندن .



بين المؤلفات الغربية كتاب اسمه « الصليبيون المرحون » عن الحرب الصليبية التى
انتصر فيها صلاح الدين .

والكتاب فكاهى ساخر يروى قصص الصليبيين الغزاة الذين جاءوا من أوربا الى
الشرق الاوسط وحياتهم الحقيقية المرححة بعيدا عن الهدف الدينى !

وكتاب اسمه « ذكريات حفلات راقصة » يقدم أشهر الحفلات الراقصة عبر
التاريخ ، من أقامها ، ومن المدعوون ، وماذا قدم فيها من رقصات ، والمآسى التى
وقعت فيها والزيجات التى أسفرت عنها .

والكتاب يحكى قصة جمع مادته ، فبعض الحفلات أقيمت فى زمن لاتصدر فيه
صحف . ولكن المؤلف رجع الى مذكرات ، وقصص حياة ، وكتب أدبية ، وتاريخية
صدرت فى أزمنة مختلفة لينتقى منها اللقطات التى تكلمت عن الرقصات .

وكتب كثيرة أصدرها مؤلفون أخفوا أسماؤهم ، وآخرون ذكروا أسماؤهم عن المدارس الحكومية والأهلية التي درسوا فيها وانتقدوها بعنف وكتبوا أسماء المعلمين والنظار والمديرين .

والغريب في أمر هذه الكتب أن المؤلفين تكلموا عن مدارس للحضانة والتعليم الأولى والابتدائي مما يدل على أن الاطفال الصغار يستوعبون ، ويذكرون ، ثم يتابعون هذه المدارس لأنهم لم ينسوا ذكريات أليمة ومعلم أهمل في أداء واجبه أو كان فظا مع طفل صغير ، وهب - بعد ذلك - قلماً معبراً !

وهناك كتب كثيرة عن الزراعة والنباتات كتبها مؤلفون غير متخصصين .

يوجد كتاب عن « أشهر الأشجار في نيوزيلندا » . . وفي غير نيوزيلندا .

وكتاب عن « الأسر العريقة » لا يقصد به الأسر كريمة المحتد ، بل يقصد به الأسر التي احتفظت بعراققتها لأنها اهتمت بحديقة للنباتات في منطقة مجهولة من أستراليا . وألفت سيدة تهتم بحديقته مجموعة كتب اختارت لها عناوين غريبة .

أحد هذه الكتب اسمه « حديقة 'مهل' » عن جهل السيدة بفن النباتات وعلومها فكانت حديقته دليلاً على جهلها .

ولما تعلمت الزراعة اصدرت « متعة الأرض » عن سعادتها بما وجدت عند ظهور النباتات والثمار .



وكتب التعليم - غير المدرسي - لالتحصى .

ألف طفل كتاباً عن « قيادة الدراجات للمبتدئين » .

وأصدر قاطع طريق كتاباً عن « حياة المجرمين » فقد عاش ٤٠ عاماً في السجنون يجيا مع المسجونين ويكتشفهم .

وألف أحد الوعاظ كتاباً عن « فن الوعظ » .

وكتاب عن « الدليل النباتي للصحة » ألفه مزارع عاش طول حياته لا يأكل اللحم

واشتهر كتاب « بحث في الجنون » ألفه رجل عاش معظم حياته يعاني الجنون

ويقاسى من المجانين الذين أقاموا معه ، أو أقام معهم ، فى مستشفيات الامراض العقلية فدرس حالته وحالتهم واعتبر كتابه مرجعا طيبا يستند اليه الأطباء !
و « برامج دراسية لباعة التجزئة » كتبه زبون فى المحلات التجارية درس عيوب الباعة ومزاياهم .

والكتاب ينصحهم من خلال أمثلة كثيرة رآها الزبون وأعجبته أو كرهها .

و « كيف تعيش أكثر من مائة سنة » و « دائرة معارف كرة القدم » وكل الألعاب الرياضية ، وألوف الكتب عن الطبخ والرجيم والالكترونات و « تاريخ الساعة التى تملؤها بنفسك منذ عام ١٧٧٠ حتى الآن » و « دراسة موضوعية للحفاظ على المواعيد وعلاقة ذلك بشخصية الانسان وأعماله » . « وموسيقى المغول » و « والعنف كوسيلة من وسائل الاتصال » و « حياة المعسكرات » و « تحسين عقلية الطبقة العاملة » و « الحفر على الجليد » و « تاريخ بصمات الأصابع » و « تاريخ المقص » و « تاريخ الفصول » و « تاريخ الملكات » أى « ملكات النحل » و « تاريخ الدخان » و « مائة طريقة وطريقة لنطق الكلمات » و « الخطايا التى لم تذكرها بعض الكتب الدينية » و « التاريخ الكيميائى للخلقة فى ستة أيام » و « الوصف التقليدى للجهنم » و « كتاب عن أسماء الكتب التى ألقت عن السيرك » !

والكتب التى تحاول أن تعلم الانسان شيئا كثيرا . .

هذا كتاب « النوم العذب » للذين يظلون طوال ليلهم فى أرق ليستمتعوا بالأرق إذا عجزوا عن الوصول إلى النوم الجميل الذى يهديهم اليه هذا الكتاب .

و « العزف على الأرغول » .

و « الصعوبة التى يواجهها الأيرلندى فى اللغة الهولندية » .

و « ذكرى كلب » وهو كتاب ألفه السفير البريطانى نيفيل هندرسون الذى كان قائما بأعمال المندوب السامى فى مصر عندما وقعت أزمة كتاب « الاسلام وأصول الحكم » لمؤلفه الشيخ على عبد الرازق عام ١٩٢٥ كما كان هندرسون فى مصر عند وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ واختير سفيرا لبلاده فى برلين عندما أعلن هتلر الحرب عام ١٩٣٩ فاعتقله هتلر .

وكان هندرسون يقول لحكومته فى برقيات كثيرة أن هتلر لا يريد التوسع ولا يسعى للاستيلاء على أوروبا ويجب السلام .

ولكن قيام الحرب واعتقال هندرسون جعله يؤمن بأنه خدع ، وأن هتلر ورجاله ضحكوا عليه وأضحكوا عليه وزارة الخارجية البريطانية فاهتم - بعد ذلك - بكلبه وبُكاه في كتاب يعلم الناس كيف يحبون هذا الحيوان الأليف .



والإنسان يتساءل :

- كيف تباع هذه الكتب ؟

والجواب أن المؤلف لابد قد اقتنع بفكرة الكتاب ووجد أنها تستحق البحث والدراسة وإلا ما تفرغ لتأليفها .

ومع ذلك فإن الأسئلة تظل ماثرة ولا تجد جواباً شافياً .

إن رساما استهوته لوحات الحيوانات التي رسمها كبار الفنانين فاختر الرسامين وحيواناتهم موضوعاً لكتابه . ولكنه اختار نوعاً غريباً من الحيوانات وهو « وحيد القرن في الفن » عن الرسامين الذين رسموا صورة وحيد القرن !

واختار كاتب آخر الرسامين الذين رسموا الثعابين !

ومؤلف - وهو ليس طبيباً - ألف عن « فك وأسنان سكان هاواي القدامى » .

ورجل - ليس حلاقاً - كتب عن « تصنيف البشر بشعرهم » بفتح الشين .

أما ضابط مرور فقد اختار العنوان التالي « العنصر الانساني في اللعب » .

والعنوان مضلل فالموضوع لا علاقة له باللعب وإنما عن حوادث السيارات ودليل

القيادة .

ولكن ضابط المرور يرى أن السيارة لعبة وإن الحوادث لا ترجع إلى المصادفات والمصادمات ، بل إلى البشر الذين يلعبون بسياراتهم ويلهون ، فهم لا يجدون في القيادة مسئولية ولذلك يسرحون ولا ينتبهون ويلعبون بأرواحهم . . وحياة الناس .

وظل مدير إحدى حدائق الحيوان يراقب الحيوانات في أفضاصها ويتأملها ويراجع قصص وصولها الى الحديقة فاهتدى الى تأليف « الحيوانات الامبراطورية » عن الحيوانات التي صادها الأباطرة والملوك في معظم العصور !

ومن المؤكد أن تأليف مثل هذا الكتاب ليس سهلا بحال فالمراجع قليلة ، ولكن بعض القصص مذهلة .

فقد زار أحد الأمراء مقاطعة في الهند .

وفكر الأمير في رحلة صيد الى الغابات فنظم له الحاكم رحلة ممتعة انتهت بحصول الأمير على صيد ضخم ، كما قتل مجموعة من الحيوانات المتوحشة .

ولكن أحد رجال الأمير عرف الحقيقة وهي أن الحيوانات ربطت بحبال قوية ورقيقة أيضا حتى يستطيع الأمير صيدها بإطلاق الرصاص عليها وهي لاتستطيع الحركة أو الفرار .

وقبل أن يصل الأمير الى مكان الصيد أسرع أحد أفراد الحاشية ليمزق الحبال ويخفي آثارها حتى لايراها الأمير فيظل مؤمنا بقدرته الفائقة على صيد الوحوش من الطلقة الأولى بلا مران أو تجارب !

وكتب السياحة لها عناوين مثيرة وعلى سبيل المثال ، « جولات ساحرة من الصين الى بيرو » و « ساعات كسولة في المكتبة » و « أيام كسولة في بتاجونيا » و « القليل الذي رأيته في كوبا » إشارة إلى الرقابة الشيوعية على السياح فتمنع الناس من مشاهدة الكثير ورؤية القليل جداً .



وإذا تركنا هذه الكتب جانبا . . التي تحتاج إلى بحث ودراسة الى الروايات فسنجد أساء . . لها العجب .

رواية عنوانها « كلنا نقتل الجدات » و « زوجان في المشرحة » و « مغامرة كبيرة ولكن مؤلمة » و « غرام بيروقراطي » و « مدينة للنساء المفقودات » و « العروس ترتدى الحشائش » و « كن شجاعا مع الموز » و « حتى لا يقتلك البرق » و « اخبرني ياأبي عن الجنازات » و « الدفن قبل الأوان » و « على المشنقة » .



وفي ذلك الكتاب اكثر من خمسة الآف عنوان لكتب لم نطالعها أو نسمع بها ولكن ملايين الناس قرأوها وأعجبوا بها .

ولو أن أمين مكتبة في العالم العربي راجع اسماء الكتب العربية منذ بدايتها فإنه
سيجد اسماء أغرب وأعجب .

ولو أن هذا « الامين » قدم كل مؤلف بفقرة أو فقرتين فإن كتابه سيصبح ضرورياً
في كل مكتبة مدرسية وفي كل بيت .

ولو أن شباب المؤلفين طالعوا هذه الاسماء فمن غير شك ستفتح شهيتهم للتأليف
وسيجدون أن كل موضوع يمكن أن يطرق ، ويصلح مجالا للبحث والدراسة وأنه
مشوق وله قراء عديدون .

والمشكلة لدى شباب المؤلفين أنهم لا يتمتعون بالجرأة ، ولا يستمتعون بها .

ولو أن حماسهم زاد فمن المؤكد أنهم سيحدون قراء لكتب عن حبات رمل الصحراء
وعذاب الوصول إلى البترول ، ومتعة السهر في غر صوء لعمر ، ومرارة السهر الطويل
للوصول إلى كتاب جميل !

معارض للكتب القديمة

وقف موكب سيارات اللورى الكبيرة والصغيرة أمام فندق « راسل » فى لندن عند الفجر وهبط السائقون ومعهم آلاف الكتب والأرفف واللافتات أخذوا ينشرونها فى القاعة الكبرى .

وفى الثامنة صباحاً افتتح معرض الكتب القديمة والأثرية الذى نظمته الجمعية الأقليمية لباعة الكتب إذ زحف الألوف من عشاق الكتب ومحبيها من إنجلترا وأوربا لشراء الكتب التى نفذت ومن الصعب الحصول عليها إلا من باعة الكتب وأسواقهم ومعارضهم .

ولم يأت وزير أو محافظ أو ناشر ليقص شريطاً أو يلقي خطبة ، فحب القراء لا يحتاج الى احتفالات من هذا النوع . القراء الجادون الذين يضمنهم البحث عن كتاب يسرعون وراءه فى كل مكان لا يهتمون بالمظاهر بل كل يحاول أن يجيء مبكراً ليسبق منافسه الهاوى مثله فى شراء الكتب .

وخلال ٢٤ ساعة كان كل بائع قد باع ما قيمته ثلاثة آلاف جنيه تقريباً من الكتب القديمة والأثرية .

وإذا كان الباعة قد جاءوا قبل الفجر فإنهم رحلوا فى ساعة متأخرة من المساء حتى لا يتحملوا نفقات إقامة ليلة أخرى فى لندن .

ودفع كل بائع خمسة عشر جنيهاً مقابل الركن الذى عرض فيه كتبه . أما الفندق فقد حصل على ثلاثة آلاف جنيه عن تأجير قاعته الكبرى ليوم واحد .

وقد اختير هذا الفندق بالذات لأنه من الفنادق الحديثة التى عرفت بالأبهة ولكن لأنه يوجد فى منطقة يعرفها هواة الكتب واشتهرت بالرواد الأوائل ومشاهير الفن والأدب . . ففى هذا الحى عاشت فرجينيا وولف ، وشارلز ديكنز ، وتوماس جراى ،

والرسام روزيتى ، ويوجد أيضا المتحف البريطانى الشهير وجامعة لندن وفيهما يجتمع هواة القراءة والفكر .



بدأت فكرة هذه المعارض منذ ١٨ سنة عندما وجد ١٥ بائعا للكتب القديمة والأثرية فى إنجلترا أن كثيرا من المشترين يجيئون اليهم طلبا للكتب القديمة ويعرضون ثمنها يفوق سعرها وهى جديدة .

اتصل الباعة بالناشرين يسألونهم عن احوال النشر وظروفه فوجدوا أن الناشرين أصبحوا يطبعون نسخا محدودة من كل كتاب جديد تتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف نسخة . وهم يحرصون على إصدار الكتب التى يعلمون أنها تروج وتأتى بربح عاجل .

وتبين أن الناشرين يسعون إلى دورة سريعة لأموالهم تحيىء بالمكاسب . . أما إعادة طبع كتاب فعملية لاتتم فى أحوال نادرة وعندما يكون الكتاب مطلوبا من القراء بصورة غير عادية . وفيما عدا ذلك فمن يريد كتابا قديما عليه أن يطوف المكتبات بحثا عنه . وفى هذه الحالة يرتفع سعرة مرتين أو ثلاثة عما كان عليه عند صدوره .

وكان باعة الكتب القديمة وعددهم ستمائة قد شكلوا منذ قرن كامل جمعية تضمهم ويدفع كل منهم اشتراكا سنويا قدره ثلاثون جنيها ، فاتفقوا على إقامة معرضهم الأول عام ١٩٧٢ ونجح نجاحاً كبيراً .

وكانوا - فى البداية - يكتفون بمعرض سنوى واحد فلما وجدوا الإقبال يتضاعف زاد عدد المعارض حتى أصبحت تصل الى ١٤٠ معرضا سنويا . . أى نحو ٣ معارض أسبوعيا تنتقل الى معظم مدن إنجلترا الكبرى .

ويعلن مقدماً قبل عام كامل عن مكان إقامة هذه المعارض وتوزع الجداول والبيانات على الجامعات والمكتبات والمعاهد العلمية والبلديات والمتاحف والصحف المتخصصة أما المعارض نفسها فتقام فى هذه المؤسسات العلمية أو المحليات والمتاحف وتتبع هذه المعارض المهرجانات الأدبية والفنية والعلمية .

وفى مهرجان أدنبره الأخير الذى استمر ثلاثة أسابيع أقيم معرض للكتب القديمة خلال الفترة نفسها حقق رواجاً هائلاً .

وتشارك الجمعية مع جمعية دولية في إقامة معرض عالمي للكتب القديمة والأثرية يحضره الراغبون من جميع أنحاء العالم . ويقام هذا المعرض في لندن وفي غيرها من عواصم أوروبا .



قال لي بريت السكرتير الفخرى للجمعية . وهو وكذلك أعضاء مجلس الادارة جميعا لا يتقاضون أجرا عن عملهم :

- بدأت تنتعش تجارة الكتب القديمة في اليابان وأستراليا وأمريكا أيضاً فإن الناس في الغرب يهتمون بالقديم . . كالألقاب القديمة . . بصورة لم يسبق لها مثيل . . وجاء الآن دور الكتب .

صار الناس يحبون الاحتفاظ بالطبعات الأولى ، ومؤلفات قدامى الكتاب ومشاهيرهم ومن هنا زاد الإقبال عليها وأصبحت أسعارها خيالية .
قلت :

- في بلادنا انتعشت محلات بيع الأحذية وملابس النساء والأطفال !
قال :

- هنا يوجد كساد في هذه المجال ولم ينتعش إلا سمسرة العقارات والصيدليات ومكاتب المراهنات على الر رياضة وسباق الخيل والمقامرة بصفة عامة .
قلت :

- ولكن أسعار تأجير المحال غالية جداً فهل يستطيع صاحب مكتبة أن يدفع الإيجار المرتفع ؟
قال :

- في قلب مدينة لندن قرب المسارح الكبرى توجد أشهر محال لبيع الكتب القديمة وأصحابها يدفعون الإيجارات العالية لأنهم يربحون .
قلت :

- ألا تنفذ الكتب القديمة . إن صاحب المكتبة إذا باع ما يملك فإنه يصبح بغير رصيد يبيعه .

قال :

- الناس يريدون التخلص مما لديهم من الكتب القديمة التي اشتروها أو ورثوها فيسعون الى بيعها .

قلت :

- وهل تعطونهم الثمن المناسب ؟

قال :

- نحن نربح كثيراً من هذه العملية . ومن يريد الاستغناء عن شيء يقبل الثمن المعروف . ومن ناحية أخرى فالذين يريدون التخلص من كتاب قديم هم أفراد ضاقت بيوتهم بالكتب ولم تعد دخولهم تكفي حاجتهم ومن هنا يسعون للحصول على إيراد إضافي فيبيعون ما يملكون .

وبالإضافة الى ذلك فإن البعض يتمنى شراء كتاب جديد يطالعه ولذلك يعرض للبيع الكتب القديمة . أما راغب الشراء فهو طالب علم يريد مرجعاً أو قارئ يريد كتاباً بالذات أو رجل عنده فائض من الأيراد ولذلك يرغب في اقتناء كتاب أثرى يزين به مكتبته ويبيته .

وليس معنى ذلك أن جامعي الكتب القديمة لا يقرءون بل إنهم هواة من نوع آخر فهم قراء ، وهم أيضاً راغبون في الاقتناء .

وقال :

- يوجد دليل على رواج هذه التجارة من الأرقام . لقد زاد عدد باعة الكتب القديمة فبعد أن كانوا ستمائة ارتفعوا الى ستمائة وخمسين تقريبا وتمثل المرأة ١٥ في المائة من هذا الرقم . .

وقال :

- دخلت المرأة هذا المجال التجارى عن طريقين . . فإما أنها ورثت المكتبة عن أبيها وشقيقها أو زوجها . وإما أنها أنشأت هذه المكتبة لميول فكرية لديها أو لأنها تجارة رابحة . . وهى بالفعل رابحة .

وقال :

- الفرق بيننا وبينكم أن الناشرين في بريطانيا وعددهم ٤٠٠٠ تقريباً أغلبهم

لا يملك مطبعة . أما عندكم فالناشر أساسا صاحب مطبعة، كما كان الحال بالنسبة لأصحاب الصحف القديمة . فالصحف - في بدايتها - أصدرها أصحاب مطابع. أما هنا فالناشر مجرد وسيط أو سمسار أو وكيل عن المؤلف (يشتري الكتاب من المؤلف ويعطيه العربون ونسبة من إيراد البيع ويبيع الكتاب عند أصحاب المطابع وعددهم محدود فيحصل على مبلغ يمثل نسبة أخرى من ثمن البيع . وهكذا يتقاسم الجميع الثمن ويحصل البائع - أى صاحب المكتبة - على النصيب الأكبر من إيراد البيع وهو ٣٥ في المائة من ثمن الكتاب .

وإذا كان البائع ينال هذه النسبة من الثمن فإن صاحب المكتبة القديمة التى تبيع الكتب المستعملة ينال اضعاف هذه النسبة . نظراً لارتفاع الثمن . ولذلك زاد عدد المكتبات القديمة وراجت اقتصادياتها وانتعشت .

وقال لى :

- إذا أردتم أن ينتعش سوق الكتب فلا بد من انتشار الكتب القديمة .

ويبقى السؤال الهام وهو :

- كيف يتحقق ذلك ؟



قابلت فى نيويورك أشهر بائع كتب فى العالم « فردريك باس » الذى يبيع يوميا خمسة آلاف كتاب باللغة الانجليزية ، وهو رقم ضخم بالنسبة لبائعى الكتب فى كل مكان فى بلاد الدنيا ، وأسعار كتبه تبدأ من ربع دولار الى ٣٠ ألف دولار ، - والمشترون لهذا ، وذاك ، كما يقول كثيرون . . ولولا أنه وجد من يشتري بالسعرين المتناقضين المتباعدين لكان قد أغلق مكتبته منذ زمن .

وإذا كان هناك من يشتري من « فردريك باس » فإن من يبيع له كثيرون أيضا لأن مكتبته تبيع الكتب الجديدة ، والقديمة المستعملة على حد سواء .

تقع مكتبته « ستراند » عند تقاطع الشارع رقم ١٢ مع شارع برودواى ، وتضم مليونى كتاب لا يقل عددها أبدا لأنه يبيع ويشترى فى الوقت نفسه .

وعمر هذه المكتبة ثلاثون عاما، بدأت صغيرة ، بشراء الكتب القديمة ممن يريد التخلص منها ثم يبيعها بفارق بسيط يحقق له ربحا مكنه من الانتقال الى المكان الحالى ومساحته ٣٢ ألف قدم وثلاثة أدوار أحدها تحت الأرض .

وإذا كان - في البداية - يحصل على الكتب من الأفراد فإنه على مر السنين يشتريها من أشخاص لا يخطرون على البال أبداً .

قال لى :

- النقاد هم الذين يبيعون لى الكتب الجديدة . . فإن العرف جرى في الولايات المتحدة والغرب بصفة عامة ، على أن يبعث المؤلفون والناشرون بكتبهم الجديدة الى الصحف ، وإلى أقسام الكتب في الصحف والمجلات التي تهديها للنقاد .

ولا يستطيع الناقد أن يقرأ كل ما يصله ، أو يحتفظ بعشرات الكتب التي يعجب بها ولذلك فإن النقاد يتخلصون من هذه الكتب أولاً بأول ويبيعونها لمكتبة « ستراند » .

وعلى مر الزمن نشأت صلة منتظمة بين المكتبة والنقاد ، وهم يرسلون الكتب بالبريد أو يحملونها بأنفسهم الى المكتبة ، أو يطوف أحد الموظفين على النقاد في مواعيد منتظمة يأخذ ما تجمع لديهم من الهدايا !
وعملية الحساب تتم شهريا .

ولا يمكن أن يبالي الناقد في الثمن لأسباب كثيرة فهو لم يدفع ثمنا للكتاب ، ومن ناحية أخرى فإن الناقد يعلم يقينا أن مكتبة « ستراند » تباع أحيانا الكتب الجديدة التي لم تقرأ بنصف الثمن وربما أقل .

وهناك أيضا الناشر ولديهم رصيد ضخم من الكتب التي لم يتم بيعها ليسلموها بصفة دورية لستراند التي لا ترفض كتابا على الاطلاق فهي التي تحدد الثمن وتعرف أن هواة الكتب كثيرون وأن لكل كتاب قارئاً يبحث عنه .

وعندما لا تجد المكتبة سوقا رائجة لبعض الكتب فإنها تباع كل ٥ كتب بدولارين حتى لا يتجمع لديها مخزون ليس له مشترون .



وهناك باعة آخرون يوجهون مالديهم من الكتب لستراند .

إنهم أيضا أولئك الذين تضيق بيوتهم بالكتب ، أو يحتاجون للمال ، فيجدون أن المعلة أهم وأولى من العقل ، وهؤلاء ، كما يقول « فردريك باس » يبدو الحزن في عيونهم وهم يعرضون ما لديهم على « ستراند » .

ولذلك فإن المشتري من موظفي المكتبة يعامل مثل هذا البائع « المسكين » بحب ورقة ويقول له : إن مثقفاً آخر يحتاج لهذا الكتاب وسيطالعه ويشكرك دون أن يعرفك .
وفي الوقت نفسه فإن موظف المكتبة لن يسيل رقة وهو يحدد الثمن لأن هذا الموظف أصبح بخبرته وطول تجاربه - يعرف سوق الكتاب ويدرك تماماً الكتب الرائجة التي يقبل عليها المشترون .

وفي هذه المكتبة يوجد ١٢٥ موظفاً وعمالاً يتقاضون أجوراً مجموعها ٤٠ ألف دولار شهرياً ، بينهم من يقرأ المجلات الأوربية والأمريكية ، وصفحات النقد في الصحف والمجلات ، وهؤلاء هم الذين يحددون أسعار الشراء والبيع ، ويعيدون تقدير الأثمان صعوداً أو هبوطاً لأنهم أدرى الناس ببورصة الكتب وتقلباتها في السوق .
ويرى « فردريك باس » أن مكتبته ضرورية وأساسية وتلبي حاجة الناس ، القراء الهواة والمثقفين الدارسين أيضاً .



في هذه المكتبة ترى من يمضي ساعات يقرأ كتاباً ولا يقول له أحد :
- ماذا تفعل ؟

أو :

- توقف .

أو :

- عيب ؟

لسبب بسيط هو أن هذه الحرية تشجع القارئ « الفقير » على أن يشتري كتاباً أعجبه ولا يستطيع أن يتمه داخل المكتبة .

وكل ما تحرص عليه « ستراند » ألا يسرق أحدهم كتاباً فالمثقفون يسرقون ، ولذلك فإن مرايا مكبرة كثيرة تنتشر في المكتبة ليتسنى من خلالها مراقبة المتفرجين والمشتريين ولا يسمح لأحد بدخول المكتبة يحمل حقيبة أو كتاباً ، بل يجب أن يترك هذا كله مع موظف الاستعلامات عند المدخل .

وبهذه الطريقة تتوقف ، وتمتنع السرقات ، كما أن عدداً من رجال الأمن ، مفتولي العضلات ، يقفون عند باب المكتبة يخيفون اللصوص .

ومن ناحية أخرى فإن صاحب المكتبة يعذر قارئاً مثقفاً يحاول أن يسرق كتاباً، ولذلك لا يقدمه إلى رجال الشرطة بل يقول له موظف المكتبة بابتسامه :

- لا بد أنك نسيت أن تدفع .

أو :

- موظف الخزانة هناك

ويشير الموظف إلى موقع الخزانة .

وفي المكتبة - بالمناسبة - أربعة من موظفي الخزانة يجاسبون المشتريين ، وهم كثيرون ، في وقت واحد !



وأغرب من يبيع الكتب لستراند أصحاب المكتبات الخاصة الفخمة فيطلبون إلى المكتبة أن يحضر موظفون لبحث حالة الكتب وتقدير ثمنها .

سألت فردريك باس :

- وهل تجرى مساومة في هذه الحالة ؟

أجاب :

- نعم نحن نساوم من نشترى منه ، وهو أيضاً يساومنا ، ولكننا لانساوم أبداً من نبيع إليه وإلا ضاع الوقت في هذه العملية . فأسعارنا محددة ، ونحن نعيد التقييم والتقدير في كل فترة .



والمكتبة مقسمة إلى أقسام ، أحياناً حسب الموضوع ، وأحياناً حسب اسم المؤلف والقراء المتفرجون يغيرون - كثيراً - مكان الكتب ، ولذلك فإن الموظفين يعملون طوال اليوم لإعادة كل كتاب إلى مكانه للتيسير على المشتريين .

وهذا التيسير بتحديد مكان كل كتاب هو الذي يجعل الناس يجيئون إلى ستراند ، أو يبعثون إليها يطلبون كتاباً معيناً بالبريد .

قلت لفردريك باس :

- ولكن فكرة مكتبك ليست جديدة ؟ على ضفاف نهر السين في باريس يوجد باعة

للكتب القديمة . وفي ضواحي لندن توجد مكتبة أخرى مماثلة ، وفي شارع « شيرنج كروس » في لندن توجد مكتبات للكتب القديمة .

قال :

- ولكننا نبيع الكتب الجديدة أيضا . ولا نتعطل يوما . ولا نحصل على اجازة أبدا . وبالإضافة الى ذلك فإمكاناتنا المالية ضخمة تسمح لنا بشراء أى كتاب مهما غلا ثمنه بدليل أن عندنا كتابا « لجيمس جويس » صدر عام ١٩٢٨ ونطلب ثمناً له ٣٠ ألف دولار .

قلت :

- هل تعتقد أن أحدا سيشتريه .

قال :

- بعنا مثله بالثمن نفسه وبأكثر منه .

قلت :

- وهل ترفضون شراء كتب معينة .

أجاب :

- نعم . الكتب المدرسية ، فنحن نستهدف القارئ العام والمتخصص والباحث ولكننا لا نشترى أو نبيع كتباً مدرسية أبدا .



وبعد . .

فإن أشهر باعة الكتب القديمة نجدهم على سور الأزبكية في القاهرة ، وهؤلاء رواد ، رؤوس أموالهم قليلة ومع ذلك كانت توجد لديهم مجموعات نادرة من الكتب .

ومع زحف الكتب الخفيفة ، والروايات البوليسية « لأجاثا كرسى » وشرلوك هولمز وأرسين لوبين وجيمس بوند وغيرهم ، وانتشار شرائط الكاسيت تحول هؤلاء الباعة بالتدريج الى بيع هذا النوع من الكتب فهي أرخص ودورة المال أسرع ، والريح القليل يتجمع .

ولكن أختفت ، أو كادت ، تلك الظاهرة الحلوة ، وهى بيع كتب المكتبة الخاصة التى كانت تفيد باحثاً ، هاويا يبحث عن كتاب بالذات .

وظاهرة باعة الكتب على سور الأزبكية لا بد أن تتكرر في العواصم العربية مع تغيير أسلوبها بأن يكون لباعة الكتب القديمة مكان خاص توفره لهم الدولة ، بحيث يكون لكل بائع مكان أكبر أو أصغر حسب ما لديه من كتب وتساعدهم الدولة بعرض كتبهم القديمة في معارض الكتب السنوية .

ويمكن أن يتجمع هؤلاء الباعة في جمعية تعاونية تستطيع برأس مال أكبر أن تؤدي خدمة ضخمة لأصحاب الكتب ولراغبي شرائها أيضا . وهذه الخدمة نحن في حاجة إليها مع انتشار التعليم وكثرة المتعلمين وإقبال المرأة على القراءة .

وهناك كتب نفدت ولا يوجد من يريد إعادة طبعها ولكن يوجد آلاف يتمنون قراءتها .

وفي صحف ومجلات كثيرة في الخارج توجد أبواب للكتب القديمة يعلن أصحابها عن حاجتهم لكتاب بالذات ، ويعلن آخرون عن بيع كتب معينة لا يريدونها فإن الإعلان عن كتاب قديم جيد يحقق مصلحة كبيرة للفرد وللمجتمع أيضا .

وفي ألمانيا الغربية تصدر الصحف ملاحق في نهاية الأسبوع عن السيارات القديمة وأرقام تليفونات أصحابها ، وهذه هي الوسيلة الأسرع للبيع .

وقد بدأوا الآن يخصصون صفحات - لا ملاحق - للكتب القديمة . ولا يججلون من بيع هذه الكتب والإعلان عن ذلك . أما في العالم العربي فإن المثقف يججل من بيع كتاب لأنه يعتقد أن ذلك إعلان عن فقره أو إعلان للكافة بأنه قد زهد الكتابة والكتب ، ونسى أن بيع كتاب يفيد قارئاً مهما .

وبائع الكتب القديمة يحقق مصلحة عليا للجميع ولا يججل من مهنته بل يفاخر بها .

ولكن أغرب ما في الحكاية أن بعضا من باعة الكتب على سور الأزبكية لا يجيدون القراءة والكتابة بل - كما يقول المثل الشعبي المصرى - « يفكون الخط » أى يقرأون ويكتبون بصعوبة ، ولكن لديهم وعى كامل بقيمة الكتب ، وهم خبراء في علم النفس يعرفون المثقف من غيره ويعرفون أهمية الكتاب ويقدرون ثمنه ، عندما يحاول المثقف أن يظهر عدم الاهتمام به ، وأنه يشتره بلا مبالاة مع أنه يبالي ولولا ذلك ما وقف عند هذا السور العتيد !

وكانت المكتبة تعاني ضائقة شديدة عندما تولى أستاذ التاريخ منصبه قبل سبع سنوات ، وقد استطاع بهآدب العشاء والغذاء أن يجمع ٧٧ مليون دولار لتجديد المكتبة وتعيين الأمناء اللازمين . ولكن المشكلة المالية لاتزال قائمة فالمكتبة تحتاج الى ١٥ مليون دولار سنويا والتبرعات الحالية لاتزيد على مليون ونصف مليون دولار في كل عام .

ومكتبة نيويورك تختلف عن كل مكتبات العالم . نشأت كمكتبة خاصة تبرع لها اثنان من أهل المدينة بكل مالديهما من الكتب . وتبرع ثرى ثالث بالمال . وهكذا كانت البداية .

والآن للمكتبة ٨١ فرعا في جميع أنحاء المدينة تنفق عليها بلدية نيويورك ، ولكن ٣ مكتبات للأبحاث والمبنى الرئيسى تعتمد على التبرعات الخاصة وأيضاً لدفع مرتبات العاملين وشراء كتب بثلاثة آلاف لغة .

والمركز الرئيسى يقف وسط شارعين ويقطعهما . وهو المبنى الوحيد من نوعه في نيويورك الذى يعترض امتداد شارعين . يقف أمامه تمثالان حجريان لأسدين أشبه بأسدى كوبرى قصر النيل الشهير في القاهرة ويختلفان عنها في أن أسدى نيويورك يرتديان القبعة العالية .

وقد عانت المكتبة من الأزمة الخانقة التى عصفت بميزانية بلدية نيويورك فاضطرت فروع كثيرة إلى فتح أبوابها ثلاثة أيام في الأسبوع وفروع أخرى بلا أجهزة تكييف فتغلق في أيام الصيف الحارة .

ولم تستطع فروع كثيرة إنشاء مداخل بلا سلام حتى يمكن أن يعبرها المعوقون من أصحاب الكراسى ذات العجلات .

وجاء جريجوريان ليعتمد على المتبرعين يناشدهم .

ورغم أن التبرعات كانت صغيرة للغاية في البداية إلا أنه دعا ستة آلاف من هؤلاء المتبرعين إلى حفل استقبال بدار المكتبة وصافح كلا منهم .

وكان لهذه العملية صدى ضخم في المدينة فزادت التبرعات .

ولجأ إلى إقامة المآدب الضخمة للأثرياء . وجعل قيمة الطبق الواحد ألف دولار .

وكانت مأدبة القمة في العيد الماسى عندما جعل ثمن مائدة العشاء ٢٥ ألف

دولارا

وإذا كانت المكتبة تختلف عن غيرها بالنسبة للموقع فإنها تختلف عن غيرها في الكتب التي تحتويها .

لقد اتفق الأساتذة والخبراء على أنها آخر ملجأ في العالم يتجه إليه الانسان إذا عجز عن الاهتمام إلى المرجع النهائي في ٦٦ موضوعا منها الهندسة والمحركات وتاريخ السود ولعبة البيس بول وبراءات الاختراع .
وفيها مليوناً صورة .

أما الخرائط فلا حصر لها ، ويمكن أن تجد فيها شوارع أية عاصمة أو مدينة كبرى في العالم .

وتفتح مكتبة الأبحاث ٨٧ ساعة كل أسبوع لتناسب مواعيدها أي فرد يريد الاطلاع على شيء . ويقولون إن المهاجرين إلى الولايات المتحدة الذين يصلون إليها مفلسين يتلقون أول مراحل التعليم في مكتبة نيويورك .
وفي هذه المكتبة نشأت أفكار اختراعات جديدة جريئة .

إدوين لاند مخترع كاميرا « البولاريد » وجد الفكرة الأولى وهو يطالع في قاعة الأبحاث .

وربيلي مؤلف كتاب « صدق أو لاتصدق » عاش ٥٣ سنة يقضى سبعة أيام كل أسبوع في هذه المكتبة يجمع مادة كتابه .

وكل الذين طالبوا بتعويضات عن خسائر الحرب الثانية ، أو قبل ذلك . . جمعوا المستندات من خلال أدلة التليفون في وارسو وبرلين وبودابست في الثلاثينات وحتى انتهاء الحرب ، وهي توجد داخل المكتبة .

ويقولون إن رجلاً من نيوجيرسي أمضى ١١ سنة يتابع أسماء قتلى الحرب الأهلية الأمريكية من مواطني ولايته ليثبت أن عدد الضحايا كان ضخماً . . وبالفعل أصدر دليلاً يضم أسماء ٥٠ ألف قتيل من نيوجيرسي .

والسبب في تعدد لغات الكتب أن مدينة نيويورك فيها أشخاص جاءوا من دول كثيرة : ولذلك فإن كل كتاب تشتريه المكتبة يجب - إن أمكن - أن يكون قد ترجم إلى سبع لغات عدا الانجليزية لإرضاء سكان المدينة الذين جاءوا من أصول يونانية وإيطالية وأسبانية . . إلخ .

والكتب مدرجة في قوائم يضمها عقل الكتروني . . ومع ذلك فإن ٤٠٠ ألف كتاب وضعت على الأرض لم تسجل أسماؤها بعد في كتالوجات لأنه لا مكان لها على الرفوف .

ومع ذلك يفكرون الآن في إقامة دائرة تليفزيونية مغلقة تربط المركز الرئيسي بالفروع حتى يستطيع أى فرد أن يعرف فى أى فرع يوجد الكتاب الذى يطلبه . وهل استعاره أحد أم لا يزال على رف فى هذا الفرع أو ذلك . وما هو المرجع المناسب إذا كان القارئ يبحث فى موضوع معين !

والأغرب من ذلك أنهم يريدون شراء إيريال ضخمة حتى يمكن الاتصال بأية بلد ، وبأية مكتبة فى العالم لمساعدة الباحث فيما يطلب .

ومحاول «جريجوريان» أن يعرض الخطأ الذى وقع فيه عندما أقام الحفلات الراقية التى تجمع ألوف الدولارات فى الليلة الواحدة . فقد قال له كثيرون كما فعلت سيدة المطعم :

- وما حاجتك إلينا ونحن فقراء . عندك الأغنياء يمدونك بما تطلب من المال .
ومن هنا فإنه يحرص على أن يوجه خطاب شكر شخصى لكل من يقدم مالا أو كتابا .
وهو يقول :

- هل تعلمون ماذا كلفتنى هذه المآذب . . لقد زاد وزنى أكثر من ١٥ كيلوجراما إذ أضطر لتناول الطعام مجاملة للحاضرين .
وإذا كان وزنه قد زاد فإن مجموعة الكتب أيضا قد تضاعفت ولكنها مهددة بفقد معظم الكتب الصادرة قبل عام ١٨٥٠ .

المادة التى صنع منها ورق هذه الكتب لا تتحمل مناخ المكتبة وجوها وظروفها ولذلك بدأ الورق يتجعد وينكمش ويبلى حتى أن بعض الكتب أصبحت « كالبودرة » .

ومن هنا فلا بد من الاستعانة بمواد كيميائية لحفظ هذه الكتب ثم تصويرها على الورق وعلى شاشات العقول الألكترونية .

وقد قيل له :-

- مالذي يدعوك لهذا الجهد ، أو الاستمرار فيه ولست من سكان نيويورك ومواطنيها . إن أحدا غيرك لم يفعل ما فعلت .

قال :

- لأنى مؤمن بشىء واحد . وهو الخلود .

قيل له :

- ولكن الخلود أن تؤلف . . أنت . . كتابا .

قال :

- لا .

وأضاف :

- الخلود الحقيقى لا يوجد إلا فى مكتبة . . أية مكتبة . . إنها الذاكرة الجماعية للبشرية وللانسانية . . وأعتبر نفسى أستاذا فاشلا للتاريخ إذا لم أقنع الناس بأن المكتبة هدف يستحق أن يعيش الإنسان من أجله .



وفى العالم العربى تقام الحفلات لتكريم اشخاص . وتجمع التبرعات لإقامة المستشفيات وغير المستشفيات . ولكننا لم نسمع عن إنسان يهب نفسه لبناء مكتبة أو المحافظة عليها، ويقوم الحفلات الغنائية من أجلها . . وفى سبيل الخلود والاحتفاظ برصيد الفكر العربى وما أكثره وأعمقه مع أن أول مكتبة عامة متنقلة قامت . . هنا . . فى الشرق .

وهى أغرب مكتبة فى العالم أيضا . وضعت الكتب - ١١٧ ألفا - نسخت بخط اليد على ظهر ٤٠٠ جمل تتبع الوزير أبو القاسم إسماعيل فى الصحراء ، حيث يسير .

ورتب الكتب حسب الحروف الهجائية لسهولة الاطلاع والاستدلال قبل ميلاد المسيح بما يقرب من ألف عام .

وانتشرت المكتبات بعد ظهور المطابع ، وأصبحت قاعدة أن يودع الناشر - نسختين أو أكثر - من كل كتاب يصدر فى المكتبة العامة الرئيسية فى العاصمة .

وانتقلت المكتبات العامة من بلادنا إلى بلاد أخرى ، فأصبحت مكتبة الكونجرس في واشنطن أكبر مكتبات العالم أقيمت على أرض مساحتها ٦٤ فداناً وتضم ٢٠ مليون كتاب ، وطول رفوفها ٨٥٦ كيلو متراً . وتعمل بالعقول الاليكترونية .

أما المكتبة البريطانية في لندن ، وقد اشتهرت باسم مكتبة المتحف البريطاني فتحفظ فيها أيضاً الأعداد التي تصدر من ٩٠ ألف صحيفة .

وتضاف إليها سنوياً ٧ كيلو مترات من الرفوف للكتب الجديدة .

زرت هذه المكتبة - ولها ١٦ فرعاً في لندن - وكنت مضطراً للعودة إلى القاهرة في اليوم نفسه وأمامي كتاب يجب أن أطلع عليه ولا أستطيع إتمامه فقد اقتربت الساعة من العاشرة مساءً والمكتبة ستغلق .

أخذت أتجول في الأقسام المختلفة ، أدخل وأخرج ، وأخضع لإجراءات الأمن الدقيقة فاقترب مني أحد رجال الشرطة يسألني بابتسامة :

- مارأيك ؟

قلت يائسا :

- أفكر في سرقة هذا الكتاب .

قال :

- عرفنا ذلك من رؤية وجهك على دائرة التلفزيون المغلقة . . فزادت الرقابة حولك .

وأضاف :

- تستطيع هذه السكرتيرة أن تصور لك كل الكتاب في دقائق . . وبقروش .

وعرفت يومها - لأول مرة - أن كل المكتبات الكبرى تصور الكتب والصحف لمن يرغب فتحصل على إيراد ضخم ، وتوفر على المثقفين مشقة السرقة والقبض عليهم متلبسين بسرقة الفكر . . مادياً !



ولا توجد وسيلة لتشجيع القراء سوى المكتبات العامة ، فهي لا تتقاضى مالا لمن يقرأ الكتب داخل قاعات المكتبة . ويطلب بعضها تأميناً لمن يستعير الكتب خارجها .

ويدفع القارىء ثمننا في حالتين :

الأولى : إذا تأخر في رد الكتاب عن مواعده المقرر حتى يلتزم الجميع الصالح الجميع فلا يستأثر أحدهم بكتاب .

وهذه القاعدة مطبقة في مكتبات المعاهدة الأجنبية .

وهناك حالات صارخة - قياسية - للتأخير .

رد أحدهم لجامعة «سينسناتي» الأمريكية كتابا عام ١٩٦٨ استعاره أحد أجداده قبل ١٤٥ سنة فطالبته مكتبة الجامعة بمبلغ ٢٦,٦٤٦ دولار مقابل التأخير فاعتذر قائلا :

- إن جده مسئول ولم يترك ميراثا .

فكرت الجامعة في إقامة دعوى ضد ورثة الجد القارىء .

وفكرت الجامعة أيضا في منع الأسرة كلها من استعارة الكتب .

وكان هناك مؤيدون لحرمان الأسرة .

وكان هناك من دافع عنها قائلا إنها ردت الكتاب فلها فضل .

وأخيرا عدلت الجامعة عن الحرمان وعن العقاب باعتبار أن الدوى الذى أحدثه التأخير حقق الأثر المطلوب عند باقى القراء .



وقام حريق في منزل وكيل نيابة في نيويورك .

أسرعت فرق الإطفاء لتنقذ ١٥ ألف كتاب استعارها وكيل النيابة مستغلا نفوذه دون أن تكون لديه بطاقة استعارة من المكتبة .

وكان دفاع وكيل النيابة المتهم أنه قارىء هاو لكتب القانون يريد الرجوع إلى كل هذه الكتب في وقت واحد .

فيل لوكيل النيابة .

- كنت تستطيع العودة إلى بعضها داخل مكتبة نيويورك .

رد قائلا :

- هذه ليست مكتبة مثالية .

قالوا له :

- بعد كل ما فعلنا تهاجمنا - وما المكتبة المثالية في رأيك ؟

أجاب :

- هي المكتبة الانسانية التى يستطيع فيها الانسان أن يدخن وهو يقرأ ، لأن التدخين ممنوع في قاعات القراءة في كل المكتبات العامة خوفا على القراء والكتب ويستطيع الانسان أن يحتسى قدحا من الشاي أو القهوة ، ويقلب صفحات الكتاب بصوت مسموع ، ولا يعامل الكتب كأنها وسائل نقل مقدسة لنقل العلم والمتعة والمعرفة .

قال له مدير المكتبة متسائلا في دهشة :

- وأين هذه المكتبة .

أجاب وكيل النيابة المتهم :

- مكتبة الانسان الخاصة في بيته . . ولذلك جئت بهذه الكتب لأطالعها بطريقتى
المفضلة !

ولا دليل على صدقه سوى أن الكتب مرتبة أنيقة لم يمسهأ سوء إلا أن الحريق كاد يلتهمها جميعا بعد أن عجز عقل وكيل النيابة عن الاحتفاظ بها .

قيل له :

- وهل تعرف مزايا القراءة داخل المكتبة العامة .

قال :

- لا توجد مزية واحدة .

قال مدير المكتبة :

- أنت مخطىء ، في المكتبة العامة تحس بأشباح المؤلفين وأبطالهم تحيط بك وتلهمك .
أما في المكتبة الخاصة فإنك لا تقرأ إلا بين برنامجين أو حلقتين ، على شاشة التلفزيون أو عندما تهرب إلى الكتاب بعد مشاهدة فيلم على شريط فيديو يمثله فنان .

وهناك فرق ضخم بين الكاتب والفنان ، من يؤلف الكتب ومن يؤلف أغنية أو لحناً .

المؤلف يحصل من الناشر على مبلغ معين مقابل حق نشر أى كتاب .
وإذا كان المؤلف شهيراً فإنه يأخذ نسبة من ثمن بيع الكتاب للقراء . . وهذه النسبة تتراوح بين ١٠ و ٢٥٪ حسب شهرة الكاتب .

وإذا أعيد طبع الكتاب مرة أخرى فإن نسبة دخل المؤلف تزيد ، أو تنقص ، على أساس اسمه وقدرته على المساومة فى أغلب الاحوال .

أما الفنان فيتمتع بمزايا كثيرة .

مؤلف الأغنية ، أو المقطوعة الموسيقية ، وملحنها يحصلان على أجرهما من المغنى ، أو المغنية . والمغنية تباع أغنياتها للإذاعة وشركة الاسطوانات ومحطة أو محطات التليفزيون .

وكلما أذيعت الأغنية فى إحدى الاذاعات أو فى التليفزيون فإن المؤلف والملحن ينالان أجرا فى كل مرة يدفع لهما فى نهاية العام بواسطة جمعية المؤلفين والملحنين فى باريس ، أو فروع هذه الجمعية فى الدول المختلفة .

وبهذه الطريقة يجد الفنان وورثته دخلا سنويا ثابتا .

وفى العالم العربى يقل دخل الكاتب نظرا لانتشار الأمية وارتفاع ثمن الكتب بالقياس إلى دخول القراء مما يجعل توزيع الكتب محدودا .



ومنذ نصف قرن والكتاب فى كل مكان يبحثون عن وسيلة لزيادة دخولهم وظلت المعركة قائمة بينهم وبين الناشرين الذين يفضلون مشاهير الكتاب لسرعة توزيع مؤلفاتهم فيسترد الناشرون أموالهم . . مع الأرباح .

وتدخلت الدول بشراء حقوق التأليف من بعض الكتاب ، وطبع كتبهم ، أو بتقديم دعم للكتاب والتوسع فى منح الجوائز .

ولكن الكتاب لم يكتفوا بذلك . وطالبوا الدول بمعاملتهم أسوة بالفنانين فقالوا إنه يجب منحهم أجرا عن كل كتاب يطالعه قارئ فى أية مكتبة عامة كما يحدث للفنان عندما تداع أغنيته وألحانه فى الاذاعات والتليفزيون .

وقد وافقت إنجلترا أخيرا على تطبيق هذه القاعدة التي تعتبر تطورا خطيرا لصالح المؤلفين .

وافق وزير الفنون البريطاني اللورد جوري على اعتماد مليوني جنيه لهذا الغرض .
واختار عشرين مكتبة عامة تعير الكتب للقراء في البيوت ، أو تسمح لهم بمطالعتها ، داخل المكتبة .

ورأى تطبيق ما يحدث في هذه المكتبات العشرين على مكتبات إنجلترا بعد نجاح التجربة .

وخصص أقل من قرش واحد - على وجه التحديد ٩٢٪ من القرش - للمؤلف عن كل مرة يطالع فيها كتابه أحد القراء .

وطلب من المؤلفين الذين يريدون الحصول على دخل من هذه العملية أن يتقدموا بطلبات رسمية . . فتقدم ٩٣٩٥ كاتباً .

وقال إنه سيستفيد من هذه العملية المترجمون وجامعو المقالات ، ولكن دخل هؤلاء ٣٠٪ و ٢٠٪ فقط من القرش .

وقال إن الكتاب الأجانب الذين يقيمون في إنجلترا يستفيدون أيضا .

وخصص ١٥ موظفا للإشراف على التنفيذ وعقلا أليكترونيا يتولى القيام بالعملية الحاسوبية لتحديد دخل كل كاتب .



وقد أفاد من هذه العملية في العام الماضي ٧٦٨٠ كاتباً وحرماً ١٧١٥ كاتباً لم يحصلوا على النسبة المطلوبة من القراء .

وكان متوسط ما حصل عليه كل كاتب ٢١٦ جنيهاً .

ونال ٤٧ كاتباً مبلغ ٥٠٠٠ جنيه .

وبعض هؤلاء من مشاهير الكتاب في بريطانيا ، وإن كان أغلبهم غير معروف في العالم العربي ، وهم جيفرى أرشر وبريان الرئيس وكاترين كوتسون وبربارا كارتلاند .

ولعل هذا يدفع القائمين بأعمال الترجمة في العالم العربي إلى الاهتمام بأسماء الـ ٤٧ كاتباً لترجمة ما يصلح من كتبهم للقراء العرب .

وتبين أن هناك كتابا لا يتمتعون بالشهرة ومع ذلك فإن القراء في المكتبات العامة يستعرون كتبهم ، ويطلبونها بكثرة ، لأن قارئ الكتب في المكتبة العامة يختلف عن القارئ الذى يشتري الكتب . . لكل مزاجه ورغباته وميوله عند شراء الكتاب أو عند استعارته .

ومن خلال العقل الأليكترونى استطاع وزير الفنون البريطانى أن يعرف رغبات القراء لتشجيع حركة النشر . كما عرف الناشر ما لم يكونوا يعلمونه عن القراء الفقراء .

ورغم أن المبلغ الذى حصل عليه المؤلفون - فى المتوسط - يعتبر متواضعا إلا أنه بداية ستزيد بعد أن رفع الاعتماد المخصص لهذا الغرض إلى مبلغ ٢,٧٥٠,٠٠٠ جنيه .

قال لى الاستاذ محمود لطفى مستشار جمعية المؤلفين والملحنين فى مصر إنه لا بد من تطبيق هذه القاعدة التى اتبعت فى بريطانيا على المؤلفين فى العالم العربى .

وقال لى إن الفنان العربى أسعد حظا من الكاتب العربى والغربى أيضا . وأضاف ساخرا إن المغنى أو المغنية ينال أجرا ضخما إذا غنى فى حفل عام أو خاص .

وقال إن مؤلف وملحن الأغنية ينال كل مهما مليمين فى الدقيقة الواحدة من الاذاعة المصرية فى مرة تداع فيها أغنيتها .

ويرتفع هذا الأجر إلى ٣٠ مليا للمؤلف والملحن عن الدقيقة الواحدة فى التلفزيون .

ويخصص التلفزيون ١٨ ألفا من الجنيهات لهذا الغرض .

ولكن المؤلفين والملحنين يحصلون على مبالغ أخرى من الاذاعات ومحطات التلفزيون العربية والغربية بمعدل ٣ جنيهات عن الدقيقة الواحدة .

وتدفع الاذاعة البريطانية - مثلا - لجمعية المؤلفين والملحنين المصرية ٣٠ ألف جنيه سنويا - وهذه الطريقة ترتفع المبالغ التى توزع على المؤلفين والملحنين فى العالم العربى إلى ٥٠٠ ألف أو ٦٠٠ ألف جنيه سنويا .

وأشهر الملحنين الذين يحصلون على دخول من حق الأداء العلنى ، السنباطى ٣٠

ألف جنيه سنويا - لأنه لحن أغاني أم كلثوم وويليه محمد عبد الوهاب ٢٩ ألفا وبلغ
حمدي ٢٧ ألفا .

وهناك نسبة معينة للموسيقى التصويرية في الأفلام السينمائية تدفعها دور السينما
التي تقدم هذه الأفلام ، كما تدفع أيضا مقابل الأغاني التي تذاع قبل بدء العرض
وأثناء الاستراحة . ويحصل جمال سلامة على ٢٢ ألف جنيه سنويا في المتوسط وويليه فؤاد
الظاهري ١٠ آلاف جنيه سنويا .

ولا يقتصر حق الأداء العلني على الإذاعة والتلفزيون بالنسبة للمؤلفين والملحنين
بل إن شركات طبع الشرائط المسجلة تدفع ٤٪ من صافي الإيراد للمؤلف ومثلها
للملحن وحصيلة ذلك للجمعية المصرية يصل إلى ربع مليون جنيه .
بل إن كل محل عام وناد ليلي في أي فندق مصري يدفع مبلغا ثابتا للجمعية مقابل
حق الاداء العلني .



ومع انتشار الفيديو يطالب الفنانون بالحصول على نسبة معينة من شركات تأجير
أفلام الفيديو عن الأفلام والأغاني للحصول على حق الأداء العلني .
وقد أصدرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة حكما يلزم صاحب إحدى
شركات تأجير أفلام الفيديو بأن يدفع لمؤلف أغنية مبلغا نظير الاداء العلني .
وحكم المحكمة العليا في أمريكا نهائى ولذلك فإنه سيلزم كل شركات الفيديو .
وجرت العادة على أن أحكاما مماثلة تصدر من القضاء الأوربي في أعقاب صدور
حكم المحكمة العليا الامريكية في القضايا المتشابهة .



وقد بدأ حق الأداء العلني للمؤلفين والملحنين في فرنسا عام ١٨١٥ . ومن فرنسا
انتقلت الفكرة إلى باقى دول اوربا وأمريكا .
وعندما استقلت الدول العربية التي استعمرتها فرنسا ، في شمال أفريقيا ،
أصدرت تشريعات مماثلة لحماية حق المؤلف والملحن .
وقامت جمعية المؤلفين والملحنين في مصر عام ١٩٥٤ وصدر أول تشريع عام

١٩٥٥

وفي الوقت نفسه تدفع بعض الإذاعات العربية للجمعية الفرنسية في باريس مبلغاً مقابل الاغنيات الاجنبية التي تقدمها الاذاعات التي تنطلق من العواصم العربية ، وكذلك محطات التليفزيون . ولكن هذه المبالغ تعتبر قليلة كما أن الميزان لصالح الفنان العربي الذي تحتاج لصوته وكلماته وألحانه المحطات الاجنبية التي تقدم إذاعات وبرامج عربية .



وبقى الكاتب مهضوم الحقوق في حق الأداء العلني في العالم كله حتى وجهت اليه الاهتمام وزارة الفنون في بريطانيا .

وما فعلته هذه الوزارة يعتبر بداية على طريق تصحيح الأوضاع ، أو بداية إنصاف لذلك الانسان الذي يحيا من فكره وقلمه .

وفي العالم الغربي يستطيع الكاتب أن يتفرغ للكتابة ليحصل على دخل من كتبه إذا راجت وانتشرت . ومع ذلك فكرت وزارة الفنون في إصلاح اجتماعي محدود لصالح هذا الكتاب ، أما في العالم العربي فإن الكاتب لا يستطيع أن يتفرغ للتأليف ولا بد أن يعمل في الصحافة أو الاذاعة والتليفزيون ، أو في وزارة الاعلام أو التدريس أو أى عمل آخر ليتقاضى مرتباً ثابتاً يعينه على الحياة وإلامات جوعاً إن صح هذا التعبير !

ومن هنا لا بد من نظرة جديدة لتشجيع الكتاب بتقرير حق المؤلف في مبلغ محدد عن كل كتاب يستعيره قارئ .

ولكن عدد المكتبات العامة في الدول العربية قليل ، ولا بد من زيادته والتوسع في إنشاء المكتبات في المدارس والكليات الجامعية لتضم كتباً عامة خارج النطاق المدرسي والجامعي لتتسع مدارك الطلاب .



وإذا كانت المكتبات تشجع القراءة فإن « نادى الكتاب » الذي قام عام ١٩٢٦ لأول مرة يساعد على نشر الكتب .

وقد تعددت هذه الأندية وأصبحت تحمل اسماً أخرى مثل « نادى كتاب الشهر » .

وأعضاء النادي يدفعون اشتراكات سنوية مقابل حصولهم على الكتب بأسعار مخفضة للغاية ، وفي طبعات شعبية ، كما تقدم الأندية كتابا أو أكثر مجانا لكل عضو يشتري كتابين أو ثلاثة .

وفي هذه الأندية محكمون من كبار النقاد والادباء يختارون كتابا كل شهر . . ومن هنا جاء اسم النادي .

وترحب دور النشر بهذه الأندية لأن اختيار كتاب يعنى رواجه وزيادة مبيعاته . وتدفع الاندية أيضا لدور النشر مبالغ - أحيانا طائلة - مقابل السماح بإصدار الكتاب في طبعة شعبية لأعضاء الاندية .

وأكبر مبلغ دفعه ناد كان لكتاب آرثر شليزنجر عن « روبرت كيندى وعصره » أما المبلغ فهو ٧٢٥ ألف دولار .

وأهم ما تحققه هذه الأندية أنها ترسل الكتب الفائزة المختارة لقراء في مناطق نائية لاتوجد فيها مكتبات عامة ، أو متنقلة أو مكتبات تباع الكتب .

ولا يوجد دليل على تراجع القراءة وانحسار مدها من انتشار أندية الفيديو في كل مكان من عالمنا العربي كله في حين لا يوجد ناد واحد للكتاب .

وقد أصبح قيام وانتشار أندية الكتب في بلادنا ضرورة في مواجهة التلفزيون وافلام الفيديو أو لإقامة نوع من التوازن معها .

وفي بعض الدول يستغلون التلفزيون للدعاية للكتب .

المذيع على الشاشة يقرأ فقرات ثم يقول للمشاهدين :

- هذه لقطات من كتاب كذا .

أو يقدم التلفزيون مشهدا تمثيليا من الكتاب ثم ينصح الناس بقراءة الكتاب .

وهذا كله نجح جزئيا في الدول التي انخفضت أو تلاشت فيها نسبة الأمية .

وفي الدول النامية لابد من وسائل أخرى كثيرة أهمها الدعم بكل الطرق .

وإذا كانت الحكومات تدعم المواد الغذائية ، وورق الصحف ، والكتب فإن دعم

أندية الكتاب لا يقل فائدة .

ومن الصعب في البداية جمع العدد اللازم من الأعضاء لإقامة ناد واحد للكتاب

في حين تعدد الأندية في معظم دول الغرب ، فلا بد من مساعدة حكومية لتأجير مقر ، وتشجيع شراء الكتب من المؤلفين والناشرين .

بل أن من واجب الناشرين أيضا المساعدة على تأسيس هذه الاندية لأنه على المدى البعيد ، تتحقق فائدة ضخمة للمؤلفين والناشرين من تعدد الأندية . . وخلق المناخ الفكري الذي تسعى إليه الدولة .

قبل الحرب العالمية الاولى كان ينشر في ألمانيا سنويا ٧٠٠ كتاب عسكري في حين لا ينشر في إنجلترا سوى ٢٠ كتابا فقط في الشؤون الحربية، وبذلك وجد مناخ ورأى عام في ألمانيا ينادى بالحرب ، ويطالب بها ، ويشجع عليها . . فلما أعلنت ألمانيا الحرب أيدها الرأي العام وإن ندم ساعة الهزيمة .

ويمكن للحكومات أن توجه قيادات الاندية لا في اختيار الكتب الفائزة فحسب . بل في تشجيع نشر الكتب الأدبية ، والاقتصادية والتي تسمو بأفكار القراء .

وفي بلاد ، كالمجر ، تحصل الحكومة على نسبة مئوية من توزيع الروايات تخصصها لنشر الكتب الأخرى ، العقائدية ، لتوفير المناخ الفكري الذي تسعى إليه الدولة .

وهم يعللون ذلك بأن من يقرأ رواية يجب أن يدفع لنشر كتاب غير روائي . . أو كتاب جيد !



وقد تبين أن أندية الكتاب ، وأندية كتاب الشهر أحدثت انقلابا في عالم النشر وأصبح ٢٠ في المائة من الكتب يباع عن طريق هذه الأندية وبواسطتها .



وهناك وسائل كثيرة لنشر الكتب .

في بريطانيا تجد لافتات على المباني ، وضعتها البلدية تقول :

- هذا البيت كان يقيم فيه الكاتب فلان ، أو الشاعر فلان .

وعلى مباني أخرى لافتات تقول :

- هنا كان يوجد بيت فلان .

وفي فرنسا يحتفلون بمرور الأعوام على ميلاد أو وفاة مشاهير الكتاب والشعراء .

وتقام المآدب فى دور النشر بهذه المناسبة ويشهدها أحفاد المشاهير وعدد من القراء أعضاء أندية الكتاب وغيرهم .

والتلفزيون والاذاعة يحتفلان بالذكرى بطريقة لاتجعل المشاهدين والمستمعين يحسون بالملل .

ودور النشر تتضامن أحيانا بعرض مخطوطات الكتاب أو الطبعات الأولى من كتبهم .

وفى المكتبات العامة تعقد الندوات نقدا وتحليلا وإعجابا . لأنهم يعتقدون أن الفكرة يخدمها الأنصار والخصوم على السواء .

ولعل أطرف ما جرى فى فرنسا ، فى هذا الشأن حدث عام ١٩٢٦ .

ظل أعضاء الجمعية العامة - البرلمان - طول الليل وحتى الفجر يناقشون تخفيض الميزانية فأكلوا وشربوا على حساب الدولة بما قيمته ٣٥ ألف فرنك .

وبعد أيام وافقوا على اعتماد ٣٠ ألف فرنك للاحتفال بذكرى الكاتبة مدام سافينييه دون أن يأكل أحدهم ، أو يكلف الدولة ثمن كوب ماء واحد .

أبناء الاحتلال

قال التلاميذ لمدرسة الفصل :

- لاداعى للدروس اليوم . دعينا نذهب عائدين إلى بيوتنا فأن آباءنا فى قلق .
قالت المدرسة :

- درس اليوم هام جداً .

قال التلاميذ ببراءة الصغار :

- وهل هو أهم مما يجرى عندنا .

قالت المعلمة :

- إنه متمم لما يحدث . ضعوا أمامكم كتاب التاريخ المقرر .

فتح الصغار الحقائق والأدراج وأخرجوا الكتاب .

قالت المعلمة :

- والآن مزقوا الصفحة رقم ٢٩ .

قال أحد التلاميذ فى دهشة :

- نمزق الكتاب . هل هذا معقول . ماذا أصابك ياسيدتى ؟

قالت المدرسة وهى تحاول كتبان مشاعرها :

- ليس هذا شأنك ، مزق الصفحة .

استنكر باقى التلاميذ ذلك . ولكن المعلمة أمسكت أحد الكتب ، فى غضب ،

ومزقت الصفحة .

بكى التلاميذ وهم يقلدونها .

واستمرت المدرسة تقول :

- صفحة ٣٥ .

قال أحد التلاميذ ساخرا .

- لم يحدث هذا من قبل .

ومرة أخرى أمسكت المدرسة كتابا ومزقت الورقة ولكنها احتفظت بها أمامها
لتأخذها معها .

وتبعها التلاميذ يمزقون الورقة في أسى .

وتكررت العملية أكثر من مرة .

قالت المدرسة :

- أما في الصفحة ٨٢ فلا داعى لتمزيق الصفحة . . . وأطمسوا بعض السطور .

وأخذت تملأ أرقام هذه السطور .

قال أحد التلاميذ :

- كيف نفعل ذلك ؟

قالت المدرسة :

- بالقلم . بالحبر . لاتفعل سطرا واحدا يظهر .

قال تلميذ :

- تريد أن نمحو تاريخ بلادنا ؟

قالت المدرسة التى انفجرت بدورها باكىة :

- هذا ما أعنيه ، وأقصده . نعم من الآن يجب أن نمحو تاريخ بلادنا .

قال أول الفصل :

- لاحظت أنك تمزقين الصفحات والسطور التى تتحدث عن مجدنا القديم

وعظمتنا الخالدة ؟

أجابت المدرسة :

- نعم . من الآن يجب أن يتغير التاريخ .

قال تلميذ :

- ولكن كل هذا جرى فيما مضى ، ولا يملك أحد أن يمحو الماضي ، وأن يبدله .
إنه جزء من تراثنا القومى .

قالت المدرسة وهى تنهى الحصه :

- إن تاريخ اليابان سيتغير ابتداء من الآن . الأسطول الأمريكى يرسو- هذه
اللحظة - على شاطئ القرية . . قريتنا .

وغادرت الفصل دامعة العينين .

وجاءت مدرسة الرسم . قالت :

- هل جئتم بكل اللوحات التى رسمت طوال السنة .

قال التلاميذ متسائلين :

- كلها ؟

قالت المعلمة :

- ضعوا أمامكم اللوحات التالية : السفن الحربية . الطائرات الحربية . المعارك
القتالية . الجيش اليابانى .

انهمك الطلبة فى جمع اللوحات قائلين :

- هاهى أمامنا .

قالت المعلمة :

- مزقوها تماما . اقطعوها . لاجعلوا شيئا منها يظهر .

قال أول الفصل :

- يبدو أن المدرسة تريد إلغاء أعمال السنة تماما . فى الحصه الماضيه محونا التاريخ .
وفى هذه الحصه نمزق الجيش والطيران اليابانى !

قالت المدرسة :

- ما داموا قد انتهوا فى الواقع فلم لا ننهبهم فى اللوحات .

وغادرت المدرسة الفصل باكيه .

ويتكرر المشهد طوال اليوم في رواية « أطفال ماك آرثر » .

وماك آرثر هو القائد الأمريكى الشهير الذى انتصر على اليابان فى الحرب العالمية الثانية بعد إلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتى هيروشيما ونجازاكي فاضطرت اليابان إلى الاستسلام وتم توقيع معاهدة بذلك مع الجنرال على ظهر السفينة الحربية الأمريكية « ميسورى » .

والرواية تقدم « أطفال ماك آرثر » أى الاطفال الذين ولدوا فى قرية للصيادين ، فإن الكاتب اليابانى « يو آكو » أراد أن يقدم التغيير الذى طرأ على الجيل الجديد فى بلاده بعد الاحتلال الأمريكى لليابان : وقد حول المخرج الشهير ما ساهيرو شينودا هذه الرواية إلى فيلم سجل أعلى الايرادات .



كان شينودا فى الرابعة عشرة من عمره يوم هزمت اليابان فى الحرب العالمية الثانية .

وطوال سنوات الحرب ، وحتى فى شهورها الأخيرة قبل الهزيمة الكاملة ، كان الصبى الذى أصبح مخرجا ، يتوقع أن تتكرر المعجزة أو الأسطورة التى وقعت مرة واحدة فى تاريخ اليابان فى القرن الثالث عشر .

كان أسطول العدو يقترب من شواطئ اليابان والهزيمة مؤكدة فجاءت الرياح لتعصف بالأسطول المعتدى وتحطمه تماما .

وقيل أنها رياح انتحارية . . أى رياح مستعدة للانتحار والموت ولكنها عازمة على النصر ولو كلفها ذلك حياتها .

وظل الصبى مؤمنا بأن ما حدث فى القرن الثالث عشر سيتكرر فى القرن العشرين .

وعندما اقتربت الهزيمة بقى الصغير ينتظر معجزة لاتجىء .

أخذ يرقب التغيير فى المجتمع . .

القادة الكبار الذين قيل أنهم أسود لا يقهرون ولا يهزمون ، أصبحوا مجرمى حرب ، بعضهم أعدم .

والتاريخ اليابانى بتقاليده العريقة تبدل تماما .

وخلال أربعين عاما رأى شينودا أمامه شعبا جديدا يلعب البيس بول ، ويرقص على أنغام موسيقى صاخبة .

وجد المرأة اليابانية تتشبه بزميلتها الأمريكية . وانتهى عصر الجيشا والمجتمع القديم بحضارته وثقافته .

أخذ يتساءل :

- لماذا حاربنا . وكيف هزمنا . ومن المسئول ؟

وقرر أن يقدم رواية زميله في الدراسة يو أكو الذى سبقه بست سنوات في فيلم يصف ذلك كله، تجرى أحداثه في قرية الصيادين المنعزلة التى لاتعرف إلا القليل عن الحرب ، وعن مساوئ الاحتلال الأمريكى ، ليصور ماجرى عندما استسلمت اليابان .



تبدأ أحداث الرواية بإلقاء القنابل الذرية على المدينتين اليابانيتين وحطامهما، وتوقيع معاهدة الاستسلام . ثم تنتقل إلى القرية حيث يعيش الأطفال في رعب بينما تعلمهم المدرسة أسرع الطرق للانتحار وهى تقول :

- الموت خير لكم بدلا من أن تصبحوا أسرى للأمريكيين .

ولكن الحرب تنتهى قبل أن يتعلم الأطفال باقى الدروس ، أو قبل أن يتقنوا فن « الكاميكاى » أى فن الانتحار على الطريقة اليابانية !

وتبدأ المدرسة تعلم الصغار كيف يمحوون تاريخهم القديم .

ويتعلم الصغار كل ما هو أمريكى ، أو أسلوب الحياة على الطريقة الأمريكية ، فيرقصون ويغنون ويمضغون اللبان .

وتعزف الموسيقى صاخبة . بينما يعدم كبار الضباط والوزراء الذين قادوا اليابان إلى الحرب .

ويعد أحد الصغار - فى العاشرة من عمره - نفسه لمقاومة الغزاة وإعادة مجد بلاده ولكن اليابان لاتقاوم الغزاة .

وينتهى الدرس بأن يكرر كل طفل - داخل الفصل - جملة واحدة هى :

- أنا طفل أمريكي .

ويكون الفيلم نفسه جزءا مما جرى لليابان . أو هو نتيجة طبيعية للهزيمة ونفوذ هوليدو على الشعب والسينما اليابانية ، والفيلم يحاول أن يقدم الهزيمة ويفسرها ويعرض نتائجها من خلال الصغار ، ومن خلال جندي ياباني عائد من ميدان القتال يحاول أن يتكيف مع الواقع الجديد فيدمن المخدرات ويحتسى الخمر الأمريكية ولا يتوقف عن الرقص !

ولكن أحداث الرواية لا تنتهي باليأس .

إن المدرسة تقول لتلاميذها :

- اليابان صارت تحت الاحتلال ، ولكن أرواحنا ليست محتلة .

وتتجه اليابان ، كما تقول الرواية ، إلى الصناعة ومنافسة أمريكا اقتصاديا . فإن أطفال ماك آرثر لا يحاولون أن يتفوقوا عسكريا !



ولقد اضاف شينودا إلى الرواية شخصية ضابط بحري ياباني كبير برتبة «أدميرال» ابنته تحب البطل وهو الصبي الذي يحاول الاستعداد في المستقبل ليرد الغزاة .

ويعدم الأدميرال ضمن مجرمي الحرب .

والأدميرال يمثل - في هذه الحالة - سلطة الأب ، فهو الرجل القوي قبل الحرب وهو مثل كل الآباء اليابانيين - رجل ذو كبرياء ومهابة ولكنه ينهار مع الهزيمة ويصبح أبا عاديا يناديه الصغار :

- « دادى » . . أو يا أبى .

بعد أن كانوا يخاطبونه قائلين :

- ياسيدى !

إن الأدميرال يمثل اليابان نفسها، وهو يحمل تاريخها على كتفيه . وقد رحل هذا التاريخ مع اختفائه، وأصبح الجميع كما يقول البطل :

- كلنا أمريكيون .

قيل للمخرج الكبير :

- لماذا تهاجم الآباء ؟

قال :

- ان جيل أبى هو الذى خسر الحرب !



والكتاب المدرسى هدف كل جيش يحتل بلدا ، وهدف كل حكومة تريد أن تغرس في الجيل الجديد عظمة بلاده وأنه يجب أن يسود .

حرصت الامبراطورية البريطانية على أن يكون الكتاب المدرسى ، في التاريخ والجغرافيا ، ملهما لطلبة المدارس الابتدائية والثانوية للتمسك بالامبراطورية والمحافظة عليها . . والموت في سبيلها !

منذ ١٥٠ سنة قدموا جوائز للطلاب الذين يكتبون موضوعات عن الامبراطورية . ومنذ مائة عام بعثت الحكومة البريطانية بخطاب دورى إلى نظار المدارس الابتدائية والثانوية بضرورة تدريس تاريخ وجغرافيا المستعمرات البريطانية .

ومنذ تسعين عاما أوصت الجمعية الجغرافية الملكية بتدريس الجغرافيا الامبراطورية في كل مراحل التعليم . . أى الجغرافيا التى تصور الامبراطورية وحدة واحدة لاتنفصم .

وقبل ثمانين سنة أنشأت « جمعية المكتبات » قسما للأدب الاستعماري، وجعلته مادة من مواد الامتحان لمن يريد أن يكون أمينا لمكتبة أو مساعدا للأمين .

وأصبح تدريس التاريخ إجباريا في كل المدارس الثانوية وكان علما اختياريا يدرسه ربع الطلبة تقريبا .

ونص على أن يشمل التاريخ التجارة والأعمال أيضا .

واعترض أبناء الطبقة العاملة قائلين إنهم يفضلون أن يتعلم أبناؤهم الكتابة والحساب لا التاريخ . ولكن الحكومة ردت على اعتراضاتهم بأن هذا العلم حيوى لأستمرار الامبراطورية وحتى يجد كل بريطانى على مائدته ما يحتاج إليه !

ومادام التاريخ قد أصبح موضوعا يدرسه الطلاب فإن الامر انتقل إلى نوع الدراسة نفسها .

تغير البرنامج الدراسى تماما وتغيرت الكتب المدرسية الخاصة بالتاريخ .
أضيفت موضوعات الحرب الأهلية الأمريكية وتجارة الرقيق ، والتوسع
الامبراطورى !



وفى التاريخ حروب كثيرة خاضتها بريطانيا .
والكتاب المدرسى يفسر الحروب بطريقة سياسية تتفق مع الهدف الذى تسعى إليه
الدولة .

الحرب ضرورية ولا بد منها . فالاطفال يتعاركون وهم يلعبون ، وكذلك الدول
والشعوب . ولكن الحروب التى تخوضها بريطانيا أساسية لنمو الامبراطورية وهى سر
عظمتها . إنها حتمية ضد المعتدين . وهى عادلة ودفاعية أيضا . وصورت للطلبة
بطريقة غريبة !

حرب بريطانيا ضد ايران عام ١٨٥٥ اضطرت اليها بريطانيا بسبب مؤامرات
روسيا .

والحرب ضد الصين عام ١٨٥٩ نتيجة غرور قوميسير صينى .
وحرب الأفيون التى أدت إلى أن أصبحت الصين سوقا لبيع الأفيون ألقيت
مسئوليتها على حكومة الهند . . مع أن الهند كانت مستعمرة بريطانية .

وكل الحروب السبع التى خاضتها بريطانيا منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر
كان هدفها تحقيق السيادة الامبراطورية لمصلحة إنجلترا ولمصلحة هذه الشعوب أيضا !

والحرب تقدم على أنها رواية مسلية .
وبالطبع فى كل الاحوال يجمع بين القوة العسكرية والدين .
وهناك مبالغة فى الرواية عن كل قائد بريطانى يقتل فى الحرب .
وكتب التاريخ تقدم قصصا مسلية عن أبطال الحروب .
وكل رئيس وزراء تقدمه كتب المدارس من زاوية عسكرية ، أى ما فعله رئيس الوزراء
البريطانى لزيادة القوة العسكرية لبريطانيا فى الجيش والبحرية

وأى نقد توجهه الكتب لرئيس وزراء سابق يقدم على أساس أنه قصر في تدعيم الجيش والبحرية .

وتخصص المدارس نصف ساعة في ذكرى المعارك الكبرى مثل يوم نلسون القائد البحرى الذى انتصر على نابليون .

وفى المدارس لوحات على الجدران للمعارك الحربية الكبرى التى غيرت تاريخ بريطانيا والعالم حتى يحس الطالب بالفخر والتيه وهو يتطلع إلى هذه اللوحات أكثر من مرة كل يوم ، ويتمنى أن يكون مثل أبطالها .
وبذلك يحيا فى حلم دائم يسعى لتحقيقه .

وكل حركة من حركات التحرير لتحقيق استقلال الشعوب تصور بطريقة خاطئة .
عندما يقمع نائب ملك الانجليز فى الهند إحدى حركات التحرير يقول الكتاب المدرسى أن نائب الملك استعمل الرأفة والرحمة مع العصاة !

وتروى صفحات الكتب ماحققة الاستعمار البريطانى للهند . فالبلاد أصبحت تتمتع بحالة سلام دائم . والفلاحون الصغار تمكنوا من زراعة أرضهم آمنين من المذابح التى كانوا يتعرضون لها وهجمات المعتدين من المتوحشين الهنود .

والاستقلال فى هذه الحالة منحة من الانجليز الذين ألغوا الرق فى مستعمراتهم !
واهتموا بالتاريخ على أنه يصور حياة أشخاص قدموا خدمات للإنسانية فى كل المجالات « بادن بادن » هو الذى أنشأ الكشافة . « ولفنجستون » وصل إلى منابع النيل حتى ترى أفريقيا النور إلخ .

والطلاب - وبالذات الاطفال - يجبون سير' العظماء من الرجال والنساء ويعشقون الاعمال العظيمة .

ولكن التاريخ هنا له غاية واحدة وهى تشجيع الجميع على الخدمة العسكرية ، والقتال فى سبيل الوطن ، والانتقال بالامبراطورية من حالة عظيمة إلى حالة أعظم وإلى مجد أكبر !



وفي الجغرافيا .

الطلبة-يتعلمون أن سكان مناطق « السافانا » أي سكان أوروبا ، وبالذات بريطانيا ، يتفوقون ، نتيجة للمناخ على سكان الغابات المتخلفين .

والسكان في أواسط أفريقيا وجنوبها متوحشون يأكلون لحوم البشر !

وبعض الدول الأفريقية نموذج للبربرية .

وآسيا لا تختلف عن أفريقيا . . سكانها في حالة تدهور مستمر .

الصينيون مثلا قساة متقمون منظرهم لايسر .

وقالت الكتب المدرسية :

« الافريقيون مجرد أطفال غارقون في الجوى الاستوائى . وهم مغرورون يهون الكسل . ولم ينجحوا أبدا في إنتاج صناعى أو فكرى .

وعندما انتقل الأفارقة عبر المحيط الاطلسى الى جزر الهند الغربية مثلا فإنهم حملوا معهم صفاتهم وطبائعهم الأصلية إلى كل الدول التى استقروا فيها .

إن روح الشر تأصلت عندهم . ولا أمل في أن يتغيروا ولن يعملوا إلا إذا أجبروا على ذلك » .

والمعنى واضح والهدف واضح ، وهو أنك أيها الطفل البريطانى عندما تصبح شابا وتعمل في أفريقيا فلا بد أن ترغم الافريقى على العمل .

ويقال للطلاب في الكتب المدرسية :

« إن بعض أصابع الموز تكفى الرجل الأسود . وهو يلتقط هذه الثمار من الغابة دون جهد أو عرق . وهو- لذلك - يؤمن بأنه لافائدة من العمل ولا جدوى منه مادامت الطبيعة تهبه هذا الرزق الذى يكفيه .

إنه يريد السعادة وقد تحققت له وهو نائم !



ولاترك قارة لم تشرحها الكتب المدرسية للطلاب الإنجليز . . بطريقة مغرضة .

في أحد هذه الكتب نجد أن سكان أستراليا قساة غلاظ يتجولون عراة . وهم جهلة لايعرفون إلا الصيد .

ونتيجة للفقر فإنهم يقتلون المرضى والعجزة ويأكلون لحوم البشر أيضاً .
والنتيجة الطبيعية المنطقية التي ينتهي إليها الكتاب المدرسى أنه لا بد من استغلال
شعب أستراليا اقتصادياً لمصلحة الإنجليز .
وكل بلد وكل قارة تقدمها الجغرافيا على أنها منطقة اقتصادية تمد القارىء الطالب
بحاجته من صنف من صنوف الطعام أو الملابس . ويتحقق التكامل الاقتصادى
لبريطانيا عن طريق المستعمرات .



وبعد الحرب العالمية الأولى حدث تغيير فى بعض كتب الجغرافيا .
إنها تقول صراحة :

« انتهى العصر الذى كانت فيه بريطانيا تنتج كل ما تحتاج إليه . يجب أن تستمر
فى الاعتماد على المستعمرات وأجزاء الإمبراطورية . اللحم تنتجه نيوزيلندا ، والقمح
والدقيق من كندا . والصوف من أستراليا . والشاي من سيلان . والفواكه من جنوب
أفريقيا .

ومعظم ما فى البيت الانجليزى ، وكل بيوت إنجلترا . يصل من الشعوب التى
تعيش فى الامبراطورية البريطانية الواسعة .
ومن الضرورى الهجرة حتى يشرف الانجليز على عمليات الانتاج ، ويحققون
الاستقرار ويدعمون الامبراطورية .
ومن الضرورى أيضاً الكتابة إلى كل بريطانى يقيم فى هذه المستعمرات لمعرفة
أسلوب الحياة والنشاط الاقتصادى » .



والامبراطورية تعنى الطعام .
والبواخر تعنى الرقابة التكنولوجية .
وإذا كانت بريطانيا تستورد القطن من المستعمرات وتنسجه مصانع لانكشير
البريطانية فان الطالب قد يتساءل :
- ولماذا لا تحول المستعمرات أقطانها إلى ملابس .

ولكن الرد يجيء في كل كتاب مدرسى . . يقول :
« لا يمكن إنتاج أقطان لا نكشير إلا في بلاد يرتفع فوقها العلم البريطاني » !



ورأت الحكومة البريطانية لتشجيع الافكار الاستعمارية والتوسع في الامبراطورية إنشاء معهد اسمه « المعهد الامبراطوري » يساعد في هذه العمليات كلها يقيمه، ويموله الافراد والشركات حتى يقال إن الشعب هو الذى يريد أن يستعمر ويسود الدول الاخرى .

كان للمعهد مجلس إدارة يضم محافظ بنك إنجلترا وعمدة لندن وأحد كبار الأساقفة .

واعتمد المعهد على التبرعات وكانت الصحف تنشر كل أسماء المتبرعين ويذيع المعهد قوائم بكل الأسماء .

ورفع المعهد شعارا يقول تبرع بنصف جنيه تضم لقائمة المؤسسين مثل المليونير روتشيلد وغيره .

وأخذ المعهد يقدم منحا دراسية لمن يريد أن يتعلم تاريخ وجغرافيا واقتصاديات المستعمرات .

وكان يعلم اللغات ومنها العربية والفارسية بلهجتها المختلفة و ١٠ لغات شائعة في الهند واللغة السواحيلية المنتشرة في الدول الافريقية و ١١ لغة أخرى .

وأنتج المعهد ١٣٠٠ فيلم وزعها على المدارس .

وأقام متحفاً يعرض إنتاج كل مستعمرة وسمح للتلاميذ وغيرهم أن يرسلوا إليه ما يصلهم من هدايا من المستعمرات لتحليلها في معامل المعهد !

ونظم رحلات أسبوعية للطلبة يزورون المعهد ويطوفون بقاعاته وأقسامه . ولكل مستعمرة نصيب .

ونشأت رابطة قوية بين المعهد والمدارس لتعديل نظم التعليم وبرامجه على أساس ردود أفعال الطلاب .

ولم يكن هذا المعهد الامبراطورى فى لندن نموذجا فريدا بل وجدت مدرسة للغات الشرقية المعاصرة فى فرنسا والأكاديمية الشرقية الامبراطورية فى دولة النمسا - المجر ، والمدرسة الألمانية للغات الشرقية فى ألمانيا ، وكلها تؤدى عمل المعهد الامبراطورى البريطانى ، تفرض كتباً مدرسية وتحدد برامج التعليم لصالح فرنسا والنمسا - المجر ودولة الامان !



ولعل ذلك يدفعنا إلى مراجعة كتب التاريخ والجغرافيا والترجمة . أو التى توجد بها فصول كاملة مترجمة لتصحيح ما بها .

ولعله يدفعنا أيضاً إلى إصدار كتب مدرسية جديدة فى كل العلوم الانسانية تتفق مع ماضينا وحاضرنا .

إنهم فى بريطانيا وفى غيرها حرصوا - فى تدريس العلوم الانسانية - على الربط بين الماضى والحاضر . فالتاريخ لا يقدم فترة زمنية انتهت بل يبين أن التاريخ مستمر ومتربط وأنه مسيرة واحدة نحو مستقبل أفضل .

إنهم يقدمون قصة كل بطل معروف ومجهول . وأهمية المواد الخام . وأين توجد ودورها فى تقدم البشرية . . فاذا لم تتوافر فى بلادهم فإنهم الذين طوروها أو أجزنوا . استخدامها .

وكل مدرس للتاريخ والجغرافيا فى كل فصل مدرسى عربى عليه مسئولية ضخمة بأن يقدم هذين العلمين ، وكل العلوم ، بطريقة ملهمة تجعل من التلميذ الصغير متمسكا بدينه من خلال هذه العلوم لا من خلال الدروس الدينية وحدها ، مؤمنا ببلاده مدافعا عنها . . فإن العلوم الانسانية يمكن أن تجعل من كل طفل مواطناً صالحاً يؤمن بواجبه . . فإن الامبراطوريات العظيمة أقيمت بفضل قادتها ونتيجة لكتاب مدرسى واستاذ الفصل ، وكل الفصول !

كتاب مسموع و . . . للمكفوفين

يحتفل يوم ٢٨ أكتوبر من كل عام بذكرى وفاة الدكتور طه حسين الذى مات عام ١٩٧٣ .

ولا تقتصر الاحتفالات على نقابة ، أو طائفة ، أو هيئة ، أو مجموعة بعينها لأن طه حسين كان متعدد المواهب والثقافات .

إنه ينتسب للأزهر ، تلقى فيه ، المراحل الأولى من التعليم .

وهو صحفى ، نشر فى معظم صحف مصر تقريبا ، رغم تباین اتجاهاتها السياسية وهو من أسرة الجامعة ، منحته درجة الدكتوراه ، كان أستاذا وعميدا ومديرا لها .

وهو من رجال التعليم ، كتب عن « مستقبل الثقافة فى مصر » وتولى وزارة المعارف وحقق فيها ما نادى به فى كتابه ، وغير سياسة التعليم المصرى . . كله .

وهو من رجال اللغة ، رأس المجمع اللغوى ثلاث دورات متعاقبة .

وقد اشتهر ككاتب للرواية والمقال والقصص وذكريات « الأيام » .

وهو فوق كل ذلك . . رجل سياسة .

وهو ينتمى ، رغما عنه ، إلى عشرات الألوف من المكفوفين فى العالم العربى . . ويعكس أروع قصص كفاحهم .

فالكاتب العربى الكبير فقد بصره ، وهو فى الخامسة ، واستطاع أن ينتصر على الظلام ، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن ودرس اللغة الفرنسية ونال درجة الدكتوراه مرتين بالعربية والفرنسية . . دون أن يرى حروف أى منها .

أما سر عدم احتفال المكفوفين بذكرى طه حسين فلا يرجع إلى اتجاه جماعى ، أو قرار من هيئة أو نقابة للمكفوفين ، فلا يوجد مثل هذا التنظيم وإنما السبب فى ذلك أن طه حسين لم يساعدهم كما كان ينبغى له أن يفعل ، فلم يضاعف معاهدهم ولم يساعد على نشر إنتاجهم ولم يتوسع فى إصدار الكتب ، العلمية بالذات ، لهم .

وربما يكون السبب في ذلك أن طه حسين أبى أن يعترف بعجز أو امتنع عن التحيز لأقرانه . وربما يكون السبب الغالب أن الكاتب الكبير رأى أن ظلام الجهل يلف الكثيرين ، والكل في حاجة إلى المساعدة ، والأمية سائدة فرأى أن يعاون الجميع ويقدم لهم العلم كالماء والهواء . . بوصفه حقا لكل ، بغير استثناء .
وكان يجب عليه أن يقدم معونة أكبر لهؤلاء الذين لمع من بينهم . . وهم أولى الناس بالرعاية من طه حسين قبل غيره !

وليس طه حسين وحده الملموم بل إننا جميعا - في هذا الشأن - ملومون !
ففى نهاية القرن الماضى ، وفى ظل تقاليد وقيم مثالية حلوة وجد طه حسين من يقرأ له وهو صبى أزهرى فقير .
وفى باريس وجد زوجة فرنسية تعاونه .
وبعد ذلك كان له سكرتير دائم .
وفى زماننا هذا لا يستطيع الكفيف الفقير أن يضمن سكرتيرا متطوعا أو متفرضا .
ومن حسن الحظ أنه بعد انتشار الكتابة بحروف « برايل » أصبحت هذه الحروف تقوم بمهمة السكرتير لكل المكفوفين .



إن الذين كتب عليهم الظلام عاشوا ، بعد ثلاثة قرون من اكتشاف جوتنبرج لحروف الطباعة ، لا يعرفون إلا الأدب الشفهى ، يتلقون العلم عن طريق آذانهم وحدها .

وجرت محاولات كثيرة لجعل المكفوفين يقرأون بأصابعهم الحروف البارزة .
وصنعت هذه الحروف من الخشب والرصاص فى القرن الثامن عشر .

ولكن الخطأ الذى وقع فيه مبتكرو هذه الفكرة أنهم اعتمدوا على نفس الحروف التى يراها المبصرون ولكن بطريقة أخرى . . أن أحد السطور كان يبدأ من اليسار إلى اليمين ، والسطر التالى يبدأ من اليمين الى اليسار حتى لاتضيع أصابع الكفيف وهى تنتقل من سطر الى آخر !

وكان من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، أن يبتكر مبصر وسائل تعليم المكفوفين لأنه لا يفكر مثلهم أو بعقليتهم .

ولذلك نجح طفل - اسمه لويس برايل - عمره ١٦ عاما يدرس في معهد المكفوفين الملكى فى باريس فى الوصول الى طريقة القراءة بالأصابع التى عرفت باسمه .

وكان لويس قد أصاب إحدى عينيه بسكين فى محل الجلود الذى يملكه والده ، وأظلمت عينه الثانية بسبب المرض وهو فى الثالثة . وقد حصل على منحة دراسية فى المعهد فى العاشرة ، فلم يجد به سوى ١٤ كتابا . . حروفها بارزة .

اختار برايل طريقة القراءة والكتابة التى يستعملها الجنود ليلا ليستطيعوا الاستغناء عن الأضواء خوفا من العدو وطبقها على المكفوفين بحيث تسهل عليهم - لا على المبصرين - عملية القراءة بطريقة النقط لا الحروف .

وألف برايل كتابا يشرح فيه طريقته عام ١٨٢٥ ونشره المعهد الفرنسى بعد ٤ سنوات وتبناه مؤتمر دولى عام ١٩٣٢ .

وبعد ٦٠ سنة وجدت الآلة الكاتبة للمكفوفين .

ونجحت طريقة برايل فى تعليم المكفوفين العلوم الرياضية واعتبر هذا الشاب الفرنسى « جوتنبرج العميان » !

وتطورت طريقة « برايل » ونشأت وسائل أخرى لتعليم المكفوفين الذين تظلم الدنيا أمامهم ساعة الميلاد ، أو فى سن الشباب أو الشيخوخة .

وطبقت هذه الطريقة فى الحروف العربية ونشأت « معاهد النور » فى العالم العربى تعاون المكفوفين !



فى مكتبة الكونجرس فى واشنطن وحده ٣٠ ألف كتاب للمكفوفين .

ويصدر سنويا ألفا كتاب لهم فى الولايات المتحدة بالإضافة الى الصحف والمجلات الدورية الكثيرة .

وأشهر المكفوفين اللامعين فى دنيا الأدب شاعر الاغريق الكبير هومر مؤلف « الإلياذة » و « الأوديسا » .

ومن الواضح أن هومر الذى عاش قبل الميلاد ، قبل « برايل » وجد من يقرأ له ويملى عليه قصائده .

وقال أو ادعى البعض أن آخرين اشتركوا معه في نظم الاشعار، ولكن مدرسا في جامعة كولومبيا في نيويورك أجرى بحثا بالعقل الألكترونى على ابیات « الالیاذه » و عددها ١٥٦٩٣ بیتا .

قام العقل الالیکترونى بتحلیل الشعر فلم یجد فارقا فی انتظام الأبیات . وأكد أنها کلها من نظم شاعر واحد .

وهناك الکاتب الروائى الفیلسوف « ألدوس هکسلى » الذى أصیب بما یشبه العمى فی شبابه فتعلم طریقه برایل حتى یقرأ دون إرهاق القلیل الباقى من بصره الذى یحبو .

واسترد هکسلى بصره وأنتج کتبا رائعة .

وتعلم فی شیخوخته أن یقرأ وهونائم على سریره فی الظلام ، وأصابه ویداه وکتابه تحت بطانية ثقيلة تمنها لبرد الشتاء . . بعد أن وجد بصره یحبو مرة ثانية ویرهقه الضوء .

وفى أحد کتبه « عالم جدید شجاع » تنبأ بأن المجتمع سیفقد قدرته على التفکیر الحر نتیجة وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة . وقال أن التلیفزیون خطر على المجتمع .

وفى معرض فرانکفورت الدولى الأخير للکتاب قال كثیرون أن حیاة وکتاب « ألدوس هکسلى » کان ینبغى أن تكون موضوعا للبحث والدراسة والمحاضرات فی هذا المعرض .

وكانت إدارة المعرض قد اختارت شخصية « جورج أرویل » مؤلف کتاب « عام ١٩٨٤ » الذى تنبأ فیها بانهايار|عالم السرية والخصوصية لأن أجهزة الاتصال : العدسات السرية والتلیفزیون ستکشف کل شىء حتى أفكار الناس .

وأستطاع کاتب أسبانى کفیف أن یؤلف أكمل مرجعین - حتى الآن - فی تاریخ أمريكا اللاتینية یشرحان سر انتصار الاسبان على العالم الجدید وهما « تاریخ غزو المكسیك » و « تاریخ غزو بیرو » .

وهذا الکاتب هو ولیم هایکلنج برسکوت .

وإذا کان هکسلى قد استعان بطریقه برایل فإن برسکوت وجد سکرترین یقرأون له مثل طه حسین !

كتب برسكوت يقول: إن الكفيف الذى تعلم يستطيع أن يكتب عن كل شىء مثل المبصر باستثناء الألوان فلن يعرفها أبدا لأن هذه تحتاج إلى عيون !

وقال إن كل ما يمكنه عمله هو أن يقلد غيره ويكتب مثل الآخرين عند الحديث عن الألوان فيصف البحر بأنه أزرق والسماء زرقاء والأرض خضراء والدم أحمر قان .

ولو ترك للكفيف أن يبتكر الألوان ولا يقلد غيره سيقول : البحر أخضر ، والسماء صفراء لأن الألوان لاتعنى شيئا بالنسبة له بينما يمكنه أن يتكلم عن صفات يعرفها كالرحمة والعدل والخير !

وقال برسكوت : الكفيف الذى لم يتعلم مثل إنسان مبصر دخل مطعما حافلا بكل ما تشتهيه النفس ولكن فرض عليه أن يأكل - كالصينيين - بعضى طولها أكثر من متر . . إذا وضع فيها الطعام فانه لا يتمكن من وضعه فى فمه .

ولكن إذا طلب لهذا الانسان أن يأكل بهذه العصا فيمكنه ذلك اذا قام باطعام زميل له ، وتولى هذا الزميل اطعامه . .

وكذلك الحال بالنسبة للمكفوفين . العالم أمامهم مليء بالآلاف الكتب ولكن يجب أن يساعدهم المبصرون .

وفى أوروبا وأمريكا تغيرت النظرة إلى المعوقين ، مكفوفين ، وغيرهم .

· فى السويد بدأوا يجعلون المكاتب الحكومية فى الأدوار الارضية حتى لا يتحمل المتقدمون فى السن مشقة صعود درجة أو درجات .

وفى أمريكا أرغم القضاء محطة تليفزيون على أن تزيد عدد برامجها الموجهة للصم فيظهر فى ركن من الشاشة من يشرح الصور بحركات اليدين تماما كما يقدم مذيع الراديو وصفا لمباريات الكرة .

ويتجهون الآن لإنتاج أجهزة تليفزيون تظهر على شاشتها عند الضغط على زر أقوال الممثلين حتى يطالعها الأصم . . وحده .

ويفكرون فى إنتاج أجهزة أخرى صورها بارزة حتى يتحسسها الكفيف بأصابعه إذا نجحت التجربة !

إن الكفيف مثل شىء غالى الثمن . . كتب عليه أنه « قابل للكسر » ولذلك يجب أن نلمسه بعناية ونعامله برقة بالغة .

وعالم الفكر والقراءة للكفيف هو المتعة الكبرى .

ونسبة المكفوفين في العالم العربي أكثر من نسبتهم في أوروبا وأمريكا نتيجة ظروف الاحتلال التي مرت بها الدول العربية وانتشار الامراض واستنزاف ثرواتها وإنتاجها لصالح الدول الكبرى المستعمرة .

والكفيف كالإسكيمو الذي لم يتحرك من القطب الشمالي لم ير إلا الثلج ، والكفيف لا يعرف الا الظلام . ولذلك ينبغي أن نحرره حتى يتكرر طه حسين . وهذا أفضل احتفال بذكراه لو تعاونت كل الهيئات الكثيرة التي ينتمى إليها في طبع مزيد من الكتب بطريقة « برايل » العربية وتحديد نسب للمكفوفين في الوظائف وإنشاء معهد جديد في كل بلد عربي في الاحتفال السنوي بمولده أو بيوم ذكراه !

لقد نجحت الكتب التي تطالع باللمس . وكانت متوقعا لها هذا النجاح لأن المكفوفين يريدون أن يروا بأصابعهم العالم .

ونشأت كتب أخرى للمكفوفين هي الكتب المسموعة ، ولكنها لم تصدر للمكفوفين وحدهم ، بل للأغنياء ولكل إنسان لا يستطيع أن يتفرغ للقراءة . وكانت بداية الكتب المسموعة غريبة للغاية !



قال الناشر :

- لعلك سعيد بتسجيل هذه القصائد على شريط .

أجاب الممثل جيمس ماسون :

- سعادتي غامرة . ولكني أعتقد أنك لن تكون مثلي .

دهش الناشر الأمريكي . قال :

- مالذي يدعوك لذلك ؟

قال الفنان :

- هذه العملية لن تكون مربحة لك أبدا . من يشتري قصائد مسموعة ؟

وأضاف :

- الناس يحبون سماع الاغنيات . . أما شرائط القصائد فلن يكون لها سوق .

قال الناشر :

- إذا لم يشتريها الناس هذه الايام ، فسيفعلون ذلك غدا . المستقبل لهذا النوع من الاشرطة .

كان الناشر يتنبأ عام ١٩٥٠ ، في مدينة نيويورك ، بأن الناس سيسمعون الشعر بدلا من قراءته ، أو كما يطالعونه .

وظل الناشر يبيع القصائد في كاسيتات .

وعندما قيل له أن الروايات يمكن أن تسجل على أشرطة ليستمع إليها الناس قال :

- لا أعتقد ذلك . القصيدة كالأغنية ، أما الرواية فلا بد من قراءتها .

واستثنى الناشر بطبيعة الحال أولئك الذين لا يستطيعون القراءة لأنهم مكفوفون ، أو لأنهم أميون !

ولكنني رأيت في أوروبا وفي أمريكا أن الكتاب المسموع ، في كل العلوم والفنون ، أصبح حقيقة ، وأنه أخذ ينتشر بعد ٣٨ عاما من تسجيل وبيع أول كتاب شعر مسموع ! وقد أنشئت شركات عديدة تطبع الكتب على أشرطة بدلا من طبعها على انورق .

ولم تكن العملية ناجحة في بدايتها فإن الناس رفضوا الفكرة الجريئة في أول الأمر ثم أصبحت عادة . . عند الكثيرين .



نشأت الفكرة في وقت واحد عند علماء النفس ورجال الاقتصاد .

قال بعض العلماء :

- الناس الآن مرهقون ويريدون للذهن فترة راحة ، ومن هنا رأوا الاستماع للأغنيات التي يريدونها لا تلك التي تفرضها ، أو تفضلها محطات الاذاعة .

وقال علماء آخرون :

- كثير من الناس يفضلون القيام بعملين في وقت واحد وليس لديهم الوقت الكافي لمهمتين متتابعتين . وهم يعلمون أن الزمن محدود ومتساو للجميع .

البعض يستمع إلى الراديو وهو يقود السيارة فلا تعارض بين القيادة والاستماع .
والبعض يجرى ويمشى ويركب القطار والطائرة وهو يستمع الى شريط مسجل .
الأم ترعى أولادها ، وتطهو طعامها . وتسمع الاذاعة والشريط المسجل أيضاً .

وأجمع العلماء على أنه يمكن الافادة من هذه الظاهرة أكثر من ذلك بأن يكون الاستماع مفيداً بتقديم كتب مسجلة في العلوم والفنون والأدب وتعليم اللغات وغير ذلك من الحرف والهوايات والمتعة الذهنية أيضاً .

وأيد رجال الاقتصاد هذه الفكرة بالأرقام .

وجدوا أن أجهزة التسجيل زاد عددها الى الحد الذي أصبحت فيه متوفرة في ٨٥٪ من البيوت في الولايات المتحدة والدول الاوربية المتقدمة و ٦٠٪ من السيارات . كما أن الذين يحملون أجهزة التسجيل الصغيرة المتقلة يمثلون نصف الشباب !

وقالوا إن أجهزة التسجيل أكثر انتشاراً من أجهزة التلفزيون نظراً لفارق الثمن ولأن التلفزيون يجذب السمع والبصر معا . . بينما الشريط المسجل يأخذ معه حاسة واحدة !

ولكن المشكلة هي : كيف يمكن تحقيق التحول الضخم من القراءة الى الاستماع .

قال الذين يملكون المال والجرأة :

- البشر حولوا مجرى الأنهار والبحار ، وبدلوا عادات الناس . . فلم لا يبدلون ويغيرون عادة القراءة .

قيل :

- عمر القراءة ملايين السنين منذ النقش على الحجر . . فهي عادة غرست واستقرت .

وكان الجواب :

- تغيير العادات يبدأ بخطوة واحدة .

وبدأوا بالقصائد الشعرية . . ثم تبعتها الروايات .
وهنا بدأت المشكلة الأولى لا في الفكرة ، ، ولكن في التنفيذ .



وجدوا أن الكتب المسموعة تحتاج إلى وقت طويل .

الرواية تسجل على شريط يسمع في عشرين ساعة ! وفي هذه الحالة فإن ثمن بيعه قد يصل إلى ٧٥ دولارا ، ولذلك فإن الاقبال سيكون محدودا لارتفاع التكاليف وبالتالي ارتفاع الثمن .

ورأوا ألا تزيد مدة أية رواية أو كتاب عن ساعتين على الأكثر لخفض الثمن وحتى يمكن بيعه بما يعادل ٨ دولارات ، وحتى لا يمل الناس الاستماع إليه .
واضطر الناشر الى تلخيص الكتب كما يفعل بعض المؤلفين من المدرسين عندما يلخصون الكتب المقررة على طلبة المدارس !
وعلى الفور قامت ضجة ، واشتد الجدل .

اتهم الكتاب ، وورثتهم ، وجمعيات الدفاع عنهم ، شركات التسجيل بأنها متحيزة وليست عادلة . فعندما يختصر كتاب ويلخص فهنا ينشأ الهوى الشخصي والمزاج الفردى . ولا يمكن التعبير عن آراء الكاتب كلها فقد يقصد من كتابه كله سطورا أو صفحات لا يفهمها ، أو قد لا يدرك مغزاها ، من يقوم بعملية التلخيص .

وطالبت جمعيات حقوق المؤلفين بعدم الاختصار ، ومراجعة هذه العملية من قبل الجمعيات على أن تتولى بنفسها اختيار القائمين على هذا العمل .

ولكن الناشرين أكدوا أنهم يستهدفون الربح ولكنهم يحافظون على العمل الأدبي أيضا .

وقالوا إنهم يريدون الرواج والمحافظة على سمعتهم الأدبية وإذا فقدوها فإن تجارتهم تبور .

ونشأ عن هذه العملية توفير أعمال لشباب المؤلفين الذين يقومون بتركيز كتب . . كبار المؤلفين .



هدأت الضجة لتنشأ مشكلة أخرى . . وهى : من يقوم بتسجيل الكتب ؟
حدث في مصر أن أصر الفنان محمد البحر على أن يتولى تسجيل أغنيات أبيه سيد
درويش . . بصوته وحده .

وقال أنه ورث الموهبة عن أبيه ، وصوته يشبهه ، وهو مغن يجسّن الاداء ، ولكن
كثيرين يحاربونه ، ويضطهدونه ويريدون الشهرة عندما يغنون لأبيه فنان الشعب
المصرى .

وتعطل تسجيل كثير من أغنيات سيد درويش وأقيمت عدة قضايا بين محمد البحر
والفنانين وشركات الاسطوانات .

وحل الزمن والموهبة هذه المشكلة عندما جاء إيهان البحر حفيد سيد درويش
ليسجل بصوته أغنيات جده .

وتكررت المشكلة في أوروبا وأمريكا بالنسبة لتسجيل الكتب على الكاسيتات .

قال ورثة كبار كتاب الغرب ، الذين يتطلعون إلى الشهرة :

- لن يسجل غيرنا كتب الآباء والأجداد .

واحتاج الأمر إلى فتاوى ، وقضايا ، واستفتاءات ، واتصالات ، وانتهى الأمر
بحصول من يستحق من الورثة على حقوقه القانونية عند التسجيل .

ولكن هذا الخلاف أدى بدوره إلى مشكلة ثالثة وهى : من الذى يتولى القراءة بعد
استبعاد الورثة .

جاء كبار الممثلين يقرأون ، وكانت الأجور التى تدفع لهم عالية فاستبدلوا بفنانين
من الشباب يحسنون القراءة ولا يطلبون الأجور العالية .

وكان من أسباب اتخاذ هذا القرار خشية الناشرين أن تباع الكتب لأصوات القراء
لا لأهميتها ، ومضمونها وأسماؤها مؤلفيها !

وترتب على القرار وقف المنافسة بين دور النشر على كبار الفنانين أصحاب
الاصوات الرائعة الذين يجيدون هذا الفن الجديد .



أخذت دور النشر تبتكر وتتقن في تقديم الكتب المسموعة حتى لا يحس القراء بالملل من ناحية ، وحتى يسهل انتقال الفكر من فصل إلى فصل .
القارئ لا يقول للمستمع :
- هذا فصل جديد .

بل يقرأ الفنان الكتاب كما هو . ولذلك وضعوا موسيقى تصويرية لتيسير عملية الانتقال من قصة إلى أخرى إذا كان الكتاب يتضمن قصصا قصيرة ، وللنقلة من فصل إلى آخر ، ومن موضوع إلى موضوع .

ووضعوا مؤثرات صوتية لاتشتت ذهن القارئ بل تساعد على تنشيط الخيال والفكر .

ورأت بعض الدور اختيار أكثر من قارئ إذا جاء في الكتاب حوار . ولكنهم اشترطوا ألا يجرى الحوار بطريقة تمثيلية وإلا تحولت الكتب إلى تمثيلات اذاعية !
ورأى بعض الناشرين أن يقدموا لكل كتاب بمقدمة عن أهميته وتاريخه ، وقصة المؤلف ورأى النقاد فيه .
واختار ناشرون آخرون وضع هذا كله في نهاية الكتاب .



أدى ظهور الشرائط إلى نقص مبيعات بعض الكتب المطبوعة ، ولكن تبين أن قراء الكتب يتناقصون بصفة عامة ، أولا تزيد نسبتهم بنسبة زيادة عدد السكان ، وكان التليفزيون والفيديو هما السببان الرئيسيان .

وتبين أن الكتب المسموعة تستعيد أرقام المستفيدين بالكتب بصفة عامة وإن أثرت في عدد القراء بالذات .

وتحولت بعض دور النشر من الكتاب المقروء إلى الكتاب المسموع أو أنشأت أقساما جديدة تباع الكتب المسموعة .

وظهرت مكتبة الكاسيتات التي قدمت أعظم مائة كتاب صدرت حتى الآن .
وصارت كاسيتات الكتب جزءا من المكتبات العامة ، فيستعير الانسان شريطا كما يستعير كتابا فالهدف واحد وإن اختلفت الوسيلة .

وقامت مراكز استماع للكتب مثل مركز مشاهدة التلفزيون ، وزودت المكتبات العامة بالساعات الصغيرة ليجلس الراغبون متجاورين يستمع كل منهم إلى كتابة المفضل دون أن يزعج الآخرين .

وأعلنت بعض المكتبات عن ساعات معينة لسماع كتب بالذات ، فجاءت الامهات والزوجات غير العاملات وصغار الابناء يستمعون الى فصول من الكتب قد تؤثر في عقول الاطفال لسنوات طوال .

وقدمت الصحف المحلية برامج هذه المكتبات كما تقدم برامج التلفزيون ! وفي مدن أمريكا وأوروبا توجد آلات أوتوماتيكية يضع فيها الناس أموالهم ويضغطون على زر فيتساقط بين أيديهم ما يريدون من أغذية ومشروبات وحلوى فيختارون ما يريدون بين ماهو معروض أمامهم من أصناف .

الآن توجد آلات مماثلة فيها شرائط مسجلة لكتب كثيرة فإذا وضع الانسان القيمة المقررة ويجد بين يديه كتابه المختار !



ولكن أكثر الكتب المسموعة رواجاً حتى الآن هي الروايات ويليهما الشعر ثم الكتب التي تعلم مهنة وحرفة ولغة .

ولم تسجل بعد كتب الرأي والسياسة وإن كان متوقفاً أن يجيء عليها الدور، فالظاهرة عندما تنتشر لا تتوقف .

ورأت وزارات الثقافة في بعض الدول تشجيع هذا اللون من التسجيلات حتى توازن بين انتشار الفيديو والتلفزيون وتثقيف الناس .

ويقال الآن أن الفنون المتكلمة قادمة في الطريق !



ولقد استغرق انتشار هذه العملية ٣٨ سنة ومع ذلك فإنها لم تحقق التوسع المطلوب .

يقول المتشائمون :

- ستظل الكتب المسموعة محدودة .

ولكن المتفائلين ، وأنا منهم ، يرون أن ظهور المطبعة تأخر بعد اكتشاف الكتابة
آلاف السنين ، وعندما وجدت المطبعة أصبح الكتاب هدفا وغاية ولا يزال . وكانت
الكتابة في أول الامر بخط اليد وتطور فن الطباعة فأصبح أليكترونيا يستعين بأجهزة
التليفزيون .

والكتاب المسموع تطور آخر هدفه أن تقرأ ولا ترهق ، وأن ينتقل إليك الفكر عن
طريق الأذن والعين .

ولكن أسعد الناس بظهور هذا الفن الجديد أولئك الذين حرّموا البصر وعاشوا في
الظلام !

البريد . . فن

وصف الفيلسوف الالماني « نيتشه » ساعى البريد بأنه وسيط يحمل مفاجآت غير متوقعة سارة أو حزينة .

وقال إنه ينقل فى حقييته خفقات القلوب والمشاعر الانسانية والخدع البشرية أيضا .

وأوصى « نيتشه » ساعى البريد أن يترفق بشحنته كما أوصانا جميعا الشاعر العربى أبو العلاء المعرى أن تترفق بالتراب لأنه يمثل بقايا أجساد البشر . . عبر الزمن .

وبعض الرسائل الخاصة يطالعها الانسان ثم يلقيها بعيدا ، وينساها تماما .
والبعض يبقى أبد الدهر سليبا لايفض ولا يقرأ .

والبعض يعيش حياة صاحبه أو يعيش طويلا . فهو يحكى قصة الانسان كما كتبها بقلمه ودمه أو دموعه .

وهذه الرسائل الخالدة هى التى يعيد الانسان قراءتها ليتعلم ويتعزى ويتأسى
هذا فان جوخ الرسام العالمى يكتب إلى صديق له قائلا .

« أريد أن أظل أرسم الانسان ، الانسان ، ومرة ثالثة الانسان » .
ولذلك عاشت رسومه .

وهذا « مونييه » الفنان يصف عذابه فى شيخوخته عندما يريد أن يؤدى واجبه كفنان
ولكن قواه تخونه فلا يرسم بالريشة ما يجب أن ينقله ويتركه .

قال : الألوان لا تبدولى براءة كما اعتادت أن تكون .

زحف الطين إلى اللون الاحمر أو هكذا يجيل لى . وأمزج الألوان ولكنى لا أصل
أبدا الى اللون الصحيح .

ما أرسمه الآن مثل لوحة قديمة أقارنها بما رسمت من قبل فأمسك بالسكين أمزق
لوحاتى الاخيرة .

وكاميل كوروت قال :

« على أن أستيقظ في الثالثة صباحا قبل شروق الشمس أجلس تحت شجرة أرقب وأنظر .

في البداية لا يلوح لى شىء . ويحيىء أول شعاع ينير السماء . وتستيقظ الازهار سعيدة . فوق كل منها قطرة ندى وكأن الزهور تصلى » .

وإذا لم تكن قد شاهدت اللوحة فإن هذه الكلمات تتراقص أمامك لتجسد لوحة تتخيلها العيون ولا تراها .

وهذا «مايكل أنجلو» فنان ايطاليا الشهير الذى ظل اربع سنوات يرسم لوحة في سقف ليصبح في سن السابعة والثلاثين أعظم الفنانين المعاصرين ولكنه يكتب قائلا :

« تركت ضوء عيني في هذه اللوحة فلا أستطيع القراءة إلا اذا رفعت الكتاب عاليا فوق رأسي لأتمكن من رؤيته » .

والشاعر بلينى يكتب :

« أصيبت أعصاب اذنى بالشلل ولم يعد الصوت يخترق المخ لم أعد أسمع شيئا . أذنى في حاجة إلى كل شجاعتي وقوتي حتى لا أسقط يائسا وأنى - بعنف - عذابي .

إصرارى على العمل لبلادى وشعبى يلهمنى - وحده - القوة على العمل » .

وكرر الموسيقى « بيتهوفن » هذه المعانى عندما فقد السمع فكتب إلى أخيه :

« هذه الخاسة ضرورية لى أكثر من أى إنسان آخر ويجب أن تكون كاملة .

إذا رأيتنى أنسحب من صحبتك التى أستمتع بها فلا تلمنى .

عذابي مزدوج . الناس يسيئون الحكم على . ولا أستطيع الاسترخاء بينهم والحديث أو تبادل الثقة بهم .

على أن أحيا وحيدا ولا أزحف نحو أى مجتمع إلا عند الضرورة القصوى .

يجب أن أعيش منبوذا حتى لا يعرف الناس حقيقة حالتى » .

وكل فنان له مشكلته التى يعبر عنها فى رسائله .

« بوريس باسترناك » الكاتب السوفييتى الذى حصل على جائزة نوبل أحس

بالموت يقترب فكتب يقول :

« أفكر فيها سيحدث بعد وفاتي . حرصت على أن يكون لزوجتي وابنتي مايعينهما على الحياة ستة أشهر . وبعد ذلك سيجدان عملا . وسيعاونهما الاصدقاء ولن يعاملها أحد معاملة سيئة .

ولكن ستأتى النهاية مفاجئة قبل أن أتم كتابى » .
وتتحقق النبوءة كاملة !

والكاتبة الانجليزية فرجينيا وولف بعثت لزوجها قبل أن تنتحر غرقا . قالت :
« أعرف أنى سأجن مرة أخرى .
لن أعبر هذه الأوقات العصيبة » .
ولن أستعيد صوابى .

بدأت أسمع أصواتا غريبة ، ولا أستطيع تركيز أفكارى .
لقد منحتنى أقصى سعادة . ولا أظن أنه كان هناك من هو أسعد منا . لا أستطيع أن أقاوم أو احارب مرة أخرى فإنى سأفسد عليك حياتك » .
والشاعر « روبرت فروست » أحس بالفشل عندما انتحر ابنه باطلاق الرصاص .
قال :

« مشيت فى طريق خطأ » وجربت طرقا كثيرة كلها خطأ . ولكن شيئا فى أعماقى يلومنى لأنى لن أحاول مرة أخرى .
ابنى فكر لنفسه . فكر كثيرا . وفكر طويلا ولا أظنه استراح من التفكير ساعة واحدة فى السنوات الأخيرة .

ولم أعد أتكلم إلا قليلا . وأعترف بأنى لا أصلح لتقديم نصيحة . فشل ولدى فى الزراعة والشعر، وكان رائعا مع الحيوانات والاطفال الصغار . لو أنى اهتمت بذلك وتركته يعيش مع الخيول .

وعاشت شارلوت برونتى الكاتبة الإنجليزية نفس المأساة عندما توفى أخوها .
كتبت رسالة تقول فيها :

« لم تبق منه إلا ذكريات أخطائه وآلامه .

ضاعت موهبة وتحطمت عندى تطلعات وطموحات بالنسبة له . وقد هلكت جميعا
في أسى » .

والكاتب الفرنسى « جوستاف فلوير » كتب بعد وفاة صديقه وأستاذه :

« مشيت وحدى في المساء وتبعنى ، دون نداء عليه ، كلبه .

ظل طوال الليلة السابقة على الوفاة ينبج وفشلت كل محاولات تهدئته .

اعدت قراءات كتاب « أوراق الخريف » وتوقفت عند القصائد التى يجبها ولها
معناها عنده .

لم يسمع قصيدة ، فقد مات . قمت . نظرت إليه وغطيت وجهه . أحسست ببرودة
أطرافه وتيبسها ، ولاتزال هذه الاحاسيس عند أطراف أصابعى حتى اليوم » .

وكتب « روبرت روس » يصف وفاة أوسكار وايلد الكاتب البريطانى المسرحى :

« استدعتنى الممرضة فى الخامسة والنصف صباحاً لتقول إن صاحبك يموت .

نظرت إليه فلاحظت أن خطوط وجهه تبدلت . عيناه لاتستجيبان للضوء . صوت
حشرجته يعلو ويعلو . وفجأة تنهد بعمق . وكان هذا هو الصوت الطبيعى الوحيد الذى
سمعت منه .

امتدت أطرافه وأصبح تنفسه أضعف . . وأضعف » .

وكتب طيار يابانى عمره ٢٤ سنة اسمه أيشيزو هاياتشى رسالة إلى أمه قبل أن يقوم
بهجوم انتحارى على الاسطول اليابانى .

ولم يعرف هذا الشاب إلا بشجاعته ولم يشتهر الا برسالته التى حفظتها أمه قال لها :

« جاء الوقت لأنقل إليك أخبار سيئة ،

أحببتنى أكثر مما أستطيع أن أحبك .

إنى سعيد لأنهم اختارونى لهذه المهمة الخاصة، ولكننى لا أستطيع منع دموى عند
التفكير فيك .

بذلت كل جهد لتعليمى وساعدتنى على مواجهة المستقبل . وحرزنى عميق قوى
لأنى سأموت دون منحك شيئاً مقابل هذا كله . لا السعادة ولا الهدوء النفسى .

لا أستطيع أن أطلب منك إن تكونى راضية . وأنا أضحى بحياتى . أو تجدى فخرا فى وفاتى مهما كانت الميتة مجيدة .

سأقول لك وداعا صامتا وأنا بين السحب .

كنت دائما تحلمين لى بمستقبل رائع ويؤسفننى أنى خيبت أملك .

لن أنسى قلقك على وأنا أدخل كل امتحان .

حاولى أن تجدى العزاء عندما تذكرين أنى كنت طيارا رائعا .

وأقول الحقيقة إنى أحيانا أفكر فى العودة إليك ولكن هذا عمل جبان » .



وفى رسائل اثنين من الكتاب الروس حديث عن الحرب بأسلوب مختلف .

ستوفكى كتب يشجع الحروب فقال :

« . . . بلا حرب ينمو الناس ثراء ودعة . ويفقدون القدرة على التفكير والنبل .

ويعودون إلى الحالة البربرية ويصبحون متوحشين .

ولا أتكلم عن أفراد بل عن أجناس كاملة .

الإنسان - بلا ألم - لا يحس بالفرح . والألم كالذهب يصبح - بالنار - نقياً .

والتجارب العابرة لاتؤذى . وتنبت الحياه الجديدة من الصدمة القوية » .

أما « تولستوى » فكان ضد الحروب .

كتب فى رسالة :

« لا أوافق الناس عندما يقولون أن طرفا واحدا يقع عليه اللوم فى حرب تشتعل .

وربما يكون أحد الأطراف قد ارتكب اساءات أكثر من الطرف الآخر . ولكن ذلك

لا يبرر هذه الظاهرة الرهيبة اللاإنسانية » .



وفى رسائل كبار الكتاب نصائح للمؤلفين الشبان .

كتب الفيلسوف المسرحى الساخر جورج برنارد شو إلى باحث أراد أن يكتب قصة

حياته فقال :

« أريد أن تؤكد على التدريب العقلي الذى مارسته ، وإلا فإنك ستبالغ فى تقدير كفاءتى الطبيعية .

ساعدنى هذا التدريب على خلق انطباع بآنى ذكى خلاق رائع . إن مؤلفاتى نتيجة عمل منتظم فى الكتابة خلال ربع قرن أو أكثر .

وكل إنسان يستطيع الوصول إلى مهارتى إذا دفع الثمن نفسه .

وإذا أردت أن تكتب عن حياتى غير العادية فقل إن آلاف المنافسين خير منى . ولكنى تفوقت بالجهد، ولا يوجد أسوأ من الادعاء بأن علمى جاء من رجل يجلس فى صالونات المجتمع وتأتيه الأفكار فجأة هينة وسهلة أيضا . »



سأل قارىء الكاتب الشهير برتراند راسل عن المضايقات التى تفسد عليه حياته وكل المؤلفين وقال : إنى أعد بحثا جامعا فى هذا الشأن .

أجاب راسل :

« أعانى كثيرا من الاشخاص الذين يظنون أن مهمة الكاتب هى القيام بعملهم .

ولندع هوة جمع التوقعات وصيادها الأنتقل الى القراء الذين يطلبون معرفة رأى فى شئون كتبت عنها وناقشتها كثيرا فى كتبى .

إنى أتلقى رسائل من هنود يطلبون منى تبنى فلسفتهم الروحية ، وبولنديين يقولون إن القوميات كلها قد تكون سيئة أما القومية البولندية فهى أنبل الجميع . ومهندسين لا يفهمون نظرية النسبية عند أينشتين ويريد منى - دون غيرى - شرحا مبسطا لها . ورجال دين يرغبون فى تفسير نظريات الوراثة . وأزواج يشكون من زوجات تركن البيوت وأخذن معهن الأثاث ويطلب الأزواج معرفة مالذى يفعله الرجال الأفاضل فى مثل هذا الحالة .

وبين رسائل استفسارات من أمهات شابات يسألننى عن الرضاة الصناعية .

وهذه مجرد نماذج من المضايقات الطفيلية .



والرسائل التى تستحق القراءة والخلود لاتنتهى .

ولكن الناس لا يتلقون الآن رسائل كثيرة كما كان الحال في الماضي .
حلت البرقيات الموجزة محل الخطابات الطويلة . وجاءت التليفونات والاقمار
الصناعية لتنتقل الصوت الانساني عبر القارات .
وحتى الذين يعرفون القراءة أصبحوا يستعملون شرائط التسجيل للتعبير عن
مشاعرهم .

وفي بعض المدن الكبرى أنشئت ستديوهات فيديو ، لا لتسجيل البرامج
فحسب ، بل لتسجيل الرسائل في أشرطة شخصية يتبادلها الاصدقاء والمحبون ، ويقول
كل منهم بالصوت والصورة ما يريد بعد أن اختفى « الكاتب العمومي » الذي كان
يجلس القرفصاء مثل الكاتب الفرعوني القديم . . قرب الوزارات والمصالح وفي الميادين
يدبج الشكاوى العلنية والمجهولة ورسائل الحب والغرام بأسلوب واحد معاد !

لو استطاع باحث أن يجمع الرسائل التي كتبها العرب في السياسة والأدب والفن
والاقتصاد والاجتماع فإن أضاء كثيرة ستكشف حقائق غير معروفة عن الزعماء والأفراد
العاديين وتاريخ البلاد، وذلك قبل أن يندثر تماما فن الرسائل أو فن البريد .

سنة للاحتفال بكاتب

رأينا الأمم المتحدة تخصص سنة للمرأة وأخرى للشباب وثالثة للمعوقين . الخ .
وخلال هذه السنة توجه جهود الحكومات والشعب لهذه القضايا تبحث أسبابها وتحاول
الوصول إلى علاج .

ولكن الدانيمرك خرجت على هذه القاعدة وبدأت سنة خصصتها كلها للاحتفال
بذكرى كاتب واحد هو هانز كريستيان أندرسن .

رأت الدنمارك أن تخرج على المؤلف في مثل هذه المناسبة فهي لاتقيم الاحتفالات
يوم مولد الكاتب أو يوم وفاته . وإنما رأت أن تبدأ السنة بمناسبة ذكرى ظهور الكتاب
الأول للمحتفى به .

وخلال هذه السنة تقام المعارض في مختلف مدن الدانمرك والمهرجانات وتمثل
روايات الكاتب ويقراً شعره ، ويعاد طبع مؤلفاته بكل اللغات .

والعملية في الوقت نفسه مربحة لأنها ستضاعف الحركة السياحية في البلاد فهذا
الكاتب ترجمت مؤلفاته إلى ٨٠ لغة .

والناس يطالعونه بشغف في الصين واليابان والاتحاد السوفيتي وأفريقيا والشرق
والغرب .

وربما لايعرف الناس شيئا عن الدانمرك ، ولكن من المؤكد أنهم يعرفون ويسمعون
عن دانمركى واحد هو هانز كريستيان أندرسن .



ولد عام ١٨٠٥ في مدينة أودنس . أبوه صانع أحذية ، مات وترك ابنه في الحادية
عشرة فقيرا فاشتغلت الأم بغسل الثياب .

وكان الطفل قبيح الشكل يضحك منه الاطفال ، ويشغل بأى عمل للحصول
على دخل .

وتتغير حياة الطفل لسبب لا يخطر ببال أحد .
عهد اليه يوما بتسليم طرد مقابل مبلغ صغير .
فتحت له صاحبة البيت الباب لتجد أمامها طفلا في ذهول ، لا يتكلم .
طال به الصمت فارتابت السيدة في أمره ، وكادت تغلق في وجهه الباب لولا أنه
تذكر مهمته .

سلمها الرسالة وهو يقول :

- سيدتى أريد أن أقرأ . . هل تعطينى كتابا .

فقد رأى الطفل الصغير داخل البيت ، ومن خلال الباب المفتوح ، صفوفًا طويلة
من الكتب تملأ الحائط .

دهشت السيدة لغرابة ما يريده الصغير فأعطته ترجمة بالدانيمركية لكتاب ،
شكسبير « هاملت » ، وسمحت له أن يحضر في أوقات معينة ليطلع الكتب في حجرة
الخدم .

ومن هذه المصادفة التي نجدها تتكرر بصورة غير عادية في حياة الكتاب والفنانين
والعظماء ، بصفة عامة ، بدأ مشوار جديد في حياة الصغير !

ترك قريته في سن الرابعة عشرة إلى العاصمة كوبنهاجن .

لم يساعده ما لديه من مال قليل إلا في الوصول إلى ضواحي العاصمة فمشى عدة
كيلو مترات حتى وصل إلى باب المسرح الملكي .

وكانت لديه آمنيات في أن يصبح مغنيا أورا قص باليه أو ممثلا ولكنه طرد بعد تجارب
كثيرة وأخذ يستجدي الخادومات والوصيفات طعام يومه شهورا طويلة .

وحاول أن يحترف عدة أعمال ولكن الفشل لاحقه وأمسك به ، وأخيرا استطاع ان
يلتحق تلميذا بالمسرح الملكي رغم جسمه الضخم !

وخلال تلك الفترة من سن الرابعة عشرة حتى السابعة عشرة أخذ يكتب قصائد
ومسرحيات غير معقولة يقرأها لمن يرغب في الاستماع إليها ويتوسل للآخرين أن
يسمعوها . ولكنه كان يجهل قواعد اللغة وبدت أفكار المسرحيات رائحة أما لغتها
فركيكة ولذلك رفضت جميعها .

ولكن هذه التجارب حققت غايتها .

ألح على خادمة أستاذ الاصوات في المسرح أن ترجو سيدها السماح له بأن يلقي شعرا أمام ضيوفه فوافق الاستاذ على سبيل الدعاية . ولما رأى أن الشاب صاحب موهبة تحتاج الى من ينميها ويعاونها على الظهور، وأن الشاب مصر على النجاح قرر تقديم العون له .

جمع مدير المسرح مالا من اصدقائه والمهتمين بشئون الثقافة والفن وأدخل الشاب الذي كان في السابعة عشرة من عمره ، مدرسة يتعلم فيها اللغة .

ووضع الرجل شرطا واحدا للشاب وهو ألا يمارس الكتابة على الاطلاق وأن يخصص وقته كله لتلقى العلم . وبعد ذلك أمامه باب الفرص يطرقه على هواه .

ولم يستطع الطالب مقاومة اغراء القلم والكتابة .

بعد سنة واحدة أصدر أول كتبه تحت اسم مستعار .

وكتب الى اصدقائه - بعناية - رسائل يحتفظ بصورة منها .

وقد نشر الاصدقاء بعض هذه الرسائل في الصحف والمجلات بعد أن أدركوا الهدف منها .

ولم يوجه أحد لوما للكاتب فإنه ليس مسئولاً عن النشر .



عاش هانز كريستيان أندرسن في هذه المدرسة ست سنوات كانت أقسى سنوات حياته . يكتب سرا كالسجين بينما الناظر يسخر منه ومن موهبته .

وعندما رفع عنه قرار حظر الكتابة . بدأت احلامه تتحول إلى مسرحيات وروايات وقصائد رفضت كلها مرة أخرى، فإنه في محاولاته للحصول على دخل يوفر له وسائل المعيشة ، كان يكتب بلا توقف ولا يميز بين ما يصلح للنشر وما يحتاج الى مراجعة واعادة تفكير .

ويتخرج من الجامعة . .

ويحاول الزواج مرتين . . فيرد خائبا مرتين !

ويتدخل مدير المسرح مرة أخرى يقف بجانبه يسانده وهو في مفترق الطرق .

أبلغ ملك الدانيمرك بحكايته فوافق على معاونة الكاتب الفاشل على السفر الى الخارج يرى ويتعلم من خير مدارس الحياة : التجربة !
ويمضى سنوات متنقلا في ايطاليا والمانيا ومالطة وافريقيا وآسيا والشرق الاوسط مدة عامين .

ويكتب أول رواية له منذ ١٥٠ عاما .

وتتابع رواياته وقصائده وقصصه الأسطورية أو الخرافية التي بلغ عددها ١٦٨ اسطورة أو خرافة ترجمت الى مائة لغة .

هاجمه النقاد لأنه يضيع وقته في تأليف هذه الأساطير والحكايات التافهة ، ولكن ناقدا ذا بصيرة قال إن رواياته ستجعله شهيرا وأساطيره ستجعله خالدا .

إن كل رواية يكتبها مؤلف - كما يقولون - هي في حقيقتها قصة حياته . ويصدق هذا المثل تماما على هذا الكاتب الدانمركي .

الاميرة في أية رواية فيها جانب من طباع وشخصية الكاتب .

وهو - أى الكاتب « إجنى » في رواية أخرى . . يطير قلبه الى الدور الثانى مع الطالب الفقير . ولكنه يبقى فى الدور الأول يلتهم الحلوى .

وهو « البطة القبيحة » التى تحولت الى بجة كما نراها فى روايته « البطة القبيحة » وهو « عسكري الصفيح الشجاع » و « عروس البحر الصغيرة » و « ملكة الجليد » وصاحب « الحذاء الاحمر » .

ويمكن للفاحص المتأمل أن يتعرف عليه من خلال هذه الشخصيات جميعا ، حتى قال أحد النقاد أن أندرسن رسم لنفسه لوحات أكثر من تلك التى رسمها الفنان الشهير رامبرانت .

ولقد أشار فى مذكراته التى نشرت فى عشرة مجلدات الى كثير من شخصيات عصره بأسلوب ذكى « خبيث أيضا » .

وقيل عنه أنه ممتلىء بذاته ، أنانى ، مغرور .

وقيل أيضا أنه متواضع .

ويمكن القول أنه يتصف بجميع هذه المتناقضات . فهو يخشى السفر ولكنه يهوى التجول والترحال ولا يتوقف قط !

وفي مذكراته عبر عن هذا كله . قال :

- أنا انسان غريب تشغل نفسى المهموم ساعة . وفى ساعة أخرى آخذ الامور بخفة .

ولكن الواضح أنه كان يضيق بالنقد .

عندما زار لندن ونزل فى ضيافة شارلز ديكنز وجده الكاتب الانجليزى يبكى لأنه تلقى صحيفة دانيمركية تنقله بعنف .



فى متحف مدينة أودنس التى لم يطأ أرضها نصف قرن يوجد الجبل الذى ظل يحمله معه فى رحلاته ، حتى سن السبعين ، ليقفز به من الادوار العليا إذا شب حريق .

ويوجد عدد من مسرحياته ومؤلفاته بخط يده ، وهى تكشف عن حرصه على الوصول بفنه وأدبه الى الغاية التى يريجوها .

هناك كشط وتغيير كثير فى الاوراق ، والسبب فى ذلك أنه يحرص على قراءة رواياته للنساء والاطفال ، ويعرف ردود أفعالهم ويغير ويبدل فى بدايات ونهايات القصص نتيجة لما يلمسه من تأثير .

فى روايته « ملابس الامبراطور الجديدة » نجد الامبراطور وقد بدا عاريا تماما ولكن مستشاريه أبلغوه أنه ليس عاريا وأنه يرتدى ملابس من نوع خاص ومن لا يراها هو المخطىء .

ويظن الناس بيدون استحسانهم لهذه الملابس كى لا يتهموا بالجهل ، وبغير الجهل حتى ينطق طفل صغير بأن الامبراطور بلا ملابس فيردد الجميع ذلك .

وعندما كتب أندرسن روايته لأول مرة كانت تنتهى بمشهد الامبراطور العارى فحسب ولا أحد يجرؤ على اتهامه بذلك .

ولكن أندرسن أضاف مشهد الطفل وكلماته بعد سماع رأى الآخرين .



وروايات أندرسن يعجب بها الصغار أولا ولكن الكبار يقبلون عليها أيضا .

وهو يستطيع أن يجعل من أى موضوع حكاية ورواية بدليل هذا العدد الضخم من مؤلفاته .

وهو يتحسّن الرسم والغناء وترتيب الزهور . وكان يمشى وفي جيبه مقص وأوراق -
فيقص الورق على هيئة أى شىء يريد .

وفي متحفه عشرات اللوحات رسمت له رغم أنه ينفر من كل لوحة فكلها لا تبين
جماله المزعوم ، أو كما يتخيله .
وفي المتحف أيضا لوحات تبين أسلوب معيشته .

عاش عزبا وحيدا حتى سن السبعين . يجيا في حجرتين في أحد فنادق كوينهاجن
يتناول طعام العشاء مع ست أسر تقيم في الفندق وفي مساء الأحد يخرج للعشاء وحده ،
أو مدعوا في الخارج .

وهناك في « متحف أودنس » نجد ، بخطه ، لوحة بارزة تبين أجمل ماكتب عن
نجاحه .

قال :

« منذ ربع قرن جئت إلى كوينهاجن ومعى حزمة فيها ملابس طفل فقير مجهول
وهآنذا الان أتناول الشكولاته مع صاحبة الجلالة الملكة . أجلس الى المائدة الملكية
في مواجهة الملك الملكة ! »



وجرت لأول مرة في العالم ، عبر التاريخ كله احتفالات في ثلاث قارات بمناسبة
مرور مائة عام على ميلاد شخصية أدبية خرافية لا وجود لها .

الشخصية هي شرلوك هولمز رجل الشرطة أو المخبر السرى الاستشارى الذي كتب
عنه في كل طبعات دائرة المعارف البريطانية . وهو الشخصية الخرافية الوحيدة التي كتبت
عنها دائرة المعارف إذ أنها تكتب عن ابطال حقيقيين . ولكنها رأت أن كثيرين في العالم
مازالوا يصدقون أن شرلوك هولمز شخصية حقيقية ولدت ولن تموت !

وكان الطبيب آرثر كونان ويل قد ألف روايته الأولى عن شرلوك هولمز وعرضها على
عدة ناشرين ورفضوها على الفور ، قائلين إن أحدا من القراء لن يعجب بها أو يقبل
عليها .

وأخيرا وافق أحد الناشرين على شراء حق نشرها ودفعت ثمنها لها ٢٥ جنيه استرلينا
وأصدرها في أكتوبر عام ١٨٨٧ . وقد استرد ما دفعه ألوفاً مضاعفة .

وقد أثارت السطور الأولى للرواية إعجاب القراء ودهشتهم وأصبحت جزءاً من التراث الأدبي العالمي .

تبدأ الرواية بصديق يقدم رجل الشرطة شرلوك هولمز الى الطبيب واطسون الذى يصبح بعد ذلك مساعدا له .

لا ينطق الشرطى بالكلمات المعتادة :

- أهلا . . . وسهلا .

أو :

- تشرفنا .

بل إنه يقول :

- أعتقد أنك قادم من افغانستان .

رد الطبيب قائلا بدهشة :

- وكيف عرفت ذلك ؟

ويبدأ شرلوك هولمز يبين كيف استطاع من مشاهدة ملابس الطبيب وماعلق بها ان يعرف أنه قادم من افغانستان .

وتنجح الرواية الأولى ويؤلف آرثر كونان دويل ٣ روايات أخرى و٥٦ قصة قصيرة تطبع بمعظم لغات العالم ومنها اللغة العربية .

وعندما أصيب الكاتب بالملل من هذه الشخصية التى ابتدعها قرر التخلص منها فجعل شرلوك هولمز يقتل أثناء معركة مع خصم شرير له فى شلالات راينباخ فى سويسرا .

وبقى المخبر السرى قتيلا عشر سنوات كاملة ولكن القراء احتجوا ، كما أن رصيد المؤلف انخفض فى البنك فاضطر الى اعادة الشرطى إلى الحياة وقال أنه لم يمت فى الشلالات بل أنقذ فى آخر لحظة .

ولقد جرت أحداث روايات شرلوك هولمز فى بيته رقم ٢٢١ ب شارع بيكر فى لندن وفى هذا العنوان يوجد الآن المقر الرئيسى لإحدى شركات المقاولات الكبرى فى بريطانيا

وتلقى هذه الشركة رسائل كثيرة ، على هذا العنوان ، من جميع أنحاء العالم من أفراد يطلبون مساعدة شرلوك هولمز على حل الغاز جنائية . ولا يعرف هؤلاء أن هذا العنوان لم يكن في يوم من الايام مقرا لرجل الشرطة لأنه لا يوجد رجل شرطة بذلك الاسم .

ولكن نظرا لكثرة الرسائل واستمرارها فإن الشركة عينت سكرتيرة خاصة ترد على هذه الرسائل باسم شرلوك هولمز .

وقد شكلت جمعيات في سويسرا وفي إنجلترا وأمريكا منذ نصف قرن باسم هذا الشرطي ، وتصدر مجلة باسمه في نيويورك . ومنذ عشر سنوات شكلت جمعيات مماثلة في طوكيو وخمس مدن يابانية أخرى يرأسها أستاذ في التحليل النفسى ترجم اعمال ارثر كونان دويل ويصدر مجلة سنوية تحلل رواياته وقصصه .

ويرى هذا الطبيب ، الذى تعمق في دراسة هذه الروايات ، أن شرلوك هولمز استشهد مرتين بلقطة من مسرحية « الليلة الثانية عشرة » التى ألفها الشاعر الكبير وليم شكسبير ولا بد من اعادة دراسة هذه المسرحية بالذات لمعرفة العنصر البوليسى الغريب الذى جعل أرثر كونان دويل يستشهد بها دون غيرها من مؤلفات شكسبير وغير شكسبير !

كما أصدر عشرون من كتاب اليابان بهذه المناسبة دراسة ضخمة عن أعمال أرثر دويل باللغة اليابانية يجللون فيها سر نجاح تلك الشخصية البوليسية ولماذا سيطرت على خيال الناس .

وقد بدأت احتفالات العيد المئوى لكونان دويل بحفلى عشاء اقامتها جمعية شرلوك هولمز في مجلس العموم البريطانى لأول مرة ، وكانت الاحتفالات تجرى من قبل في أحد فنادق لندن .

وفي الشهر التالى احتفل بهذا العيد في لوس انجلوس بالولايات المتحدة .

وفي مايو أقيمت مأدبة عشاء ضخمة في فندق كبير في نيويورك قدمت فيه الاصناف الشهيرة التى اعتاد أن يأكلها شرلوك هولمز وكل الوجبات المفضلة لديه طبقا لما ذكره دويل من أوصاف !

وفي الشهر نفسه ارتدى اعضاء جمعية شرلوك هولمز البريطانية ملابس العصر الفيكتورى التى كان يرتديها الانجليز في حياة هولمز وزاروا شلالات راينباخ في سويسرا

وأعادوا تمثيل بعض مشاهد رواياته التي سبق أن قدمت في افلام كما زاروا المتحف الشهير الذى اقامه ابن المؤلف فى قصر لوسن عند منطقة تقع بين مدينتى لوزان والعاصمة السويسرية برن .

وفى هذا المتحف توجد حجرة استقبال ومكتب على غرار الحجرة التي كان يجلس فيها هولمز فى لندن ويستقبل فيها زبائنه الراغبين فى استشارته .

وفى يولية عقدت ندوة فى جامعة مدينة ويلياند برج بولاية فرجينيا . وفى شهر أغسطس ندوة اخرى فى جامعة ستانفورد الامريكية .

والظاهرة المشتركة فى كل هذه الاحتفالات أن الناس العاديين لا يشتركون فيها بل يشهدوها فقط أعضاء جمعيات شرلوك هولمز الذين يحتفلون بميلاده سنويا ولا يذكرون وفاته لأن الكاتب قتله مرة واحدة ولم يكررها بعد ذلك قط !

وفى التاريخ الانجليزى يمكن اقامة عشرات الاحتفالات بميلاد شخصيات كثيرة ولكن هولمز فقط هو الذى لقي التكريم فهو البطل الادبى الوحيد الذى احتفلت به بريطانيا عام ١٩٨٧ !

وقد قيل الكثير عن الأسباب التي دعت بريطانيا لذلك . وصدرت عدة مؤلفات بهذه المناسبة ولكن الناس لم يجمعوا على سبب واحد .

قيل إن الشعب الانجليزى يحن الى العودة الى ماضى مجيد يوم كانت بريطانيا تحتل أجزاء كبيرة من العالم وامبراطوريتها تمتد شرقا وغربا وجنوبا فى عصر الملكة فيكتوريا .

وقيل إن شرلوك هولمز يمثل زمنا كان يتوافر فيه الحل لكل مشكلة .

وقيل إن الحياة كانت رغبة ، فتوجد سيارة أجرة - تاكسى - لمن يرغب ، والقطار السريع يصل فى موعده فإن هولمز كان يلاحظ ذلك . أما الغرفة فى أفخر الفنادق فكان ثمنها أربعين قرشا مصريا .

وقيل إن الشعب البريطانى لم ينضج بعد . كان يطالع روايات شرلوك هولمز فى المدارس الداخلية وتأثر بها ولا يزال الناس يذكرون طفولتهم ومراهقتهم ويعيدون قراءة ما طالعوه فى صباهم .

وربما يكون السبب الحقيقى الكامن وراء هذا كله أن هذا الحب لشرلوك هولمز يعش السياحة فى بريطانيا، فإن الجمعية الانجليزية لشرلوك هولمز تنظم احتفالات يزور

خلالها الاعضاء المنطقة التي اقام فيها شرلوك هولمز عندما جاء الى لندن لأول مرة ، وكذلك زيارات أخرى لكل مكان تكلم عنه المؤلف وذهب اليه رجل الشرطة ليبحث عن لص أو قاتل .

وكتبت الصحف طويلا عن هذا كله ، فإن السياح في امريكا واليابان والمصابين بهوس البحث عن الغريب والجديد في هذا العالم يتبعون الجمعية في زيارة كل هذه المناطق .

ولا أظن أنه خطر في عقل الكاتب وهو يؤلف رواياته أن حركة السياحة ستبتع الشخصية الادبية في كل مكان .

وأياً ما يكون السبب فإن تلك الشخصية الخرافية لاتزال تحيا وتلقى التكريم الذي لم يستطع الادباء العرب أن يوفروه لأية شخصية أدبية . . ربما باستثناء شهر زاد .



وإذا كانت الدول والشعوب تحتفل بهذه الطرق المتعددة بكاتب أو شخصية خرافية ابتدعها كاتب فان الدول أيضا تغير قوانينها تقديرا لكاتب .

حدث أخيرا في ايطاليا أن وقف عضو في مجلس النواب يعترض قائلا :

- هذا أول استثناء من نوعه في بلادنا .

رد رئيس الوزراء قائلا :

- العالم يعرف الاستثناءات من قديم .

قال النائب :

- الناس يعرفون الاستثناءات في حياتهم ، أما أن يتم استثناء لإنسان بعد وفاته فهذا أمر غريب .

اندفع النواب يتصايحون مؤيدين رئيس الوزراء الذي قال :

- لن ينتفع الكاتب بهذا الاستثناء . ولن تفيد منه ابنته التي أصبحت في السابعة والثمانين . أن الشعب صاحب المصلحة . ومن أجل الشعب يجب أن توافقوا .

وافق مجلس النواب الايطالى على مشروع قانون يعطى الروائي الايطالى سفينو وورثته حق الملكية الادبية خمس سنوات إضافية !

في العالم لتفاقيتان لحماية حقوق الملكية الادبية والفنية .
الأولى وقعت في برن عام ١٨٨٦ وتضمن للكتاب حق الملكية الادبية لكتبهم طوال حياتهم وللورثة مدة خمسين عاما بعد الوفاة .
والثانية وقعت في جنيف عام ١٩٥٢ وتضمن هذا الحق للكاتب أثناء حياته ولورثته ٢٥ عاما بعد وفاته .

وايطاليا تطبق الاتفاقية الاولى .

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة الايطالية أن هذه الحقوق ضاعت خلال سنوات الحرب فأصدرت عام ١٩٤٥ قانونا بمدد حق الملكية الادبية ست سنوات اخرى .

وعندما اقترب موعد نهاية هذا الحق بالنسبة لورثة الروائي إيتالو سفينو تقدمت ابنته العجوز تطلب من الحكومة مد هذا الحق خمس سنوات أخرى .
قالت :

- مات أبى وعمره ٧٧ سنة عام ١٩٢٨ ، وقدرأيت إنشاء مؤسسة باسمه لتشجيع الادباء الناشئين ولكن حقوق الملكية الادبية ستسقط ولذلك أريد المدة الإضافية حتى يتسنى لى من عائد حصته فى بيع كتبه ، تمويل هذه المؤسسة .
وقالت :

- عندما تنتهى المدة القانونية سيصبح من حق الناشرين إعادة طبع كتبه والحصول على كل الارباح . وأبى لم يشتهر الا فى السنوات الخمس الاخيرة من حياته . ولم يعترف به ككاتب كبير فى ايطاليا ، وفى العالم ، إلا منذ سنوات قليلة .

ومن هنا فإن رواج كتبه تحقق فى السنوات الاخيرة . ومن الأفضل استغلال ذلك لصالح شباب الادباء فى سنة الشباب .

والمعروف أن الكاتب يحصل على نسبة معينة من ثمن بيع كل نسخة من كتبه .
وبنال الورثة هذه النسبة بعد وفاته فإذا رادت المبيعات كان الإيراد كبيرا .

وبالنسبة لسفينو فإنه لم يؤلف الا ثلاث روايات . .

الأولى اسمها « حياة » أصدرها وعمره ٣١ سنة .

والثانية عنوانها « كلما تقدم الرجل فى العمر » ألفها بعد ست سنوات .

وظل ٢٥ عاما لا يكتب حتى ألف روايته الثالثة قبل وفاته بخمس سنوات وهي « اعترافات زينو » .

ولم تترجم رواياته من اللغة الايطالية إلا بعد وفاته . كما أنه يلجأ في كتاباته الى التحليل النفسى والاعترافات وعذاب الضمير . وهذا النوع من الادب لم يكن شائعا في ايطاليا خلال حياة سفينو ولذلك تأخرت شهرته .



وسفينو ليس اسمه الاصلى وإنما اسم الشهرة .

سمى عند مولده إيتورى شميتر .

أصر والده على أن يعمل بالتجارة فاشتغل كاتباً في بنك سبع سنوات .

ومن البنك انتقل مديراً لشركة تتولى إنتاج أنواع الطلاء . وكان يكتب في أوقات فراغه .

ونتيجة لزحام العمل ظل ربع قرن لا يمسك القلم . واذا أراد الكتابة قطعت أفكاره العمليات الصناعية والتجارية وألوان وأنواع الطلاء وجودتها !

ولد في تريستا في ١٩ ديسمبر ١٨٦١ وهي السنة التي اشتعلت فيها الحروب الأهلية الأمريكية التي أستمترت عامين .

أما يوم مولده فحافل بالاحداث الادبية .

في مثل ذلك اليوم ، وإن اختلفت السنون ، ألف الكاتب الامريكى توماس بين روايته « الازمة الامريكية » التي بدأها بعبارة شهيرة تقول :

« هذا زمن يجتبر فيه الناس أرواحهم » .

.. يقصد ضمائرهم .

وفي نفس اليوم فقد الشاعر فيليب فيرفو في عاصفة ثلجية وهو يمشى عائدا الى منزله فمات على بعد خطوات منه .

وماتت في ذات اليوم إميلي بروننتى بمرض الصدر التقطته عندما سارت في جنازة أخيها !



وسفينو ليس وحده الذى تحول من أعمال البنوك ومزج أنواع الطلاء الى الأدب فإن
الفكر حافل بالاسماء التى غلبت عليها روح الفن وفرضته على صاحبها .

الكاتب الروائى بن جونسون كان عامل بناء قبل أن يتجه للادب .

وسومرست موم درس الطب ومنه انتقل الى الادب وروايته ذائعة الصيت « اغلال
بة » بطلها طالب طب .

والكاتبة الامريكية مارى رينهارت بدأت حياتها ممرضة .

وجوزيف كونراد الروائى البريطانى كان بحارا وظل حتى سن التاسعة عشرة
ف كلمة واحدة من اللغة الانجليزية وبدأ يتعلمها بعد ذلك .

وليم فولكنر الروائى الامريكى كان موظف بريد فصل من عمله لأنه لا ينتبه
اته ويقراً أثناء ساعات الوظيفة .

والكاتب الامريكى زين جراى كان طبيب أسنان .

وليس الاطباء والعمال وحدهم الذين تقلبت بهم ظروف الحياة ولعب القدر لعبته
نقلتهم من حال الى حال .

ن تاريخ الفن حافل بهذه الصدف ، أو الحظوظ والمفاجآت .

وم ميكس البطل الذى قام بدور راعى البقر فى ٤٠٠ من أفلام السينما الصامتة
سابط شرطة .

روك هدسون ، مثل فولكنر ، كان موظف بريد .

جريتنا جاربو بدأت عاملة مانيكير بمحل حلاق فى ستوكهولم عاصمة السويد .

فيلدز كان سباحا يتظاهر بالغرق أمام الناس فيتجمعون لمشاهدته بينما يبيع
« الساندوتشات والحلوى والمرببات يلتهمها الجميع حتى ينجو فيلدز من

يختلف سفينو عن هؤلاء جميعا بأنه ظل ٢٥ عاما لا ينشر روايته الاخيرة بل يعيد
يكتبه لأنه يريد تحسين عمله والإبداع فيه بالوصول إلى أعماق العقل الباطن
الانسان المتردد ، وكان هو هذا الانسان المتردد ، أو هو بطل الرواية نفسه، ولم
عن نشر انتاجه كما فعل شاعر من أصل ايطالى هو دانتي جابرييل روزيتى .

كانت زوجة روزيتى مريضة بالسل خلال عامى الزواج .
وبدلا من أن يجلس زوجها بجوارها يحاول التخفيف عنها انصرف إلى عالم الإلهام
يفتش عن الاشعار !
فلما ماتت زوجته أحس بالندم لأنه أضعأ أجمل ستنى حياتها يؤلف الشعر فدفن
كل ما كتبه من شعر مع زوجته !

وبعد سبع سنوات جاءتة فى الحلم تطلب منه نشر قصائده فاستخرجها من القبر
بعد أن دفنت مع الجسد لتباع - نتيجة لهذه القصة - فى أسبوعين !
وأعيد طبع القصائد ٦ مرات فى سنه واحدة لقيمتها الشعرية وربح منها الشاعر
مبلغا كبيرا - بأسعار ذلك الزمان - ٨٠٠ جنيه !
ولكن سفينو لم يربح كثيرا .

لقد ظل مجهولا فى بلاده والعالم حتى مات وتبعه سوء الطالع أكثر من خمسين عاما
حتى انتبه العالم إليه وأخذ الناشرىن الايطاليون يستعدون لنشر رواياته بعد أن أصبحت
ملكا للناس ولا يملك الورثة حقا أدبيا فيها .

ومن هنا قالت ابنته أنها تريد استثناء يحمى حقوقها ولكنها لن تستغل هذه الحقوق
لنفسها بل للادباء الشبان .



اعترضت دور النشر على ذالم

قالت :

- هذا القانون بمد حق الملكية الادبية يتنافى مع الدستور الايطالى ، وكل دساتير
العالم التى تنص على مساواة الناس جميعا أمام القانون ، فى الحياة وبعد الموت .

ولكن رئيس وزراء ايطاليا قال .:

- اذا كان الكاتب قد مات قبل ان يشتهر . . وجاءته الشهرة عند انتهاء نصف
القرن المحدد لحق الملكية الادبية فمن واجبنا أن نمد المدة تعويضا للأديب الذى لم
يقدره الشعب خلال ١٠٢ سنة ، وهى الفترة التى انقضت منذ إصدار كتابه الأول حتى
سنة انتهاء حق الملكية الادبية .

إن القراء هم الذين أخطأوا لأنهم لم ينتبهوا الى كاتبهم العظيم، وحركة الترجمة من اللغة الايطالية الى اللغات الاخرى أخطأت عندما لم تهتم بترجمة روايات سفينو في الوقت المناسب .

وأضاف رئيس وزراء إيطاليا :

- من حق الكاتب أن يوصى بحصته في مؤلفاته لمن يريد . وهذا حق للورثة أيضا وفي اتفاقتي برن وجنيف نصوص تسمح بذلك .



كان السير جيمس بيرى مؤلف رواية بيتر بان يزور صديقا له .

قال الصديق للروائي :

- ابني مريض ونصحني الطبيب بالامتناع عن تناول الثلجات وإلا تأخر شفاؤه .

حاول إقناعه فأنت كاتب تحسن التعبير بالكلمات .

أنجبه جيمس بيرى إلى سرير الصغير وقال له :

- اذا أكلت الثلجات ستمرض غدا .

قال الطفل الصغير بيديه حاضرة :

- ولكنى أريد أن أكلها وأصاب بالمرض اليوم !

أعجب الكاتب بكلمات الصغير واقتبسها في مسرحيته ومنح الطفل نصف قرش عن كل مرة تعرض فيها الرواية .

وهكذا أصبح الصغير . . ثريا .

وراد يارد كبلنج الكاتب والشاعر البريطاني صاحب العبارة الشهيرة « الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان » رأى الممرضة تعتنى بأصغر أطفاله عناية بالغة فأوصى لها بدخله من روايته « كتاب الغابة » فباعته الممرضة نصيبها مقابل ثروة جعلتها تعتزل فن التمريض .

وأجائنا كريستي مؤلفة الروايات البوليسية أعجبت بذكاء ابن شقيقها فمنحته نصيبها من حقوقها الادبية عن مسرحية « المصيدة » .

وقدمت المسرحية أكثر من ١٠ آلاف مرة - حتى الآن - على المسرح فأصبح قريب
الادبية شديد الثراء .

ولكن ابنة سفينو لا تريد ثراء لنفسها بل أرادت أن تنشئ مؤسسة لتعليم شباب
الادباء كيف يكتبون وماذا يقولون !



ومعظم الدول العربية حتى الآن لم تنضم لا تفاقيتي برن أو جنيف . ولم تضمن
هذه الدول حق الملكية الادبية لكتابها وفنانيتها أو لورثتهم .

ولو انضمت الدول الى هذه الاتفاقيات لصانت حقوق الفنانين وورثتهم واستغلت
هذه الاموال في تنمية مواهب كثيرة من شباب الادباء يحتاجون الى تشجيع .

وايطاليا غيرت قانونها من أجل كاتب اسمه سفينو قد لانعرفه هنا في العالم العربى
وربها لم يسمع باسمه كثير من أدبائنا .

ومع ذلك فإن حماية أديب واحد مسألة رأت إيطاليا أنها تستحق العرض على
البرلمان .

وتكريم وحماية. كل أدبائنا وفنانينا مسألة تستحق النظر .

فتش عن المواهب

من ذكريات المدرسة يبقى في عقولنا مدرس ، أو أكثر ، نحفظ له كثيرا من الحب والتقدير لأنه جعلنا نحب هذا العلم أو ذاك .

ولكننا لانستطيع نسيان مدرس اللغة العربية أبدا . فالعلم الذي يدرسه لا يمكن الاستغناء عنه طوال سنوات العمر . وقد ننسى الهندسة والرياضيات وعلوم الطبيعة أما اللغة العربية فسلحنا الدائم في هذه الحياة .

ودروس اللغة العربية لها أسلوب يكاد يكون واحدا . ولها تقاليد مشتركة بين كل المعلمين ، وفي كل الدول وخاصة في موضوعات الانشاء .

يدخل المعلم الفصل ليحدد موضوع الانشاء ليناسب مقتضى الحال . يكتب على السبورة ، أو يملأ على الطلاب جملا معينة يطلب استعمالها في الموضوع . وتصبح هذه الجمل ملازمة لنا وجزءا من أسلوبنا مهما قرأنا ، ودرسنا ، وتعلمنا وتجولنا عبر الزمن والدول والناس !

وبعضنا يكره حصة أو درس الانشاء لهذا السبب وحده ، فأسلوبنا يصبح مكررا وكلماتنا متشابهة نردها بلا وعى وبلا احساس بالجمال . . رغم ما قد يكون فيها من جمال .

وجاء عصر التلفزيون وأصبحت الكلمات التي يقولها الصغار هي الإعلانات وأغانيها ، أو التعبيرات التي ينطق بها الممثلون . لقد تراجع الادب الى المقعد الخلفى في هذا العصر وزحف الى المقعد الامامى هذا الصندوق الصغير . ولم تعد لدينا ثقافة تصنع كتابا أو تدعم كتابا .

ومن هنا بدأ التغيير الجديد في تدريس اللغات ، وفي موضوعات الانشاء بالذات . وما يطلب من الصغار في هذا العلم ، يطلب أيضا من الكبار الذين يريدون أن يصبحوا كتابا .



يقولون أن الكتابة موهبة وهذا صحيح .
ولكن الكتابة أيضا علم يدرس . ويمكن أن تكون كاتباً إذا درست هذا الفن
وتعلمته .

وقد يكون مدرس اللغة والانشاء هو هذا المعلم . ولكن المعلم الاول : أنت .
ولابد أن تعلم نفسك في الصغر إذا استطعت . ويمكن أن تبدأ في أى عمر .

والسؤال : كيف ؟

والجواب سهل . .

إنك لا تستطيع أن تقيس موهبتك أبدا . ولكن يمكنك أن تختبر ما لديك من
امكانيات وأولها قوة الملاحظة ، وثانيها الخيال الحر المتجول بلا حدود أو قيود . ثم بعد
ذلك لابد أن تحب الكلمات . . أن تغرم بها وتهميم .

وإذا كنت في المدرسة تطالب بكتابة موضوعات انشائية فإنك تستطيع ممارسة هذه
الهواية بانتظام وكأنها واجب مدرسى .

انظر الى أية صورة ، أو بطاقة بريد ، أو رسم على نتيجة الحائط واكتب وصفا لهذه
الصورة أو اللوحة . ولابد أن يكون الوصف قصيرا سريعا تبين فيه رد فعلك لما رأيت .
وبعد ذلك اجلس بهدوء واكتب وصفا كاملا للصورة بما فيها من ألوان وظلال .
وكلما تعمقت في الصورة ستجد جوانب لم تنتبه اليها من قبل .

وكل ما هو مطلوب منك أن تجعل الصورة حية نابضة .

وإذا لم تجد أمامك صورة فاكتب وصفا لمشهد رأيته أمس ، أو قبل أيام .

في السويد وجدتهم يتكلمون عن مدرسة وفصلها . قالوا ان هذه المدرسة ستجعل
من كل تلاميذها المجهولين ، كتابا مشهورين .

إنها تخصص الدقائق العشر الأولى من كل حصة للكتابة . تطلب من تلاميذها
أن يكتبوا عما شاهدوه بالأمس .

وكل تلميذ حر في اختيار موضوعه .

وهي تقوم بتصحيح الكراسات أحيانا ليعرف التلاميذ أخطائهم النحوية
واللغوية .

وتعترف بأنها تتقاعس عن عملية التصحيح لأن الهدف أن يعتاد التلاميذ الكتابة كل يوم ، أو كل أسبوع ، ويصبح من الصعب عليهم التخلص من هذه العادة .

وفي مدرسة تعليم الادب ، في السويد ايضا ، يطلب من أولئك الذين فاتتهم الفرص صغارا أن يكتبوا كل أسبوع عما حولهم . ففى كل مكان توجد ثروة من الجمال تستحق أن توصف .

ومعلمة الكبار تقول لطلابها :

- اكتبوا كل التفاصيل . وصفوا الناس والموقع والصوت والرائحة . ابحثوا عن التفاصيل الصغيرة واجعلوا من يقرأ يحس كأنه معكم ويتعرف على جوانب لم يرها من قبل .

وأهم ماتقوله المدرسة :

كن ملتزما . لاترك عادة الكتابة أيضا . واهتم بالتفاصيل الصغيرة الدقيقة وإذا اعتدت ذلك فان المراقبة المتأنية تصبح جزءا من طبيعتك ، أو طبيعة ثانية لك .

إن العامل يعتاد المهارة الفنية من الممارسة ، والخير يكون متمكنا بحكم الملاحظة القوية .

وأنت أيضا ككاتب إذا ظللت تمارس هذه العملية باستمرار فانك تكتسب هذه المهارة تلقائيا .

وإذا بذلت جهدا ضخما في البداية فإنك - مع المران والتكرار - لن تحتاج لجهد أو وعى ، بشرط واحد أن تكون أمينا في المراقبة وأن تستعين في ذلك بالتركيز الكامل .



ولكن . . .

- ماذا يفعل الذى يقيم فى قرية صغيرة ، يرى يوميا نفس الاشخاص ، والمكان لايتغير ، ولا يوجد ما يصلح لتقديم صورة وصفية جديدة .

إن واحدا من أكبر الصحفيين العالميين وهو فيكتور زورزا وجد نفسه فى محنة .

إنه ينتقل بين عواصم العالم على هواه ، والصحف تنشر كل ما يكتبه ، وتدفع له أجرا ضخما .

أحس أخيراً أنه لا يقدم جديداً . التاريخ يعيد نفسه . والاحداث متكررة متشابهة ليس فيها بريق .

إن العالم - على اتساعه - أصبح ضيقاً في نظره ، أو على حد تعبير معلم الفصل القديم . . صار العالم أضيق من ثقب الابرة .

هجر الكاتب هذا الفضاء العريض وسافر الى قرية صغيرة عند سفح جبل في الهند يصف القرية ، والناس البسطاء ، والحياة العادية ، ويكتب عنها ثلاث مرات كل أسبوع ليقدم شيئاً جديداً مثيراً في عالم الصحافة والادب .

ومن المؤكد أن الصحف العديدة التي تنشر مقالاته وجدت أنها تجذب القراء وإلا توقفت عن النشر .

فالصورة التي تراها عادية ربما تشد انتباه الكثيرين .



اعتادت مجلة صغيرة في انجلترا نشر القصائد التي يبحث بها القراء .

قرأ الناقد والشاعر الكبير ستيفن سبندر في تلك المجلة قصيدة عن قطار يعبر واديا لشاعر مجهول في مدينة بعيدة فأحس بأنه يقرأ تحفة رائعة فكتب إلى الشاعر يعبر عن إعجابه فتلقى منه رسالة شكر تقطر خجلا .

رأى سبندر أن يدعو الشاعر للحضور الى لندن لتناول الغداء معه . وأحس بفقر الشاعر الشاب فأرسل له مع الدعوة ثمن تذكرة القطار .

جاء الشاب في حالة توتر عصبى بالغ . وأثناء الطعام لم ينطق بكلمة ، فتولى الناقد الكبير مهمة الحديث للترفيه عن ضيفه .

وأسفر اللقاء عن شحنة من التشجيع للفنان الناشئ لم ينسها أبداً .

وأصبح الشاعر الشاب أكثر شهرة من الرجل الذي ساعده على الانتقال الى القمة .

ولكن « ديلان توماس » لم ينس الجميل أبداً . وظل يعترف ويقول :

- أخطر شيء على الادب ، والشعر والفن مهاجمة الناشئين . . النقد غير البناء ، في هذه الحالة ، يعتبر جريمة قتل .

والقتل لا يكون لإنسان أو حيوان . . ولكن قتل المواهب جناية على مستقبل الشعوب والافراد .



وفى مدينة بوسطن الامريكية مدارس ومعاهد كثيرة لتعليم حرفة الكتابة .

أول درس يقولونه للجميع :

- لا بد أن تكتب كل يوم . واذا لم تجد حولك ما يجذبك فاكتب من الذاكرة .

والذاكرة عضلة مثل باقى عضلات الجسم تستحق التمرين وإلا أصابها الضمور . وكل شىء تراه يستحق الكتابة عنه . وما لا تجده مفيدا اليوم ستعرف قيمته غدا ، وستجد أنه أكثر جمالا وروعة .

ومتى تعلمت ومارست قوة الملاحظة فستعلم ايضا كيف يسرح بك الخيال .

واجعل نفسك جزءا من المشهد الذى تكتب عنه . كن البطل .

كن خائفا ، متشائما ، مذنبا ، سعيدا ، ضاحكا ، أو يملؤك الامل .

ومتى كان هذا رد فعلك فإن الصورة التى تصفها ستكون حية لها ضجيج .

وفى كل الاحوال فإن شخصية الاديب الكامنة تحت جلدك ، ستخرج وتنطلق .

واختر الوقت المناسب للكتابة . . إما صباحا قبل أن يمسك بك العالم ، أو ليلا

بعد أن يتركك العالم للوحدة والفن والخيال .



ومن أنجح طلاب احدى مدارس بوسطن مساعد الطيار الذى ألقى أول قنبلة ذرية فى العالم على مدينة هيروشيما فى اليابان وهى القنبلة التى ساعدت على انتهاء الحرب العالمية الثانية فى الشرق الاقصى ، وأدت ، مع قنبلة نجازاكي ، إلى استسلام اليابان .

قالت المدرسة للطلاب ولم تكن تعرف أن من بين طلبتها ذلك الرجل :

- كل انسان ينظر للامور من زاوية معينة . ان الطيار الذى يطير فوق مدينة اثناء

الحرب ليقذفها بالقنابل يقوم بعملية حسابية محضة .

هذا الطيار معه خريطة .

وكلمها ألقى قبلة على منطقة يضع حولها خطوطا سوداء حتى لا يعود لضربها بالقنابل مرة أخرى .

وهو لا يفكر في الأمر من وجهة نظر عاطفية أبدا . .

لا يهتم بما ستحدثه القبلة ، أخطارها ، وأضرارها ، وضحاياها ، أولئك الذين يموتون ، وعشرات المصابين ، وأهل هؤلاء وأولئك .

الطيار في هذه الحالة رجل يعرف علم الرياضة والجغرافيا .

إنه إنسان جرد من العواطف .

أحس مساعد الطيار بشيء جديد . . بعاطفة أخرى تجتاح كيانه وتكاد تعصف

به .

ترك المعهد ليكتب عن ذكرياته ويصف التحول العظيم الذى طرأ عليه والعذاب الذى عاناه ، وربما لا يزال يعانيه .

وكتب الرجل ذكرياته بأسلوب أدبي لأنه اكتشف مواهبه .

وعندما سمع الطيار بالقصة انفعل بطريقة أخرى مختلفة تماما .

وجد أنه قاتل ولكنه لا يستطيع أن يكتب لأن شبح القتلى والضحايا أصبح

يطارده . . فتحول من طيار إلى راهب .



قال المدرس العجوز للتلميذ الذى يهوى الكتابة :

- انظر بإمعان الى الاشياء العادية مثل القلم ، الكوب ، الفنجان ، طبق

الشوربة . . ثم عد إلى .

بعد أيام رجع الشاب الى استاذة قائلا :

- تأملت طويلا ولكنى لم أر جديدا .

قال العجوز :

- خسارة . . لو راقبت وتأملت بعناية فستجد ما يلهمك . ستعرف كثيرا من

حقائق الحياة .

تذكر « جوزو إيتامى » الكاتب اليابانى كلمات أستاذه القديم التى سمعها فى صباه وهو يبدأ خطواته الاولى فى ميدان الادب وأخذ يفكر فيما حوله .

كان إيتامى يقف فى المقبرة بعد أن شيع جنازة صديق ورأى الناس بعضهم يبكى ، وبعضهم لا يفعل بمشهد الموت، ثم قرر أن يكون ذلك كله موضوعا لروايته الجديدة « الجنازة » .

وصدر الكتاب ، ثم أصبح فيلما تتحدث عنه اليابان لأن الكاتب طرق موضوعا ممنوعا ، أو محرما لا يجوز لأحد أن يكتب عنه ، ولكن « إيتامى » رأى ان تكون روايته فكاهية ساخرة ، يضحك القارئ والمشاهد للدعابة ، رغم القسوة البالغة التى غمس فيها الكاتب قلمه .

بطل الرواية عجوز من أسرة متوسطة .

قال له الاطباء :

- لا تأكل كثيرا .

ورغم ذلك أكل أكثر مما يحتمل قلبه وأمعأؤه .

وزاد وزنه ، ومع ذلك فإن الاطباء قالوا أنه يتمتع بصحة جيدة .

وكل ما فعله أنه ظل يتردد على الاطباء يعيدون فحصه ، وتشخيص ماقد يعانیه من أمراض .

وفى المرة الأخيرة قال له الطبيب :

- لم أر قلبك من قبل بهذه القوة . يبدو أنك تعرف نفسك أكثر مما نعرفك .

ولكنه أحس بالمرض عقب عودته مباشرة إلى بيته وفشل الطبيب والمرضات فى إنقاذه .. فمات .

وبدأت مسألة إعداد الجنازة وتشييعها بواسطة أقرب الناس إليه وهما ابنه وابنته والاثنان يقومان بالتمثيل على شاشة التلفزيون .

شاهد الاثنان فيلم فيديو لتقاليد الجنازات وأجرائها حتى لا تختلط عليهما الامور وأعدا الخطبة المناسبة التى يلقيانها أمام القبر .

وحفظا كل التفاصيل الدقيقة ونفذاها بالفعل .

وبدأ إعداد الجنازة .

أظهر الزوجان أنهما لا يهتمان بالمال ولكن يحرصان على التقاليد فسحبا بكل رصيدهما في البنك ، وكانا قد أعداه للظروف الطارئة ، ولكن لم يتجمع لديهما المال الكافي .

وتبرع الأقارب ، كل حسب قدرته ، ببعض المال فوضعه على المكتب وهم يدمعون، ولكن ريحا طارئة هبت فطار المال مما اضطر الجميع الى عدم التظاهر بالحزن ، والاسراع وراء الاوراق المالية الطارئة يجمعونها !

وكاد احد الاقارب أن يقفز من النافذة وراء ورقة مالية طارئة .

وكان المشهد مضحكا ، ساخرا يبين النفاق الكاذب والاحترام الخادع لجلال الموت .

وتكررت مشاهد النفاق كثيرا عند الحديث عن الميراث وإلى أين يتجه . كل يريد نصيبه ويصارع من أجله ، يهدد وينذر ويرجو أيضاً .

إن الافراح في اليابان، وفي كل مكان تصور الآن بالفيديو . ولكن الشقيقين الفنانين رأيا التقاط فيلم للجنائز يستعيدان مشاهدها إذا رغبا يوميا في البكاء .

وخلال موكب الجنائز حاول الاطفال فهم العادات والتقاليد دون جدوى فأحسوا بالملل .

واختلطت العواطف الصادقة ، والحزن العميق ، مع أحاديث الملل التي تجري بين اشخاص جاءوا لأداء الواجب فحسب .

وكانت أحذية النساء البيضاء - طبقا للمراسم المعتادة - مع نظاراتهن السوداء أشبه بديكور فيلم .

وكشفت الجنائز عن شراهة منظمي الجنائز وأطعمهم واستغلال أحزان الناس . ولكن القارئ أو المشاهد لا يستطيع إلا أن يضحك رغم أن الفيلم عن الموت فقد رأى الكاتب أن الموضوع ، وأى موضوع ، يمكن أن يكون ساخرا فكاهيا .



حدث عام ١٣٥٠ أن انتشر الطاعون فقتل ثلث السكان في أوروبا . ورأى كاتب فرنسي فكاهي هو « مارسيل فلوت » أن الناس لابد أن يضحكوا بعد الوباء القاتل .

ألف الرجل فرقة مسرحية من لاعبي السرك والاحياء المشوهين . عازف أعمى ، وراقص احتفظ بقدم واحدة بعد بتر الاخرى ، وعازف طبله بيد واحدة . . . إلخ .

طافت الفرقة بالمدن تضحك الناس لينسوا مأساتهم .
والأدب اليابانى يتجه إلى الفكاهة عقب الحرب العالمية الثانية .
وأشهر رواية يابانية معاصرة ألفها موريو كيتا منذ ٢١ عاما، ولكنها لم تترجم للغات الاوروبية إلا هذه الايام .

الرواية اسمها « أسرة نيرى » وتقع فى ٧٦٤ صفحة ضمها جزءان ، وهى تروى تاريخ اليابان ، منذ عام ١٩١٨ عقب الحرب العالمية الاولى، وحتى عام ١٩٤٦ بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة اليابان .

والرواية أشبه بثلاثية نجيب محفوظ - « قصر الشوق » ، و « بين القصرين » ، و « السكرية » فإن الكاتب قدم تاريخ اليابان من خلال ثلاثة أجيال ، فقد رأى أن التاريخ يخلق شخصيات تؤثر فيها الأحداث السياسية والاجتماعية .

ولكن ثلاثية نجيب محفوظ وغيرها من الروايات التاريخية تجرى فى ظروف اجتماعية وفى بيئة عادية ، أى فى بيت مصرى ، مثل كل البيوت وأسرة فيها الوطنى المتطرف ، والخائف ، ومن يستغل الظروف ، والمرأة التى تطيع زوجها والفتاة المتحررة .

وقال النقاد على الفور أن اليابان كلها فى المستشفى ، أى أن الشعب كله - تقريبا - مريض بينما نفى المؤلف ذلك قائلا :

- أسرتى فقط هى المريضة ولكن الشعب اليابانى بخير .

ورغم ذلك فإن الرواية تمثل الشعب اليابانى كما حدث فى رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم، فإن الاسرة التى دارت حولها الرواية تمثل مصر كلها .

كان والد « موريو كيتا » طبيبا نفسيا، ومن هنا فإن الكاتب بدلا من أن يفتش عن البطل أو عن مجال خيالى للأحداث رأى أنه يستطيع أن يكتب عما يعرفه وهو الطبيب النفسى والمصابون بأمراض نفسية أيضا .

كان الأب يدير مستشفى لعلاج الامراض العقلية هدم أثناء الحرب العالمية الثانية فجرت أحداث الرواية كلها فى المستشفى ليصف الكاتب الشعب اليابانى من خلال أولئك الذين يعالجون من أمراضهم العقلية .

فى الرواية نرى اليابان أثناء الحرب العالمية الأولى دولة لاهتم بالحرب ، تحيا فى عزلة تفوقعت على نفسها حتى جاء زلزال عام ١٩٢٣ ليهز طوكيو ويدمرها . ولكن المدينة عادت كما كانت ، بناها الشعب .

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتنتصر لليابان في البداية ثم تدمر القنبلة الذرية الاولى والثانية روحها ، كما دمرت الامراض العقلية شعبها .

وجاء يوم ١٥ أغسطس عام ١٩٤٥ وأعلن أن الامبراطور سيوجه خطابا هاما الى الشعب . . . يومها قال البطل لزوجته :

- هذا يوم خطير في حياتنا لا بد أن نستعد له . . ضعى أجمل ما عندك من ثياب .

قالت الزوجة :

- آسفة . لم يبق عندي كيمونو واحد .

وأضافت :

- ماذا تتوقع حتى تجعلنا نحتفل بالمناسبة ؟

قال الكاتب :

- هذا يومنا الاخير في هذه الدنيا . إن الامبراطور الذى لم يتكلم طوال سنوات الحرب ، سيتدخل الآن لأنه لا بد من تدخله . إنه سيدعونا الى الكفاح حتى الموت . سيطلب منا رغم القنابل الذرية أن نقدم لوطننا التضحية الاخيرة . سيدعونا للقتال مع العدو .

إذا اعوزتنا المسدسات والسكاكين فسنحارب بالايدي لنموت أبطالا .

ولكن الامبراطور يدعو الشعب الى الاستسلام والاعتراف بالهزيمة بدلا من الدمار الشامل الذى ستواجهه البلاد .

وهكذا تستمر الرواية لتصف الاعباء والاثقال النفسية لشعب مهزوم . والجيل الجديد الذى أصبح شديد الأناية ، ومدير المستشفى الذى أصبح لايهتم بجمع الكتب بل صار يجمع الاغذية المعلبة في سيارته ، والبطلة الشابة التى شوه ، نصف وجهها فلا يستطيع الانسان إلا أن يتطلع الى النصف الاخر الذى احتفظ بجماله !

وقد أثرت هذه الرواية في الشعب اليابانى لأن الابطال - او معظمهم - من المجانين الذين يلتمس القارىء عذرا لهم في كل تصرف مهما بدت غرابته .

والرواية تسخر من اليابانيين جميعا لأن الأحداث الخارجية انعكست على المستشفى والمرضى ، كما أثرت في الكاتب نفسه الذى أصابه مس من الجنون .

طبع عملة مزيفة على أحد وجهيها صورته .
وأعلن نفسه مستقلا عن بلاده ، ورفض- في بعض السنوات - سداد الضرائب لأنه
« دولة » ذات سيادة لا يخضع لليابان !

وعندما سافر الى الولايات المتحدة ليكتب عن إطلاق سفينة فضاء الى القمر اعتبر
نفسه « شحاذا القمر » لأنه يريد أيضا الوصول الى القمر فطرده من قاعدة الاطلاق في
« كيب كانافيرال » رجال القاعدة .

وقد راجت رواية « عائلة نيرى » فصدرت منها ٥٦ طبعة فاخرة و ٣١ طبعة شعبية
خلال ٢١ سنة رغم أن الرواية تصور شعبا عاقلا وكأن الجنون قد أصابه .

ولكن المؤلف رأى ان الاطار الساخر الذى وضعه يجعل الناس يضحكون من
أنفسهم لأن الحرب التى خاضوها مختارين ، ولم تفرض عليهم ، أصابت عقولهم حتى
استردوها عندما تحولوا من مجانين الى عقلاء يهتمون بالتكنولوجيا والاقتصاد والمال !



والسؤال الآن : لماذا تكتب أيها الشاب ؟

هذا هو السؤال الذى ينبغى أن يوجه الى الكتاب فى العالم العربى الذين يتطلعون
الى نشر إنتاجهم الأول فى الصحف والكتب .

والجواب صعب لا يستطيع الكاتب الناشئ أن يجيب عليه ، بل أن واحدا من
الكتاب العالمين قال :

- هذا سؤال سخيف ، ويستحق ردا أسخف .

وقال آخر - لورانس ديريل - صاحب ربايعات الاسكندرية الشهيرة :

- سؤال غبى يتطلب جوابا غبيا .

وربما يكون السبب فى هذه اجابات أن الكتاب الكبار ، الذين عاشوا طول حياتهم
يكتبون ، لم يعد لديهم وقت يضيعونه ويعطلهم عن الاستمرار فى عملهم .

وهم يرون أنهم لو حاولوا فهم السبب فى الكتابة فقد يتوقفون فى منتصف الطريق
أو قبل الوصول إلى نهايته .

ولكن ٤٠٠ من كبار الكتاب في ٨٠ دولة رأوا أن السؤال يستحق الرد ولذلك بعثوا بالجواب الى صحيفة « ليراسيون » الفرنسية التي أصدرت عددا خاصا عنوانه « لماذا تكتب » بمناسبة معرض باريس الدولى للكتاب .

وليست هذه أول مرة يجرى فيها استفتاء مماثل في فرنسا . ولكن الاستفتاء الاخير تم عام ١٩١٩ . وأجراه، الكاتب الشاعر بول فاليرى في مجلة « الادب » التي كان يصدرها واختار مائة كاتب فرنسى فحسب . . أما الآن ، بعد انتشار الاقمار الصناعية والتلفزيون ، فإن الكتاب، في كل الدول - عدا الاتحاد السوفيتى - رأوا أن يقولوا رأيهم . . لعل الجيل الجديد يفيد من هذه الآراء المتباينة .



بعض الكتاب قالوا أن الكتابة تفى ، وتحقق ، وتستجيب ، لحاجة عندهم . أو ضرورة مثل كاتب الروايات البوليسية الفرنسى جورج سيمينون الذى كتب يقول : « أحتاج للتعبير عن نفسى ، كما اعتدت أن أفعل منذ الطفولة . وأصاب بالمرض إذا لم أفعل ذلك » .

وألبرتو مورافيا الروائى الايطالى :

« أصبحت الكتابة جزءا من حياتى اليومية . إنها مثل الدورة الدموية . دخلت كيانى وعقلى وقلبى - إنها جزء من تكوينى الجسدى والنفسى أيضا - أستيقظ كل صباح أكل وأنام ليلا . والكتابة صارت مثل الطعام والنوم » .
وكثيرون أيضا عبروا عن هذا المعنى بأن الكتابة أصبحت عادة .
ولكن للبعض رأيا آخر .

الكاتب الباكستانى سلمان رشدى يرى « أنه - بالكتابة يريد أن يخترع شيئا - يريد أن يكذب » .

ونورمان ميللر الكاتب الامريكى على العكس من ذلك يؤمن بأن « الكتابة هى الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة » .

والكاتبة الروائية البريطانية إيريس ميردوك تعتقد أن « الفن قوة أخلاقية رائعة . وهى تعتقد أن الفن للفن ولا تريد بكتابتها أن تعمل عملا طيبا . . والفنان العظيم يساعد المجتمع بتقديم الحقائق وحدها » .

أما انتونى باول الكاتب البريطانى أيضا فإن هدفه من الكتابة « إعادة تشكيل العالم ، أو تحقيق النظام فيه » .

إنه يرى نفسه أشبه « بالنجار الذى يعيد تشكيل أخشاب الأشجار لتصبح ذات معنى » .

وبول ثيرو كاتب الرحلات يرضى عن نفسه كثيرا عندما يضع - على الورق-«تنظيما للفوضى العالمية» !



آخرون أكثر صدقا يرون أن الوحدة أهم حافز للكتابة .

الشاعر ألين جنسبرج يكتب القصيدة لأنه يغنى وحده .

والروائية إدنا أوبريان تحس بالوحدة ولا تجد البهجة إلا من خلال كلمات تسطرها على الورق أو تطالعها وحدها والكتابة أقرب الأشياء . . للعبادة .

والروائى الحائز على جائزة نوبل جابريل جارسيا ماركيز يعتقد أنه بالكتابة يخترق حاجز العزلة والوحدة فيزداد أصدقاؤه حبا له .

وهناك من يستمتع بالكتابة .

والبعض يجد فيها تسلية . .

وكثيرون . . كثيرون يريدون الحفاظ على الشهرة التى دامت لهم ، أو لا يريدون أن يخذلوا القراء الذين يتابعونهم ويعجبون بهم مثل كاتبة فرنسا فرانسواز ساجان التى اشتهرت بكتابتها الأول « مرحبا أيها الحزن » .

قالت ساجان صراحة إنها مدلهة بحب الكتابة ولا يمكنها القيام بعمل آخر .

والكاتب المسرحى البريطانى الذى اشتهر بفن اللامعقول « سامويل بيكيت » يكتب لأنه لا يستطيع السباحة .

وعدد من الكتاب أكد أنه يريد أن يترك أثراً . إن الموت فناء والكتابة ستبقى طويلا مثل الكاتب الالمانى ستيفن هيرمان ، يبحثون عن الخلود .

والروائى البريطانى جراهام جرين يختلف عن الكثيرين . يعتصر أفكاره عندما تنضج فيصحبها على الورق . الكتابة بالنسبة إليه « حالة غليان عقلى لا بد أن يتساقط بخار الافكار حروفا وكلمات » !

وارتبطت الكتابة في العالم الثالث بالتعبير عن قضايا سياسية . . .
في أفريقيا ارتبطت الكتابة أثناء الاحتلال بالدعوة إلى الجلاء . . .
وبعد الاستقلال كانت الكتابة تعبيرا عن رغبات الشعوب وأهدافها في التنمية
وصولاً إلى الرخاء .

وفي جنوب أفريقيا مثلاً فإن الكتاب يسعون إلى القضاء على التفرقة العنصرية التي
حتمت عليهم النضال بالكلمة .

ومعظم كتاب العالم النامي يكتبون ليعبروا عن هؤلاء الذين لا يستطيعون التعبير
عن أنفسهم . . لأنهم أميون ، أو خاضعون لرقابة صارمة ، أو لأنهم في ساحات قتال
حوطهم رصاص يتطاير وصواريخ تنفجر ولا بد لهم من كاتب يغنى أمنياتهم .



ومن المؤكد أن كل هذه الاجابات تختلف تماما عن الروح التي بدأ بها علم أو فن
الكتابة عام ٨٥٠٠ قبل الميلاد كما نقول بعض الآثار ، أو عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد كما
نقول آثار أخرى .

في البداية كانت الكتابة تعبر بصورة الاشياء والاشخاص . . فصورة القدم تعبیر
عن المشى

وكانوا يعبرون عن العواطف بالرموز .

وظلت اللوحات التي حفرت على الطمي في بلاد الشرق الاوسط وبالذات مصر
والعراق وإيران تشير إلى صفقات تجارية أو لبيع الاراضى .
وتقدم الانسان ليبتكر رموزا لصوت الكلمة أو مقاطعها .

ولم يخطر ببال كل هؤلاء المخترعين المجهولين أنه سيجيء اليوم الذى سيتخصص
فيه ألوف وملايين الأفراد للكتابة .

ولقد ذكر البعض في رده على أسئلة المجلة الفرنسية أنهم يكتبون لسداد التزاماتهم
المالية . . للطعام والشراب والمسكن وسداد الفواتير والوفاء بمتطلبات الحياة .

والكاتب الشاب الذى لم يحترف الكتابة بعد مطالب بالخذر من أن يكتب
ليعيش .. ويأكل .

إن الكاتب الشاب قد يسعى لتقليد الآخرين .

وبعد فترة من الزمن لا يستطيع الكاتب الشاب القيام بأى عمل آخر فيضطر الى
مواصلة الكتابة باعتبارها طريق الحياة الوحيد ..

روشتة أدبية

مشى إلى المستشفى في ببطء فهذا يومه الأول كطبيب .
كان في حيرة لا يعرف كيف يمارس عمله ، رغم ما تلقاه محاضرات ونظريات ،
ودروس في علوم النفس والتشريح .

دخل مكتب رئيسه تتعثر الكلمات على شفتيه ، من أين يبدأ ، وكيف يبدأ .
لم تكن أمامه فرصة ليتكلم فقد وجد الطبيب يصرخ فيه قائلاً :
- لماذا تأخرت ؟

قال :

- بل جئت في موعدي . . ياسيدى .

استمر الطبيب يصرخ :

- ألا تعرف أنى مرتبط بموعد سابق .

قم أنت بفحص المرضى ، وإذا لم تجد علاجاً . قل لهم أن يحضروا في هذا الموعد
من الأسبوع القادم .

ونادى الممرضة قائلاً :

- أحضرى له حصيلة اليوم .

وانصرف ليتركه جالساً بمعطفه الأبيض أمام مكتب صغير وضعت فوقه الأسئلة
التي ينبغى أن يوجهها للمرضى . . وما أكثر هذه الأسئلة فهو طبيب نفسى .

دخل المريض الاول فوجه اليه السؤال الاول :

- شكواك ؟

- زوجتى .

لم ينتبه الى الجواب فوجه السؤال التالى المدون فى الأوراق :
- تاريخ المرض .

قال الرجل :

- إنها تستيقظ فى منتصف الليل ، تضىء الحجرة وتظل تروح وتجيء فى الشقة الصغيرة وأخيرا توقظنى لأنها تسمع أصواتا ولا ترى أصحابها .

وقد احتملت كثيرا ، ولكنى عاجز عن مزيد من الصبر . . يادكتور .

وجد الطبيب فرصة للخلاص . قال :

- أحضر زوجتك فى الاسبوع القادم لأستمع إليها .

قال المريض :

- إنها معى فى الخارج .

لم يجد مفرا من استدعائها فطلبت الانفراد بالطبيب لتقول له :

- زوجى . يوقظنى فى منتصف الليل لأنه يسمع أصواتا من بعيد . عاجله وأنقذنى يادكتور .

قال لها :

- موعدكما الاسبوع القادم .

وكتب فى الدوسيه :

- من منها المجنون . من يقول الحقيقة ؟

وقال فى تشخيص المرض :

- كلاهما يشكو من أرق الآخر .

وانطلق هاربا من المستشفى الحكومى يحدث نفسه قائلا :

- إنها عجوزان ولم يقولوا « ياوحدى » بل قالوا : يادكتور .

لقد صرت طبيبا منذ يومى الأول .



هذه لقطة من كتاب « جرعة قوية من نفسى » للطبيب الأديب داني أبى يصور فيها ذكريات يومه الأول كطبيب .

وقليل من الاطباء كتبوا مذكراتهم عن هذا الحدث الهام فى حياتهم لأن الاطباء والادباء والفنانين قليلون .

هذا هيكتور برليوز الموسيقى الفرنسى الذى هرب من الامتحان الشفهى للطب ليتفرغ للموسيقى يصف تردده ، وحيرته ، بين مهنته وهوايته . يوم وصوله إلى باريس ، فقد تعهد لأبيه أن يمارس الطب فى باريس وأن يهجر الموسيقى .
صحبه زميل الى المستشفى الذى يقع فى البدروم .

وقبل وصولها اشترى الزميل جثة أخذ يمزق أطرافها والرأس والجمجمة ففزع برليوز من المكان والرائحة وأنطلق إلى بيته وكان الموت فى أعماقه .

جاء زميله يحاول اقناعه بالعودة ولكنه رفض فلم يعد فى قدرته أن يدرس التشريح أو يدخل المستشفيات القذرة ويسمع صرخات المرضى وأنين الموتى .

ولكن زميله أقنعه بسخافة خططه وطلب منه العودة مرة أخرى إلى بيت الموتى :
المشرحة !

عاد .

ولاحظ أنه تغلب على الصدمة الأولى بعد ٢٤ ساعة . لقد عبر الأزمة وبدأ يستمتع بالعبث فى صدر إنسان ورثتيه .

قال صاحبه :

- أصبحت متحضرا .

أجاب بسخرية .

- متحضرا للغاية !

وألقي بكتف الميت إلى فأر !

واستمر يمارس التشريح ثم توقف ليفكر فى صاحب الكتف .

وكان توقفه طويلا فقد انتهى إلى أن يلقي بنفسه قلبا وروحا فى عالم الموسيقى .



وكل كاتب وكل أديب ، لابد أن يكتب في بعض رواياته عن المرضى . فبطل الرواية ، أية رواية ، يصبح مريضاً في فترة من حياته يضع نفسه بين يدي الطبيب وينظر إليه بثقة ورهبة .

ومسيرة الحياة يقطعها دائماً طبيب .

والأدب والفن يتعرض دواماً للطبيب، يصفه بالمثالية ، في أغلب الأحيان ، ويقدمه شريراً أو شيطاناً في مناسبات قليلة .

وفي أحوال نادرة سخر الأدب - في عبث - من الاطباء ا

ولو جمعنا ما قاله الأدباء عن الاطباء والمستشفيات عبر العصور فإننا نجمع تاريخ الطب من وجهة نظر أدبية .

في رواية « دكتور زيفاجو » التي كتبها الأديب الروسي بوريس باسترناك الحائز على جائزة نوبل أرخ للثورة الروسية من وجهة نظر طبيب درس الطب أربع سنوات .

وفي الرواية وصف لفترة الدراسة عندما تهز عمليات تشريح الجسد الانساني الطالب الحديد ، لأول مرة ، فيتساءل عن قصص الحياة المجهولة للموتى الذين يفحص جثثهم .

ويجد الموت شيئاً عادياً في حجرة التشريح التي أصبحت بيته ومقره وحياته كلها .

ويقرر أن يستقر على دراسة الطب لأن الرجل يجب أن يقوم بشيء عملي في حياته بدلاً من الفن والخيال !

ومن خلال الدراسة يتساءل لا عن لغز الحياة ذاتها ، فالإنسان يحيا بقلبه وجهازه العصبى ، ويدرس حركة الأرض والسماء ، ولكنه لا يرى قلبه أو جهازه العصبى ولا يعرف الجغرافيا الخفية لجسمه البشرى .



ومن قديم والطب يمثل فصلاً من فصول الأدب ، أو أن الادب شاهد على الطب .

هذا أفلاطون فيلسوف الاغريق القديم يصف نوعين من الاطباء وجددهما في زمانه ..

الاول الطبيب الذى يعالج العبيد . إنه لا يستمع اليهم . الحديث من طرف واحد فحسب .

يقوم الطبيب بالتشخيص وتحديد العلاج من خلال تجاربه القديمة وكان لديه معلومات وثيقة عن كل شىء .

والثانى طبيب الاحرار الذى يستمع للمرضى بعناية . ولكنه يحدثهم طويلا عن الجسد الانسانى وكيف يعمل . يحاول إدخال الطمأنينة إلى قلوبهم ولكنهم لا يريدون أن يتعلموا الطب فهم يبحثون عن الشفاء . . فحسب . وهذا هو الكاتب الشاعر الألماني جوتة .

إنه أحد الأدباء القلائل الذى كان ظمأنا للمعرفة فشهد عمليات التشريح حتى لا ينفر من شىء . وحضر دروسا طبية ليعرف الإنسان فى حالات ضعفه فيحسن وصفها .

وقليل من الادباء فعلوا ذلك ولكن جوتة رأى أنه لا يستطيع أن يصف المرض دون أن يعانيه أو على الاقل يرى بعض المرضى .

وهذا هو برنارد شو الكاتب الايرلندى الساخر يصف منذ أكثر من نصف قرن ما أصبح إهمالا شائعا من بعض الاطباء .

ففى مسرحيته « ورطة طبيب » يروى بالحوار قصة طبيب استأصل « أحد الجيوب » لمريضة فرأت شقيقتها أن تستأصل « جيبا » دون أن يكون لديها ما تعانى منه وتقاسى . أجرى الطبيب العملية ساخرا عاتبا ضاحكا ففتح معدة سيدة سليمة ولكنه وهو « يخيظ » الجرح تذكر أن الممرضة نسيت قطعة من الإسفنج فى معدة المريضة !



ولعل الكتاب الروس هم أكثر الذين كتبوا عن الأطباء نظرا للأحوال السيئة التى مر بها المجتمع الروسى .

هذا أديب روسيا الكبير تورجنيف يروى حالة الطبيب الذى يرى أمامه مريضا تزداد حالته سوءاً فيفقد الثقة بالنفس .

إن المريض فى هذه الحالة يهزم الطبيب فتتلاشى ثقته بالنفس . ويصبح خائفا ينسى كل ما تعلمه .

والمريض لم يعد يثق بطبيبه ، وأسرة المريض تفتن لذلك فتهامس .
ويعود الطبيب إلى كتبه ومراجعته يفتش فيها ، ويجرب علاجا بعد الآخر ، دون
جدوى .

يرى أمامه انسانا يموت ولا يستطيع إنقاذه . وقد يستطيع طبيب الوصول الى الداء
والدواء .

ويفكر الطبيب فى الاستعانة بزميل ولكنه يخاف الفضيحة . يخاف أن يتحدث
الجميع عن فشله فيعزى نفسه قائلا :
- لا تهتم .

ويموت المريض .

ويستمر يواسى نفسه :

- ليس هذا ذنبك . لقد اتبعت القواعد .

ولكن الطبيب ، فى أعماق نفسه ، يعرف أنه عندما يثق الناس به ثقة عمياء فإنهم -
مثله - عاجزون .

وأنطوان تشيكوف الكاتب الروسى الكبير فى روايته « عنبر رقم ٦ » يصف
مستشفى القرية .

إنه فى حالة يرثى لها . المرضى والمرضون والخدم ينامون فى نفس العنبر والجميع
يأثسون .

المشرف على المستشفى يسرق المرضى . والطبيب يبيع الدواء . والسكان يرون
هذا ويرددونه بمبالغات كثيرة ولكنهم يتقبلون الأمور بهدوء .

ويبرر المسئولون لأنفسهم هذه الأوضاع قائلاين :

- العمال والفلاحون هم الذين يتوجهون الى المستشفى بدلا من البقاء فى البيوت
وهى أسوأ كثيرا من المستشفى .

ويقرر الطبيب إغلاق المستشفى وطرد المرضى فهذا هو الحل الوحيد .

ولكن الطبيب يجد أن هذا الحل لا يخدم هدفا ، فما دام الناس قد قبلوا هذا المستشفى
فمعنى ذلك أنه ضرورى لهم .

ويقبل الطبيب الأوضاع كما هي ، فالقدارة ، والخرافات ، والمخالفات ، ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها إذا حققت هدفا مفيدا .



ولكن ألكسندر سولجنشتين الكاتب الروسى المعاصر ينظر إلى الطب والاطباء من وجهة نظر أخرى .

أمامه مريض فشل علاجه عاما بعد عام .

كسرت عظام ظهره وأصبح أمله أن تلتحم العظام وتلتئم مرة أخرى ليقول لزوجته :

- أصبحت سليبا . يمكننى المشى الآن .

وكل المرضى يؤمنون فى أعماق قلوبهم بأنه يوجد طبيب ، أو ساحر عجوز ، يملك الدواء الذى ينقذهم !

والأقوياء والأثرياء يضحكون عندما نحدثهم عن المعجزات فهم لا يؤمنون بها .

ولكن فى لحظات ضعف الانسان ، وخوفه ، وفقره ، ومرضه ، يظل يحلم بالمعجزة ، يعيشها ينتظرها ويتعلق بها .

إنه يؤمن بالمعجزة لأنه فى حاجة إليها .

وقد ظل الموسيقى العالمى لودفيج فون بيتهوفن ينتظر المعجزة ست سنوات كاملة .

أخذ يخدع نفسه أملا فى الشفاء .

ولم يستطع أن يقول للناس :

- ارفعوا أصواتكم . اصرخوا أمابى فىنى لا أسمع . إنى أصم .

لقد رفض أن يعترف بضعف حاسة السمع فإن هذه الحاسة بالذات يجب أن تكون مكتملة عنده وأقوى من الآخرين .

فشل العلاج ولم يستطع الاختلاط بالناس والاندماج بينهم . وعجز عن الاستمتاع بأجمل مافى الحياة وهو الحوار والحديث والهمس بثقة ومودة للآخرين .

أصبح خائفا وهو فى صحبة الناس .

نصحه الطبيب أن يتخلى عن حاسة السمع أو يستغنى عنها فإن هذا العجز سيظل دائما مزمنًا .

كتب عليه أن يعيش منفيا وأن يبقى ذليلا في صحبة الناس عندما يستمع الآخرون الى لحن يأتي من بعيد ، وصوت الراعى يغنى ، أما هو فلا يسمع لحنا أو صدى لكلمات الراعى وموسيقاه اليومية .



إن كثيرا من الأدباء كتبوا عن الاطباء المرضى دون أن يدخلوا مستشفى أو يروا عنبرا أو تسمح لهم الظروف بدخول غرفة العمليات .
وكثير من المخرجين والممثلين قاموا بتقديم أفلام وأدوار مماثلة دون تجربة حقيقية أو معاناة .

ويوجد عدد محدود من الأطباء العرب كتبوا مذكراتهم عن الطب أو مارسوه مثل طبيب العيون وعالم البحار الدكتور حسين فوزى، وطبيب الاسنان الدكتور التير . .
إلخ .

وعرفنا طبيبا مثل الدكتور يوسف إدريس يترك الطب ليكتب الروايات الطويلة والقصص القصيرة .

ورأينا طبيبا مثل الدكتور إبراهيم ناجى يجمع بين الاشتغال بالطب ونظم القصائد .

وظهرت نظرية جديدة اسمها التفسير الطبى للفن أصحابها أطباء - يهون الفن .
أصحاب النظرية الجديدة من الاطباء لا يشتغلون بالأدب، بل يستخدمون معلوماتهم ودراساتهم الطبية في تفسير حياة الفنانين وأعمالهم .

وهؤلاء الأطباء يقرأون كل كلمة كتبها الأدباء والشعراء ، ويطالعون ، تحت منظار مكبر ، صورهم ولوحاتهم ، للوصول إلى حقيقة التناسق بين اعضاء الجسم ، وماذا وراء ملامح الفنان ، ويدرسون أحواله وظروف المجتمع .

وهم يطالعون النوتة الموسيقية التى كتبها الملحن ، ويدرسون خطه ، وينقبون عن الكمان أو البيانو الذى عزف عليه الموسيقار لمعرفة تأثير الكمان فى حركة الفك أو العكس ، وهل يؤدي الانحناء على البيانو إلى مرض يؤثر فى الفن والفنان .

ولا يتركون اللوحات التي رسمها أى فنان دون تحليل بقصد معرفة الآثار أو النتائج الطبية لكل عمل فنى .

ومن قبل كان هناك تفسير اجتماعى للفن والأدب ، والفنان يعكس ملامح طبقتة .



قال بعض النقاد أن الشحوب الذى بدأ على وجه لوحة الجوكوندا للرسام ليونارد دافنشى يرجع إلى أن صاحبة الصورة كانت حاملا . . وكان ذلك أول تفسير طبي من نوعه ، وهدفه الوصول الى سر صاحبة الصورة وليس سر الرسام .

أما الآن فإن صاحب العمل الفنى هو موضوع التشخيص الطبى بلا تشريح ، وتحليل أو اشعة .

بدأ العلم الجديد ، أو الدراسة الحديثة المتطورة فى أسبانيا عن فنانها الكبير فرانسيسكو جويا صاحب لوحات « الأمثال » ، و « ويلات الحروب » « ومصارعة الثيران » « والمصائب » وعشرات غيرها .

أما سر اختيار جويا فيرجع إلى أن حياته التى طالت ٨٢ سنة وانتهت عام ١٨٢٨ تنقسم قسمين كل منهما منفصل عن الآخر تماما .

الجزء الأول يتوقف وعمره ٤٦ عاما عندما أصيب بالصمم فجأة . . ليبدأ الجزء الثانى والاخير من حياته .



فى القسم الاول رسم جويا لوحاته على السجاجيد واختير رساما للملك اسبانيا وكل صوره هادئة لاتفزع مشاهدا .

وبعد إصابته بالصمم نجد لوحات تثير الفزع :

نساء يحملن الكراسى فوق رؤوسهن .

أمهات يبكين بجوار أطفالهن القتلى .

مدنيون يركعون أمام معذبيهم من العسكريين .

أشخاص ذبحوا وشوهوا وعذبوا وقتلوا بالرصاص . وتحت هذه الصورة كلمات

كتبها « لماذا » و « هذا ما رأيته » و « لافائدة من البكاء » !

ولم يصور معركة عسكرية تثير الإعجاب ، بل نقل الرعب إلى كل من يتأمل اللوحات .

وقال المؤرخون إن جويبا كان يحمل مصباحه ليلا ويخرج إلى ساحة القتال بعد انتهائك المعارك يفتش جثث القتلى والجرحى ويرسم أفرادا لا مجموعات ليعكس عذاب وآلام صاحب الصورة، وتخيل رعب المشاهد الذى يراها بعد ذلك فى متحف « برادو » فى مدريد .

وقالوا أن فنه - بعد صممه - يعتبر فنا أسود .

وكان السؤال :

- لماذا تغير الفنان ؟

كان الجواب الأول :

- أصبح أصم تماما ، يشك فى كل الناس ، ولا يثق بأحد . صار أسود القلب ، وانعكس ذلك على يده وهى ترسم ، أو أصيبت يده وفنه بعدوى السواد .

وكان هذا هو التفسير النفسى للفن .

ولكن التفسير الطبى شىء آخر . . . جديد .



حدث يوما أن كسرت العربة التى يستقلها جويبا أثناء رحلة جبلية فنزل يساعد السائق فى عملية الإصلاح .

وكانت النتيجة هى تركت آثارها فيه .

وهذا هو التفسير الطبى الأول المباشر .

وقدم التفسير الثانى أطباء تخصصوا فى علاج الرسامين هذه الأيام . إنه يعد الألوان ويمزجها .

ويطحن بنفسه الرصاص الأبيض ويضيفه للألوان مما أعطى لوحاته ذلك البريق الذى اشتهرت به .

وهو يرسم بسرعة فى طوفان هادر . . أنهى لوحة زوجته فى ساعة . ويرسم ملك أسبانيا فرناندو فى جلستين .

ويستعمل في الرسم كل شيء . فرشاة . قطعة قماش ممزقة . وأحيانا يضع أصبعه في الألوان ويرسم بالأصبع نفسه .

وهو يرتدى ملابس ملوثة بالأصباغ والألوان ممزقة تلتصق بجسده أياما .
ويتسلل الرصاص الأبيض من ملابسه ، وأصبعه . وهو يتنفسه أياما متصلة .
الى جلده .

وثبت طبيا أن الجلد ، ولو بغير جروح ، يمتص هذا الرصاص .
وثبت طبيا أن العظام أيضا تمتص هذا الرصاص ، وتحتفظ به بنسبة معينة ، فإذا
زادت تصبح كفيضان الانهار . وتنتقل إلى الكلى ، والكبد ويصيبها بأمراض حادة .
إن كل لوحة أثرت في صاحبها . أبدلته إنسانا آخر ، وفنانا مختلفا .
لقد أصيب بتغيير في الشخصية واكتئاب كامل .
وإذا كان رقيقا في النصف الأول من حياته فإنه يصاب بالدوار وعدم التوازن
والاضطراب العقلي والهلوسة .

ولا يمكن أن ينجو منه من هذا كله .
إن جوبا كما يقولون دفع ثمن كل لوحة من عقله وكبده وكل جزء في جسده .



وانتقلت الدراسة ، أو النظرية من أسبانيا إلى الاتحاد السوفيتي .
لقد كتبوا كثيرا عن تأثير علاقة تولستوى بزوجته . . على أدبه . وكيف أنه في مرضه
الآخر غادر بيته واستقل القطار ليموت في بيت ناظر محطة مجهول .
ولكنهم الآن يكتبون عن تأثير الصرع على شخصيات الروائي الروسي الكبير
تيودور دستوفسكى مؤلف « المساكين » و « بيت الموتى » و « المهانون المجروحون »
و « المقامر » و « العبيط » و . . . روايات أخرى كثيرة .
ولكنهم لم يعلنوا إلا النتائج الأولية .



ومن روسيا إلى أمريكا طبقت النظرية على الشاعر . . إدجار آلان بو الذي مات
عام ١٨٤٩ في سن الأربعين .

وإدجار ألان بو ابتكر الروايات البوليسية وقدم شخصية المخبر السرى قبل انشاء
سكوتلاندا يارد فى إنجلترا ، وقبل إنشاء البوليس فى معظم مدن أمريكا .

بدأ بروايته الشهيرة « جريمة فى شارع المشرحة » عندما قدم لأول مرة جثة فى حجرة
مغلقة لا يستطيع دخولها أو الخروج منها قاتل !

ويحاول رجل الشرطة معرفة السر فى محاولة للوصول إلى القاتل وهل كسر جانباً من
النافذة ودخل الحجرة .

ولكن - السؤال هو :

- كيف استطاع إغلاق النافذة دون أن يترك أثراً ؟

وتبدأ عملية الاستنتاج والتحليل فربما تكون الجريمة قد تمت قبل دخول الجثة إلى
الغرفة أو وقعت الجريمة ساعة اقتحامها .

ومن « إدجار ألان بو » تنتقل كتابة القصص الغامضة إلى آرثر كونان دويل مخترع
شخصية شرلوك هولمز وموريس بلان مبتكر أرسين لوبين وأخيراً أجاثا كريستى وبطل
رواياتها رجل البوليس البلجيكي الشهير بوارو . . . وعشرات غيرهم .



التحق إدجار ألان بو بالجيش ودخل الأكاديمية العسكرية الأمريكية الشهيرة
« وست بوينت » وكان رياضياً يقفز من ارتفاع ٢١ قدماً ويسبح سبعة أميال ونصف
ميل .

وقد نجح فى كل شىء إلا جمع المال فعاش ومات فقيراً .

ولكنه استطاع أن يقفز بتوزيع المجلات التى عمل فيها رئيساً للتحريير ، ولكنه
طرد لا لشىء إلا لتفوقه ونجاحه .

ولقد رأى الأمريكيون أن يكون لهم مثل الفرنسيين شاعر متشرد كالغجر يشرب
حتى الثمالة ويموت سكيراً فى الطريق .

ولكن النظرية الجديدة تقول إنه اصيب بامراض نفسية نتيجة وفاة أبويه الحقيقيين
والأبوين اللذين تبنياه وكذلك زوجته .

وتقول النظرية أيضاً أنه ورث أمراضاً فى المخ عن أبويه . واصيب بحمى مخية كما

أنه عانى نقصا في بعض العصارات الطبيعية المنشطة مما أثر في كيمياء المخ وكيمياء الجسد كله !



ونظرية التفسير الطبي للفن تؤكد مذهبها عربيا قديما يقول « إن العقل السليم في الجسم السليم » .

وأصحاب النظرية الجديدة من الأطباء الفنانين أو الفنانين أو الأطباء يقولون : إن تغير المناخ يؤثر في مزاج الفنان . . شعره وكتابات ولوحاته . . وكذلك الطعام والرجيم . ولو طبقنا هذه النظرية في الأدب العربي والشعر فإننا سنشهد تفسيراً جديداً لقصائد أبي العلاء المعرى . وقد نرى « امرؤ القيس » ومئات من الشعراء والادباء والفنانين العرب من اتهامات كثيرة التصقت بهم .

وقد يطلب إلزام كل الكتاب والفنانين بفحص طبي دورى للاطمئنان على صحتهم من ناحية ، ولیدرس الأطباء والنقاد - فيما بعد - على أثر ارتفاع وانخفاض درجة الحرارة ، وضغط الدم على روايات الفنانين وأشعارهم وأنغامهم أيضا .

وسنجد أن الفنانين المجهولين الذين ملأوا الآثار بالصور واللوحات دفعوا ثمنا غاليا لكل لوحة مثل آلاف العمال الذين نقلوا حجارة الهرم الأكبر وكل أهرامات الفن والشعر والجمال !



وفي العالم العربي يوجد أطباء يتخصصون في علاج النجوم، يستريح، أو يطمئن إليهم فنان ، فيقوم بمهمة الدعاية له داخل الوسط الفني فيلجأ إليه فنانون آخرون وتصبح عيادة الطبيب ملتقى لأهل الفن .

ولكن الأمر يختلف تماما في الخارج .

شركات التأمين تصر على اختيار طبيب بالذات لا لعلاج الفنانين وإنما للتأمين على حياتهم .

والعملية لا تتم لحساب الفنانين وإنما لحساب شركات السينما التي تخشى أم يمرض فنان أو يموت فجأة لأنه يعاني مرضا حادا ؛ وبذلك ، يتعطل ، أو يتوقف ، تصوير أى فيلم فتحسر الشركة مئات الألوف ، أو عشرات الملايين من الدولارات .

ومن هنا كانت عملية التأمين أساسية حتى أنهم فكروا ، في وقت من الأوقات في كتابة اسم الطبيب على مقدمة الفيلم عند عرضه ، ولكنهم عدلوا عن ذلك لأن فيه نوعا من الدعاية للأطباء من ناحية ولأنه يصور الفنانين وكأنهم مجموعة من المرضى يحتاجون إلى طبيب قبل أداء أدوارهم !



وقد نشرت أخيرا مذكرات الدكتور رونالد سكوت ثورن بعنوان « طبيب النجوم » .

حاول ثورن عند فحصه للنجوم أن يعرف ما إذا كانت هناك ملامح مميزة أو خصائص معينة للفنانين فلم يجد . ولكنه لاحظ ظاهرة عامة يشتركون فيها جميعا وهي أن كلا منهم حريص على أن يبدو لائقا طبييا ، وأن يجد الرأي العام في شخصه إنسانا فنيا مهما تقدم به العمر .

وفي حياته الخاصة قد يكون الفنان عصبيا أو مريضا ولكنه أمام الكاميرا إنسان آخر قوى البنية ، يقاوم المرض بالمنافسة حادة في عالم الفن .

يبدأ الطبيب بسؤال الفنان عن الأمراض المزمنة له ولأسرته وهل سبق لأحدهم أن تعرض لأزمة قلبية .

ولا يهتم الطبيب بإصابة الفنان بمرض السكر مادام تحت الرقابة ، ولا تعنيه زيادة الوزن أو الأمراض المزمنة . . وكل ما يهتم به أن يتنبأ بأن الفنان سيعيش شهرا كاملا فحسب ، وهو مدة تصوير الفيلم ، أما إذا مات الفنان بعد انتهاء التصوير مباشرة فهذه مسألة تهم أسرة الفنان والورثة لا الطبيب .

حدث أن سأل الطبيب ثورن الفنان بيتر سيلرز عما إذا كان في صحة جيدة فوقف على رأسه ليثبت أن صحته على خير ما يرام .

وسأل الفنان جون وين عما إذا كان على ما يرام فقال وين :

- هأنذا أمامك . . . الرجل السليم .

ويدا جون وين شديد الغرور .

ولكنه مات بعد عامين .

وجاءته الممثلة زازا جابور ومعها كلبها .

قالت :

- أرجو أن تبدأ بفحص كلبى أولاً .

اعتذر قائلاً :

- لست مختصاً بفحص الكلاب .

وخشى أن تغضب فأضاف :

- ولكن قريباً لى تخصص فى الطب البيطرى .

ووصلت إلى العيادة أنيتا أكبرج ومعها أحد أزواجها السابقين ، أما جيمس ماسون فجاء معه زوجته .

وطبيب النجوم يمارس عمله فى أماكن عديدة ينقل إليها كل أدواته الطبية ، جهاز رسم القلب والأشعة . . إلخ .

أحياناً يفحص الفنانين فى حجراتهم الخاصة فى الفنادق فيقطع عليه عمله رنين التليفون .

حدث أن وضع الترمومتر فى فم « ماريا كالاسن » مغنية الأوبرا عندما دق جرس التليفون فأخذت تتكلم باللغة اليونانية والترمومتر فى فمها .

وهو يفحص الفنانين فى ممرات القطارات والطائرات والسيارات وأى مكان وكل الأمكنة .

أراد يوماً أن يعرف . هل يفوق أورسون، ويلز من الخمر لىستطيع التمثيل فسأله :

- ماهى الأفلام الثلاثة الأخيرة التى مثلتها ؟

قال :-

- ماكبث وهاملت .

ثم توقف وقال :-

- لماذا أجيب على هذه الأسئلة الغبية ؟! اخرج !

وطرده من الغرفة .

وجد الطبيب على الباب مندوب الشركة المنتجة فروى له القصة .

قال الرجل للطبيب :
- انتظر . . سأحاول .
وبالفعل نجح في إقناع الفنان الذي استقبل الطبيب قائلاً :
- أنا مدين لك باعتذار .
قال الطبيب :
- كلنا لدينا أيامنا العصية .
وأعاد سؤاله عن الفيلم الثالث فلما ذكره قال الطبيب :
- إنه فيلم لا يليق بك ولهذا امتنعت عن الاجابة .
قال أورسون ويلز :
- الإنسان يجب أن يأكل . . وقد اضطررت لتمثيله !
ووجد الطبيب ثورن الممثل أنتوني كوين ومعه مصمم الأزياء يجرى بروفة لبدلته
الجديدة .

قال مصمم الأزياء للفنان ردًا على ملاحظته :
- أكتافك ليست عريضة .
ثار أنتوني كوين وأخذ يصرخ :
- أنا أكتافي ليست عريضة ؟!
وخلع ملابسه ليفحص الطبيب أكتافه قائلاً :
- ما رأيك يادكتور ؟!
اضطر الطبيب للمجاملة بينما صرخ كوين في مصمم الأزياء :
- خذها . . واصنع بدلة أخرى فهذه لا تصلح لي .
وقال للطبيب :
- ذلك الرجل لا يحسن عمله .
وجاءه فنان أخذ يقول :

- اشترت أول سيارة رولزرويس .

وفي كل لحظة كان يترك الفحص ليشاهدا معا السيارة من النافذة .

وفي مرة تالية أراد الطبيب مجاملته فسأله عن السيارة . قال الفنان :

- بعته لأنها لا تناسب كلبى .

والطبيب يرى جوانب غريبة من حياة الفنانين .

عندما عادت « ريتا هايوارث » إلى التمثيل بعد سنوات من الغياب سمعت مساعد المخرج الشاب يقول متسائلا :

- من هي « ريتا هايوارث » ؟

لم تستطع التمثيل ولزمت غرفتها وادعت أنها مريضة فلما فحصها الطبيب وجدها تبكى لأن الناس تنكروا لها والشركة المنتجة لا تعاملها كبطلة بل تعاملها كممثلة ثانوية .

قال الطبيب بركة إنها لاتعانى مرضا ويجب أن تمثل . . فوافقت ووعدت بالتمثيل فى اليوم التالى .

ولكنها كانت قد فقدت الثقة فى نفسها فتركت الاستوديو والمدينة كلها وسافرت بعيدا فأقامت الشركة دعوى ضدها لأنها فسخت العقد .

حدث يوما أن كان الطبيب يفحص الفنان « فيكتور ما تيور » عندما وصل المخرج ليقول للفنان :

- لا بد من لقطة تحارب فيها أسدا .

صرخ الفنان واعتذر .

قال المخرج :

- سنخدر الأسد .

قال الفنان :

- أبداً .

قال المخرج :

- إنه أسد عجوز نزعت أسنانه .

قال الفنان :

- سيعضنى باللثة وحدها .

وظل الفنان يرتجف والطبيب يفحصه دون أن يشكو مرضا حتى تعهد المخرج أن يقف بجواره ليلتهمه الأسد أيضا !



فحص الطبيب « نورث » ألوف الفنانين ولم يرفض خلال أربعين سنة التأمين إلا على ثلاثة من الفنانين .

حدث أن كان يفحص الفنانة « كاترين هيبورن » فوجدته في حالة إعياء . قالت :

- أنت مريض .

قال :

- زوجتى تركتني بعد ٢٥ عاما من الزواج السعيد .

وأخذ يبكي . . فلما سألته :

- من المخطيء ؟!

قال :

- أهل الفن جميعا .

و « ثورن » في صباحه كان يملاً جدران حجراته بصور أجمل الفنانات فلما أصبح طبيبا قال في ختام مذكراته :

« من يصدق ذلك . . أراهن عراة وأتقاضى عن ذلك مالا ضخما . . من شركات التأمين » !

المرأة وأدب الجريمة

كان العالم على وشك الانفجار .

وضع السوفييت صواريخهم في كوبا ، وهدد الرئيس الأمريكى جون كيندى بإعلان الحرب . وحاصرت السفن الامريكية شواطىء كوبا . وأخذ خرشوف يهدد ويتوعد قبل أن يتراجع .

في عنفوان هذه الازمة الدولية قصد محرر أدبى إلى جون كيندى يسأله :

- ماذا تقرأ هذه الايام ؟

توقع الصحفى أن يقدم الرئيس الامريكى كتباً سياسية ، وعسكرية ، وامتنع إلا عن قراءة التقارير الرسمية . ولكن كيندى قدم مفاجأة . قال :

- أفضل في هذه الأيام ، وفي كل وقت الكاتب إيان فلمنج على كل كاتب آخر .

نظراً إليه الصحفى في دهشة وقال :

- فلمنج مؤلف روايات جيمس بوند ؟ لا بد أنك تضحك منى ياسيدى الرئيس .

قال كيندى :

- إنى جاد كل الجد . هذا هو كاتبى المفضل .

وقبل ذلك قال إبراهيم لنكولن الرئيس الذى اشتهر بأنه محرر العبيد الأمريكين :

- أقرأ إدجار ألان بو . . الكاتب الأمريكى البوليسى .

وودرو ولسون الرئيس الذى أعلن مبادئ حق تقرير المصير للشعوب في الحرب

العالمية الأولى كان يقرأ لروائى بوليسى اسمه فليشر .

وفي المرات القليلة التى تحدث فيها جوزيف ستالين الديكتاتور السوفييتى الدموى

قال إنه ، مثل لنكولن ، يقرأ روايات إدجار ألان بو .

ولا يظن القارئ أن الروايات البوليسية هي الهواية المفضلة للرؤساء في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي فحسب . . بل إن الروايات البوليسية تمثل ربع الروايات المباعة في العالم ، يقرأها أطفال المدارس ويخفونها داخل الكراسيات والكتب المدرسية ، وتطالعها الأمهات العاملات ، لأنها تعطى الجميع حالة من الاسترخاء . . وأطلق عليها البعض تعريفا بأنها « أدب الهروب » .

وقال آخرون :

- الرواية البوليسية ليست أدبا على الإطلاق .

ولكن كتاب هذه الروايات دافعوا عن أنفسهم قائلين :

- كل الآداب العالمية تقريبا تعتبر أدبا بوليسيا وإن لم يقبض رجال الشرطة على أحد أو يحاكم القضاء متهما .

وأضافوا :

- المتهم يعترف أمام رجال الشرطة في الروايات البوليسية . . وفي الروايات الأدبية الأخرى يعترف البطل بذنبه لنفسه أو لآخرين ليست لهم صفة الضبطية القضائية !

ولا يحاكم المتهم أمام القضاء ، ولكن ضميره هنا هو القاضى .

وقال الذين يعارضون هذه النظرية :

- لا يوجد أدب في الروايات البوليسية . والشخصيات ليست أدبية . والعمل غير

فنى .

واختلاف الآراء لا يلغى حقيقة رواج الرواية البوليسية في كل الدنيا .



في المؤتمر السنوى الاخير لكتاب الروايات البوليسية في نيويورك قال الكابتن بيتر مارتن أن كل إنسان يمكن أن يكون كاتباً للروايات البوليسية ، وأن الصدفة وحدها دفعته لأن يكون أحد هؤلاء الكتاب .



لم يجد رجال الشرطة أحدا في دار السفارة البريطانية في طوكيو سوى المستشار الثقافى فاتصلوا به قائلين :

- يوجد قتيل من بلادك فنرجو الحضور للتعرف عليه .

قال المستشار الذى يرأس فى نفس الوقت المركز الثقافى البريطانى :

- وما شأنى أنا بالقتيل ؟

قال مفتش الشرطة :

- لا يوجد فى دار السفارة سواك فى الوقت الحاضر ، فنرجو حضورك . مجرد إجراءات شكلية .

ومرة أخرى رفض رجل الثقافة الحضور، فقد وصل حديثا ولا يعرف أحدا من الإنجليز يعيش فى اليابان .

ولكن إزاء إصرار الشرطة توجه إلى مكان الحادث . شاهد الجثة وأداة الجريمة وفزع من هذا كله واضطرب وكاد يغمى عليه .

اضطر رجل الشرطة الى إرساله لمستشفى فبقى فيها يومين عرف خلالها أن القتل لم يكن بريطانيا بل أمريكيا كما اتضح من الأوراق التى وجدت فى جيبه ، فتوجه لمفتش الشرطة يعاتبه لأنه أرهقه ، وأرقه ، بلا مبرر .

أخذ الضابط يعتذر والمستشار الثقافى يلومه حتى هدأ ثم توجه بيترمارتن عائدا الى بيته .

استعان بحبوب منومة دون جدوى . واخيرا أشرفت فى رأسه كلمة قالها مفتش الشرطة وهو يودعه :

- انها تجربة لن تتكرر فى حياتك .

قال رجل الثقافة لنفسه :

- مادامت لن تتكرر فسأكتبها على الورق .

وكتبها صفحة من مذكراته ، ثم رأى أنها تصلح قصة قصيرة حولها إلى رواية وبعث بها إلى إحدى دور النشر فى لندن التى رفضتها على الفور قائلة :

- لا تصلح .

لم يهدأ بيترمارتن ، ولم يتوقف . كتب رواية أخرى تدور حول مفتش شرطة يابانى

اختار له اسم « أوتاني » - وهو اسم أحد فنادق طوكيو- يفتش عن المجرمين الأجانب في بلاد اليابان ، يتعقبهم ، وقبض عليهم في نهاية الرواية .
وكانت فكرته بسيطة .

إن « آرثر كونان دويل » ابتكر شخصية شرلوك هولمز رجل الشرطة البريطاني الذي يعمل لحسابه ، أى لا يعمل في شرطة لندن أو سكوتلاند يارد أو الشرطة البريطانية كلها ، بل هو مخبر خاص يستعين به الجميع .

و « جورج سيمينون » الكاتب الفرنسي صنع شخصية ضابط الشرطة الحكومى « ميجريه » .

والكاتبة « أجاتا كريستى » اعتمدت كل روايتها البوليسية على الضابط « بوارو » البلجيكي العجوز المغرور الذى لا يفلت مجرما واحدا من العقاب .

ورأى بيتر مارتين أن يقدم الضابط اليابانى بطريقة أخرى . إنه موظف حكومى يابانى ، من الجيل القديم ، الذى يحب زوجته ويصحبها معه فى العطلة الصيفية إلى الفنادق التى يقضى فيها العاشقون الاجازات الغرامية فينتقده الناس ثم يفاجأون فى النهاية بأنها زوجته !

وهو يصف الاتجاهات الجديدة فى الجريمة فى اليابان من خلال جريمة غريبة يقدم خلالها أحوال المرأة ، وحفلات الشاي ومسارح العرائس والكوارث الطبيعية من فيضانات وزلازل .

إن كل ما عاشه من تجارب ثقافية وفكرية ، وكل ما تعلمه بحكم منصبه كمستشار ثقافى يقدمه فى روايات عن الجريمة ، وبذلك اختلفت كتبه عن كل مؤلفى الروايات البوليسية الذين تدور صفحات كتبهم حول تقديم المتهمين والبحث فى أعماقهم المريضة ، أما هو فإنه يقدم صورة كاملة للمجتمع ، وبالذات من خلال اللوحة الثقافية التى يعرفها تماما .

إنه رجل فكر يريد أن يرفه عن القارئ الذى لا يعرف اليابان . وفى الوقت ذاته يريد أن يعرف هذا القارئ شيئا أساسيا عن ملامح الحياة الثقافية والاجتماعية فى اليابان .

وانتظر مارتين حتى سافر عائدا إلى بلاده فى أجازة فتوجه إلى أحد الناشرين الكبار .

قال له :

- لقد نشرتم لي مع زوجتي كتابا مشتركا اسمه « الطهي في اليابان » فهل تنشرون روايتي البوليسية .

قرأها الناشر ثم رفضها .

وفي الإجازة التالية توجه إلى ناشر آخر فرفض روايته الثالثة .

وأراد الناشر أن يعتذر قائلا :

- معلش ربما نقبل رواية أخرى لك . حاول .

قال الكاتب :

- معك الحق . لقد حاولت .

وأخرج من حقيبته رواية رابعة كان قد كتبها وأخفاها .

ولم يستطع الناشر الا أن يطالعها بعناية ثم قبلها ونشرها .

وخلال السنوات الثمان الماضية نشر بيتر مارتين ثماني روايات بوليسية باسم مستعار هو جيمس ملفيل ، لان عمله الدبلوماسي في اليابان أرغمه على ألا يكتب عن بلد يعمل فيه باسمه الحقيقي !

ولما اعتزل العمل الدبلوماسي كان اسم الشهرة المستعار قد عرف فلم يستطع أن يتخلى عنه .

وعندما استقال من الوظيفة أخذ يزور اليابان مرة في كل عام يجوب خلال الشوارع الخلفية ، ويدخل الأزقة ، ويلتقى بالمساجين ، ويشهد ، مع مترجم جلسات محاكم الجنايات ويحتزن هذا كله ثم يعود إلى وطنه يكتب روايات بالإنجليزية تترجم الى اللغتين الألمانية واليابانية ، فقد وجد الناس أن خيط الجريمة الذي يلم شمل الرواية ويربط احداثها لا يمنع أبدا من الإحاطة ببعض الفكر وتقديم أشهر الكتاب والافلام والمسرحيات والحياة العائلية في اليابان .

والعجيب في الأمر أن اليابانيين أنفسهم لم ينجحوا في أدبهم في تقديم ضابط شرطة له شهرة عالمية . أما مارتين ، أو جيمس ملفيل ، فإن بطله يجمع بين مزايا كل الشخصيات البوليسية التي عرضها العالم ، ولكنه يختلف عنهم في عدة أمور .

إنه يعرف التطورات الجديدة التي وقعت في اليابان ، وأدت الى تغيير السلوك الاجتماعي . ولذلك فإن رواياته تقدم الرجل اليابانى الذى يجب عمله أو يدمن عمله . يغادر بيته مبكرا ويعمل حتى ساعة متأخرة ولا يتحدث عن هذا العمل أمام زوجته وينتظر منها وجبة جاهزة وحماما ساخنا ينتظره عند عودته إلى البيت ، وفى الوقت ذاته ، تقدم الرواية نفسها المرأة اليابانية التى لم تعد تمشى خلف الرجل كالجارية بل تعمل مثله وتنافسها !

وبيتر مارتين درس الفلسفة فى جامعة لندن وظل ٢٣ سنة يعمل مدرسا ومستشارا ثقافيا فى أندونيسيا والمجر واليابان .

وفى بداية حياته كان يأمل أن يؤلف كتبا فى التعليم أو الفلسفة . ولم يخطر بباله يوما أن يدخل قسما من أقسام الشرطة أو يقرأ رواية عن الجريمة . وبالتالي لم يفكر أبدا فى تأليف قصة بوليسية .

وعندما سئل عما إذا كانت فكرة الروايات البوليسية قد اختمرت يوما فى عقله وهو لا يدري .

قال :

- أبدا .

فى مؤتمر نيويورك قال الكتاب أعضاء المؤتمر :

- تجارتنا ، أى السلعة التى نبيعها ، هى الطمع والحقد والانتقام والغيرة والحياة .
سئل أحدهم :

- هل تحس بهذه العواطف ، أو هل تمارس هذه الرذائل أو الخطايا ؟

قال :

- أنا مثلكم جميعا . لا أقوم بهذه الأعمال المخيفة والجرائم الرهيبة ، إنى أحس بها على الورق فحسب .

وقال آخر :

- أسرق الصابون من الفنادق وأقود سيارتى بسرعة ، وهذه ، فيما أعلم ، جرائمى !

وتحدثوا في المؤتمر عن أسلوبهم في الكتابة .

بعضهم يبدأ الكتابة وفي رأسه عقدة الرواية .

والبعض يحدد الأشخاص أو الفصول .

والبعض يحدد مكان الأحداث .

وهناك من تكتمل في عقله الرواية كاملة بحيث يستطيع أن يكتب الفصل السادس مثلا قبل أن يكتب الأول، وهكذا ثم يعيد ترتيب الرواية .

والبعض يمسك القلم وعنده مجرد فكرة غامضة مبهمة ولكنه يكتب متمهلا ثم تتابع الاحداث ، أو تأتي اليه مع كل فصل .

وقالوا :

- الأدب البوليسى ، إن صحت هذه التسمية ، تغير أو يجب أن يتغير . إنه الآن يدور حول الجرائم الاقتصادية فقد أصبح الناس جميعا ينجحون إلى المال يفهمون أموره ويعرفونها، ولذلك ظهرت الروايات البوليسية المالية . وجاء العقل الاليكترونى بجرائم جديدة ، ثم الارهاب والخطف والجرائم السياسية، ولكن لا بد أن تدور موضوعات الجريمة الجديدة حول العصر النووى والمجرمين في زمن حرب النجوم .

وقالوا :

- الجريمة أسبابها محدودة ولكن وسيلتها لم تعد محدودة، ومن هنا فإن كاتب الرواية البوليسية أصبح مثل كاتب الرواية العملية، أو يجب ان يجمع العلم بالجريمة ويكتب الجريمة بأسلوب علمى مثير .

وتحدثوا عن فكرة الرواية ، ومن أين تجيء وهل ترتبط بحياتهم الشخصية أم لا .

قالت إحدى السيدات :

- دخل يوما لص وسرق بعض مال فى بيتى . وقد تخيلت الجريمة . وبنيت عليها رواية .

وقال كاتب :

- نأخذ من حياتنا الشخصية فكرة المكان .

وقال ثالث :

- انظر إلى الاشخاص الذين أكرههم وأحملهم على الورق كل جرائم البشرية !

واتفقت الغالبية على أن الرواية البوليسية هي حقيقة خيالية ، أى فيها جانب من الحقيقة وجانب من الخيال .

ولكن أغرب ما قيل فى المؤتمر عن مشاعر هؤلاء الكتاب وهم يصفون الجرائم الوحشية ، وهل يتألمون أو ينفعلون .

قال الجميع :

- أبدا . نحن نكتب بلا انفعال .

ولكن الكاتبة روث ريندال قالت :

- وصفت يوما خطف طفل وتعذيبه دون أن أتألم لذلك ، وإنى عادة ، لا أطلع ما يكتبه زملائي . وقد حدث أن قرأت وصفا لجريمة فاقشعر بدنى وتساءلت . . كيف يفعلون ذلك مع أى أمارس هذه الوحشية فى صفحات كتبى بلا ألم .

وقالوا جميعا أن الفرق بينهم وبين كتاب الروايات الأخرى أنهم يتكلمون عن البشر والانفعالات الانسانية بصفة عامة ، فهم كتاب عالميون ، بينما أغلب كتاب الأدب الروسى كتبوا عن روسيا ، وكتاب الأدب الأمريكى كتبوا عن أمريكا ، ولكن الكاتب البوليسى يصف الانسان فى كل مكان !

وفى المؤتمر ظهرت حقيقة جديدة ، وهى أن العالم أصبح يقدر كاتب الرواية البوليسية فهناك أكثر من كاتب يروى تاريخ حياتهم وعلاقة حياتهم الشخصية بالجرائم التى يتكلمون عنها فلا بد من وجود جانب من حياتهم عبر سطور كتبهم !

وتمنح الجامعات الكبرى درجة الدكتوراه الفخرية لعدد من كتاب الروايات البوليسية وتتنافس الجامعات أيضا فى شراء مسودات كتبهم كما تفعل مع غيرهم من كبار الكتاب وهناك أندية بأسائهم فى دول كثيرة ، إذ لهم معجبون ومحبون مثل الفنانين .



وقد راجت ترجمات الروايات البوليسية إلى اللغة العربية ، وتابعتها فى الإذاعة قبل ظهور التلفزيون وفى السينما وأخيرا على شاشات التلفزيون .

ولكن العالم العربى عرف كتابا كبارا فى كل فنون الأدب إلا فى الروايات البوليسية .

ولم تشتهر شخصية روائية بوليسية في الادب العربي كما اشتهرت شخصيات أخرى .

ومادام المؤلف البوليسى العربي لم يظهر بعد فإن الشخصية الروائية لاتزال في ضمير الغيب ، رغم حاجة القارئ الى هذا اللون من الأدب . ولكن الحاجة إلى لون أدبي لاتفرض ظهور هذا الفن .

والغريب في الأمر أن القصص البوليسية للأطفال وجدت في العالم العربي وإن كانت العقدة والحبكة في أغلب الاحوال ، أو بعضها ، أجنبية وإن وضعت أسماء عربية للشخصيات ونقلت الاحداث من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة إلى عواصم عربية وإلى الريف والحياة العربية .

ويبقى سؤال :

- متى تظهر الرواية البوليسية العربية للكبار ؟

والجواب كما يقولون :

- عندما تظهر الكاتبة العربية للرواية البوليسية .

وهنا يثور سؤال آخر :

- ولم المرأة بالذات ؟

والجواب مرة أخرى :

- في كل بلاد الدنيا وجد الروائي البوليسى وتبعته الروائية ولكن العصر الذهبي لهذه الرواية لم يبدأ بالدكتور آرثر كونان دويل الذى قدم شخصية شيرلوك هولمز بل بدا هذا العصر منذ نحو نصف قرن بظهور الكاتبة الروائية البوليسية ، وأشهرهن بالنسبة لنا في العالم العربي أجاتا كريستى .



وأجاتا كريستى ربتها أمها الأرملة . ولم تتلق تعليماً منتظماً في المدارس أو الجامعات .

في البداية كتبت شعراً . وفكرت أن تكون مغنية أو عازفة بيانو ولكنها لم تستطع ممارسة هوايتها . كانت تحجل من الوقوف أمام الناس لتمثل . ووجد المختصون أنها لا تصلح كعازفة ، وصوتها لا يؤهلها لتكون مغنية .

اتجهت إلى الكتابة فألفت ٣ روايات رفضها الناشرون جميعا .
وقامت الحرب العالمية الأولى لتعمل ممرضة في أحد المستشفيات فعرفت شيئا عن السموم ورأت أن تكتب الرواية البوليسية .
وخلال ١٨ شهرا ألفت روايتها الأولى ولكن ثلاثة من الناشرين أبوا قبولها .
قالوا إنها تقليد لروايات هولمز إذ يوجد الصديق الغبي والمخبر الذكي .

ومعروف أن لشرلوك هولمز صديق طيب اسمه الدكتور واطسون يعجز عن حل الألغاز فيقدم له هولمز مفاتيح الحل . ولكن واطسون لا يمسك بها ولا يهتدى إلى الابواب التي يمكن فتحها بسهولة .

ونجحت أبحاثا كريستي في الوصول إلى ناشر ظل تسعة شهور مترددا في نشر روايتها الأولى .

طبع منها ألفى نسخة وانتظرت عشر سنوات كاملة حتى صدرت الرواية في الولايات المتحدة . ولم يتجاوز ما حصلت عليه من ثمن ٢٥ جنيها . وأخيرا اهتدت إلى طريقة الانتشار .

قدمت شخصية رجل الشرطة البلجيكي هيركيل بوارو الذي يكتشف سر الجريمة .

وساعد على النجاح أن الحوار خفيف لا يرهق ذهن القارئ .

ومن ناحية أخرى فإن القارئ لا يرتبط عاطفيا مع شخصيات الرواية . لا يعنيه مصيرهما على الإطلاق ، لا القاتل أو القتيل . ففي كل رواية يوجد الاثنان معا لأن كل رواية تعتمد على جريمة . ولكن القتيل لم يكن حيا كما نفهم نحن الحياة . ولا يوجد ما يدعو القارئ للأسى على حياته أو الرغبة في الانتقام من المجرم أو الاشفاق عليه . ولا يعنى القارئ كثيرا مشهد الاحداث ، أى مكان الجريمة ، فإنه لا يتميز بشيء خاص .

القارئ يلتهم الرواية للتسلية ولا يريد منها شيئا آخر .

ولكن رواية أبحاثا كريستي الثانية طبعت مرة ثانية بعد أسابيع من ظهور الطبعة الأولى .

وساعد اختفاء الكاتبة سبعة أشهر على إثارة اهتمام الناس بكتبتها وألغازها . فقد أصيبت بحالة مرضية وفقدت ذاكرتها فلم تعرف أين هي أو من هي ؟
فلما عادت إليها ذاكرتها عادت إليها أضعاف شهرتها .

ومن ناحية أخرى فإن روايات أجاتا كريستي لا تشهد عنفا كما نرى في روايات الجريمة على شاشة التلفزيون . لا يوجد رجل عصابات يمسك مدفعا يقتل به دون تمييز، أو شقراء تفتح الباب وفي يدها مسدس تقتل الجميع .

أحداث الرواية تجرى في بيئة عائلية تقريبا . داخل مدينة صغيرة أو قرية منعزلة والمكان يغلط على عدد قليل من المشتبه فيهم ويترك للقارئ محاولة الوصول أو الاهتداء الى القاتل .

الرواية تدور حول طريقة غريبة للقتل والمخبر ، البوليسى ، السرى ، الرقيق يصل الى القاتل .

وأجاتا كريستي مثل كل النساء تعرف ، وتفهم العواطف الانسانية .

الرواية تدور حول حب أو غيرة ، زواج أو طلاق ، جشع ورغبة في الحصول على المال ، ويرفض البطل أو البطلة الطريق القانونى الذى يوصله إلى هدفه . أولا يوجد طريق قانونى يبلغه هذا الهدف .

وتكون النتيجة أن تتفاعل المشاعر والعواطف الانسانية وتغلى لتصل الى النهاية المحتومة للرواية وعقدتها ، أى الجريمة ثم يبدأ البحث عن القاتل .

وأجاتا كريستي ، مثل النساء تهتم بالتفاصيل . وتستطيع اكتشاف الصادق والكاذب من المشتبه فيهم . هى وكيلة نيابة من طراز نادر ولذلك تنجح فى هذا اللون من الكتابة .

وهناك عشرات من الكاتبات البوليسيات الأخريات اللائى لم يشتهرن فى العالم العربى ولكن ، لشهرتهن دوى فى الخارج مثل الكاتبة المعاصرة مارش زميلة أجاتا كريستي وهى أيضا من أسرة متواضعة .

وهناك مارى ألينجهام التى قدمت المخبر البوليسى بأسلوب آخر وطريقة مغايرة تماما فى رواياتها عقدة جريمة ، وعقدة اجتماعية أيضا ، وفى عدد من رواياتها تسخر من أهل الفن والنقاد معا .

ورجل الشرطة ينتمى الى الطبقة الارستقراطية ويتصل بأصحاب النفوذ .
وفى بعض الروايات نجده ينتمى الى الاسرة المالكة ايضا . فالكاتبة تريد أن
تختلف عن كل زملائها وزميلاتها ومن هنا تميز المخبر السرى ، ولم تختار له تابعا مثل
شرلوك هولمز بل قدمت له خادما ، وهو شخصية فكاهية ليضحك القارىء ولا يمل .
والكاتبة البوليسية مارى روبرتس رينهارت ابتعدت تماما عن الأسلوب التقليدى .
المخبر فى رواياتها أرملة شابة أو فتاة فى سن الزواج تسمع اصواتا غريبة وتتعرث فى
مفتاح اللغز . ومعظم اكتشافاتها للحل تأتى مصادفة .
وفى كل رواية نجدها تكرر هذه الكلمات :

- لو كنت أعرف ما عرفت الآن . لو أن الناس ذكروا الحقيقة للمفتش .
أو :

- لو أنها - أى المخبرة السرية - ذكرت ما سمعته لمفتش الشرطة الحكومى الرسمى
لاستطاع الاهتداء الى القاتل . ولكنى لم أتكلم لأنى خشيت أن يضحك منى . . وماذا
لو ضحك واهتدى - بعد ذلك - الى القاتل . ولكن الشهود لم يتكلموا . ولم تكن عندى
الجرأة لأتكلم أيضا .

وعدد الشخصيات فى أغلب رواياتها محدود ، أحيانا خمسة كلهم مثار شبهة .
والقاتل يظهر فى النهاية بعد ان يرتكب أربع جرائم !
وقد يقال :

- من الطبيعى الاهتداء الى القاتل .

لكن الحقيقة هى أن أحد القتلى يبدو وكأنه قاتل انتحرو ومن هنا يظل القارىء مثارا
حتى النهاية .

وتظل مارى رينهارث تكتب الى ما قبل وفاتها بعامين !



ودوروتى سايزر كاتبة بوليسية أخرى ولكن أغلب رواياتها من القمص البوليسية
القصيرة . وقد امتازت هذه الكاتبة برغبتها فى البحث والقراءة للاهتداء الى الجريمة

الحقيقية من الناحية العلمية فهي لا تريد أن يجيء قارىء متخصص ليقول عن احدى رواياتها .

- هذه هى الجريمة المستحيلة ولا يمكن أن يموت أحد بهذه الطريقة .

وكانت دوروتى سايزر أول من قدمت طريقة حقنة الهواء أى الحقنة التى بلا دواء وتعطى للإنسان فى شريانه فيحدث الموت لأن الهواء - بداخل الحقنة - يوقف سريان الدم فى الشريان .

وقد ظلت دوروتى سايزر سعيدة باكتشافها ، أو بما قدمته من حقيقة علمية عرفتها قبل غيرها من كتاب الروايات البوليسية . ولكن العلم أثبت أخيرا أن هذه الحقنة لا تحتوى الا على سنتيمترين أو ثلاثة من الهواء ولا يمكن أن توقف هذه الكمية مجرى الدم .

ولكن دوروتى ماتت قبل أن تعرف هذه الحقيقة ، أو قبل أن تكتشف أنها فشلت فى تقديم جريمة علمية سليمة مائة فى المائة كما كانت تقول !



وليسلى كارتريس التى قدمت لنا روايات « القديس » التى نراها على شاشة التلفزيون .

رأت أن تقدم بطلا جديدا ومختلفا تماما .

البطل ليس مخبرا عنيفا أو رقيقا . انه رجل عاطفى يلبس أحسن الثياب ويعرف أين توجد أشهى الاطباق . نصب من نفسه خصما للمجرمين يبحث عن الأدلة ويتعقبها ليصل الى القاتل .

وفى كل مغامراته يوجد عنصر فكاهى .

ولم تقدم ليسلى كارتريس القديس فحسب ، بل ظلت أكثر من أربعين عاما تقدم بطلا آخر هو « روبين هود الجريمة الحديثة » تشبها بروبين هود الذى كان ينقذ الفلاحين الأوربيين من قديم .

وأنيثا هيلين بروكس ، لها رأى . . ولها مشكلة !

ترى أن الرواية البوليسية لها جمهور عريض من القراء الذين يريدون الهرب من الواقع .

والكاتب البوليسى الذى تباع رواياته على نطاق واسع يربح من الرواية الواحدة ٣ ملايين دولار فضلا عن تحويلها إلى فيلم سينمائى وحلقات تليفزيونية مسلسل تذاغ خلال ثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر .

ولكن قلة فقط ينجحون ويبيعون والباقون يفشلون .

مشكلة انيتا أنها تزوجت من ناشر للروايات البوليسية أرغمها على أن تضع صورتها على غلاف كتابها الأول فظهرت وفي يدها سكين وعلى وجهها كل ملامح الشر .

أما زوجها الثانى فهو نفسه سر بوليسى غامض .

لقد اختفى تماما .

وأرسلت وراءه مخبرين سرين حقيقيين يبحثون عنه ولكنهم فشلوا فى العثور عليه أو معرفة مصيره .

وظلت تنتظره خمس سنوات دون جدوى . وأخيرا أقامت دعوى تثبت فيها أنه مات من الناحية القانونية .

وقالت انيتا للمؤتمر وهى تضحك :

- ربما لا يعرف ، حتى الآن ، أنه ميت !



وأدب الجريمة ليس عملية سهلة .

يعقد سنويا مؤتمر لكتاب الجريمة ، أى الروايات البوليسية بحضور الأطباء الشرعيين والصيدلة وخبراء الاسلحة ورجال الشرطة ليبيّنوا للكتاب كيف يموت الانسان . والرصاصات ومتى تكون قاتلة . وهل تؤدى بعض السموم إلى الوفاة السريعة وهل يمكن أن تظهر آثار هذه السموم ؟

والهدف من هذا المؤتمر ألا يصور الكاتب أو الكاتبة فى الروايات جريمة لا يمكن أن تتم حتى تكون الروايات البوليسية معبرة عن الواقع العلمى والطبى .

وليس هذا بالأمر الجديد .

ستندال الروائى الفرنسى الذى عاش فى عصر نابليون كان يقرأ صفحتين من القانون المدنى حتى لا تتعارض رواياته مع القانون .

وفى امريكا تعقد حلقات دراسية لشباب الكتاب يشهدا خبراء فى علم النفس والاجتماع ليقدموا خبراتهم عن العواطف البشرية وحالات الاكتئاب ومتى يكون

الانسان فى أسعد حالاته أو أتعسها ، وأكثرها مرارة ، فمن الضرورى أن تكون الرواية مبنية على أساس حقائق العلوم .

ولقد تغيرت كتابة الروايات البوليسية فى السنوات الأخيرة ، وخرجت عن مقاييسها القديمة .

لم يعد الشرير واضحاً والطيب واضحاً .

ولم تعد الشرطة . بعد أن رأينا فسادها فى الغرب ، تسرع وراء القاتل واللصوص بل صارت تشاركهم الجريمة أحياناً .

واختفت التفرقة الكاملة التى كانت تفصل بين الأبيض والأسود ، وظهر فى هذه الروايات اللون الرمادى !

ولم تعد الروايات تنتهى بالقبض على القاتل وعقابه .

أحياناً تترك العقدة النهائية ليصل إليها القارئ وحده ليتخيل ما إذا كان المتهم يذنب أو ينجو . ان المتهم يحاصر بالادلة ولكنه لا يحاصر بالإدانة ليتمتع القارئ بمزيد من الاثارة !

ويقال فى دوائر الادب البوليسى ، ان صح هذا التعبير ، ان المرأة هى التى غيرت هذا اللون من الرواية عن طريقها التقليدى وحدودها الجامدة .

للرواية . . بقية !

قصيرة وشعرها قصير . . جميلة وجذابة ولكن لسانها حاد .
التحقت بكلية البنات لتصبح طبيبة ولكنها لم تتمكن من اكمال دراستها فاشتغلت
بالصحافة تكتب بعض التحقيقات لصحيفة يومية في إحدى الولايات .
تزوجت من زميلها في الدراسة لكن الزواج لم يدم طويلا . . فالزوج لايعرف
المسئولية ، ضربها يوما ضربا مبرحا حتى أنها خافت من تقلباته الفجائية على حياتها .
وبعد الطلاق تزوجت من صديق للأول . . فضمن لها الزوج الثانى الاستقرار .
كان يدفعها الى الكتابة . . وعندما تفقد الثقة في نفسها يعطيها جرعات من
الشجاعة وهو بالنسبة لها رئيس التحرير الودود . . كل ما تكتبه . . يعجبه ويرى فيه
موهبة وعبقرية .
ولكن صحته مرهفة رقيقة فمرض ، ومرضت معه . وأصبحت لها جاذبية خاصة
للحوادث . . فهي عرضة لها باستمرار . . ولكن الزوج المريض ظل يدير اعمالها .
ورغم أن كلا منهما كان يعتمد على الآخر إلا أن اعتمادها عليه كان أقوى . .
كلفها أحد الناشرين بالبحث عن اصحاب المواهب لينشر مؤلفاتهم فساعده بكل
قواها دون أن تتكلم عن نفسها . .
حدث يوما ان قال لها :
- سمعت أنك تؤلفين رواية .

نفت ذلك بشدة ولكن الناشر أصر فاحضرت له مخطوطا ضخما ، مشتتا مبعثرا غير
منظم يحتاج اعادة ترتيب فصوله الى جهد ضخم . . ولكن الناشر لم ييأس وقرر أن ينشر
الرواية ودفع لها . وكان عمرها ٣٥ سنة - مبلغا يعتبر ضخما - في ذلك الحين وهو ٥٠٠
دولار .

أما ثمن بيع الرواية للقراء فكان ثلاثة دولارات وهو مبلغ كبير بالقياس الى اسعار الكتب . في ذلك الزمان . . . عام ١٩٣٦ .

طبع الناشر من الرواية - ١٠٣٧ صفحة - عشرة آلاف نسخة في أول الأمر نفذت فوراً .

وفي ثلاثة أسابيع باعت الرواية ١٧٨ الف نسخة وقبل أن ينقضى العام كان وزع ١,٤٠٠,٠٠٠ نسخة .

وفي ٢١ شهراً باعت مليونى نسخة.

أما اسباب الراج فكثيرة أولاً ، بطبيعة الحال ، الرواية نفسها ، مستواها العالى . الدقة التاريخية . التفاصيل الدقيقة .

كان الشعب الامريكى فى الثلاثينات جائعاً للترفيه والتسلية بعد الازمة الاقتصادية التى حدثت فى اواخر العشرينات واستمرت زمناً ضاعفت خلاله ممتلكات الناس وانهارت شركاتهم وبيوتهم وثوراتهم ومراكزهم الاجتماعية كما انهار الجنوب اثناء الحرب الأهلية .

أما الآن فإن الطبعة غير الشعبية من الرواية تباع بعشرة دولارات .

وأصدرت دار النشر طبعة مشابهة تماماً للطبعة الاولى ثمنها ١٦,٩٥ دولاراً ! وقد شهدت فى مدينة أتلانتا الامريكية الاحتفالات التى جرت بمناسبة مرور نصف قرن على صدور رواية « ذهب مع الريح » .

عرضت سينما « فوكس » المحلية الفيلم كما اعتادت أن تفعل سنوياً .

وأقيمت معارض وعقدت ندوات وأجريت مسابقات لمن يقلد البطل والبطله . ومنحت جوائز لمن يشبهها .

وانتج طلاء أظافر باسم سكارليت - البطله - وعرائس باسمها أيضاً ثمن الواحدة ١٩٥ دولاراً .

وعرضت فنادق المدينة أسعاراً تشجيعية لمن يزور المدينة ويقوم فى فنادقها ويأكل فى نفس المطاعم التى أكلت فيها كاتبة الرواية .

ولم يكن اسم الرواية كما اختارته المؤلفة « ذهب مع الريح » بل كان « الطريق الى تارا » ثم تغير الى « غدا يوم آخر » وكان اسم البطلة بانسى فأصبحت سكارليت أوهارا .

أما الاحداث فلم تتغير أو تتبدل .

أنها قصة حب وقعت أثناء الحرب الأهلية الامريكية .

وكان اسم الرواية - غدا يوم آخر - تعبيرا عن خاتمها .

البطل ريت باتلر أنيق كقصرصان . خطر كتمساح . جرىء كشيطان . ولكنه رقيق ، محب ، شديد الحساسية . يخفى مشاعره بدكاء ودعابة .

أما هي فجميلة . أنانية مغرورة . تخدع نفسها . انتهازية ، غير مخلصه ، قوية الارادة .

انهار الجميع إلا هي . وعندها آمال لا تقبل الهزيمة .

تزوجت مرتين . ولها ابن من الزوج الأول ، وابنة من الزوج الثانى .

وقد اكتشفت ، بعد ألف صفحة من الرواية ، أنها تحب البطل « ريت باتلر » . ولكن هذا الاكتشاف جاء متأخرا ، والبطل لا يملك الا الاشفاق عليها ولديه نوع غريب من العطف عليها .

إنها تعلن حبها له ولكنه يقرر الرحيل الى أوربا فتقول :

- وأنا ماذا سيحدث لى .

فرد قائلا :

- ياعزيزتى . انا لا اهتم أبدا .

وتبقى تفكر فى استرداده . وتقول لنفسها :

- غدا سأفكر فى طريقة أستعيده بها . « غدا يوم آخر » .

وتنتهى الرواية بفراق الحبيين إلى غير لقاء .

ولعل أغرب ما فى الرواية أن المؤلفة كتبت الفصل الاخير ، والخاتمة قبل أن تخط سطرًا واحداً فى الفصل الاول . بل قدمت الرواية للناس بدون الفصل الاول ، ثم كتبه بعد ذلك .

وكانت خاتمة حياة الكاتبة غريبة أيضا . .

في هذه المدينة « اتلاننا » عام ١٩٤٩ ماتت مرجريت ميتشيل وهي في الثامنة والأربعين عندما كانت تعبر الطريق فصدمتها سيارة تاكسي قضت عليها .

أما الرواية فقد حصلت على جائزة بوليتزر أعلى الجوائز الادبية والصحفية في الولايات المتحدة بعد عام من صدورها وبيعت لشركة مترو جولدين ماير بعد شهر من صدورها قام المنتج دافيد سلزنيك بحملة دعاية للفيلم استمرت عامين قال خلالها أنه يبحث عن فنانة تقوم بدور البطلة .

وأخيرا اختار للدور الممثلة البريطانية فيفيان لي واختار الممثل الامريكى كلارك جيبيل ليقوم بدور البطل .

انتج الفيلم عام ١٩٣٩ .

ودفعت شركة مترو جولدين ماير للمؤلفة حينئذ - ٥٠ ألف دولار ، وهو مبلغ ضخم بحساب عام ١٩٣٩ ، ومبلغ متواضع جدا بحساب هذه الايام !

نال الفيلم ٨ جوائز أوسكار .

وربحت الشركة السينائية المنتجة - مترو جولدين ماير - ٤٠٠ مليون دولار .

وعندما عرض لأول مرة على شاشة التلفزيون الامريكى أقيمت ٧٨ شركة على الاعلان عن منتجاتها أثناء الفيلم فقطع ٧٨ مرة لأذاعة اعلانات ثمنها ٤ ، ٤ مليون دولار . . وكان ثمن الدقيقة الواحدة ١٤٦ الف دولار .

وبيعت خلال نصف قرن ٢٥ مليون نسخة من الرواية في ٣٧ دولة بـ ٢٧ لغة وبياع منها سنويا حوالى نصف مليون نسخة . وقدمت فرقة موسيقية استعراضية الرواية باللغة اليابانية بأبطال كلهن نساء !

وقد يكون نجاح الرواية والفيلم مثيرا ، ولكن الأكثر إثارة ماحدث بعد صدور الرواية عندما ضغط الناشر والمخرجون وشركات السينما على مرجريت ميتشيل لتؤلف بقية أو تنمة للرواية .

قالوا لها :

- ليس من المعقول أن تتوقف الرواية عند فراق الحبيين ، لابد أن يعود أحدهما للآخر . . أكتبى الجزء الثانى وفيه يلتقيان .

قالت :

- هذه هي النهاية الطبيعية .

قالوا لها :

- لندع كاتباً أو كاتبة أخرى تقوم بهذه المهمة .

رفضت .

ولكن منتج الفيلم - دافيد أوسلزنريك - لم ييأس .

أغرى الكاتبة بالمال فأبت .

قال لها :

- ارفضى المال لنفسك ولكن وجهيه لأعمال الخير .

اعتذرت وقالت :

- لا يغرينى النجاح الضخم الذى حققته الرواية لأقوم بتأليف رخيص متعجل .
إنى لم أكن احلم بنشر كتابى وأنتشاره . وأرفض الإفادة من شهرة الرواية . لقد
كرهت الدعاية الضخمة التى منعتنى من أن تكون لى حياتى الخاصة .

قال لها :

- يمكننا انتاج فيلم « ابنة سكارليت اوهارا » . . لتكن البقية قصة الأينة لا قصة
البطلة الام وبذلك لاتغير خاتمة روايتها .
ولكنها اصرت على الرفض .



اشترت شركة متروجولدين ماير حقوق الرواية من سلزنريك عام ٤٤ فضغطت على
مرجريت ميتشيل . قالت لها :

- نريد دورا لكلاارك جيبيل يتألق فيه مرة اخرى من خلال الجزء الثانى من الرواية .

ولكن الكاتبة لم تعدل عن موقفها . قالت :

- ماذا اكتب ؟ هل أقول « العودة مع الريح » .

وبعد وفاتها قيل لزوجها ومنفذ وصيتها :

- يمكننا الاتفاق معك .

قال :

- لم تفكر زوجتى فى يوم من الايام فى أن سكارليت أوهارا ستلتقى بحبيبها .

وقال :

- موقفى هو نفس موقف زوجتى التى رفضت أن يمس كاتب أو مخرج شخصيات روايتها .

وبعد رحيل الزوج عام ١٩٥٢ تولى الدفاع عن الرواية شقيق الكاتبة المحامى ستيفنز ميتشيل الذى أمضى معظم سنوات حياته الاخيرة فى المحاكم يدافع عن حقوق التأليف ويمنع نشر تتمه ، أو بقية ، أو الجزء الثانى من الرواية فى الوقت الذى وجدت فيه دور النشر وشركات السينما أن نجاح « ذهب مع الريح » يمكن أن يستمر .

أراد أن يجسم الامر فقال للسينمائيين :

- مات الابطال فمن يقوم بأدوارهم ؟

قالوا :

- الماكياج يحل المشكلة .

قال :

- هذا صعب أو مستحيل .

قالوا :

- سيلعب آخرون أدوار أبناء وأحفاد الابطال . فنحن نريد ان يستتج القراء أن النهاية السعيدة قد تحققت والابطال التقوا مرة اخرى .

ولكنه ظل يرفض حتى عام ١٩٧٥ .

اصبح عجوزا فى التاسعة والسبعين ووجد أن حقوق التأليف ستنتهى عام ٢٠١١ وسيصبح من حق أى كاتب أن يؤلف أجزاء اخرى للرواية أو بقية لها وربما يشوه الأحداث والابطال مما يفقد الرواية الأولى الأصلية روعتها .

قال :

- لا أستطيع أن احارب الى الابد .

ومنح شركة يونيفرسال السينمائية والمنتجين ريتشارد زانوك ودافيد براون حق تأليف بقية للرواية خلال خمس سنوات .

وعلى ذلك تم تأليف رواية اخرى تجرى احداثها بعد ٨ سنوات من « ذهب مع الريح » .

ولكن وقع خلاف بين ريتشارد زانوك وشركة مترو فتوقف المشروع .

وسقط الحق الذى منحه ستيفنز لشركة يونيفرسال عام ١٩٨٠ فألفت الكاتبة آن ادواروز رواية ثانية تقرر أن تصدر ككتاب وفيلم ولكن شركة مترو جولدين ماير رفضتها فحفظت .

وأصرت شركة مترو على أن من حقها استكمال الرواية فأقام دعوى ضدها ومات منذ ٣ سنوات أثناء نظرها فأصدر القضاء حكمه بأنه ليس للشركة هذا الحق وأنه يقتصر على ولدى ستيفنز اللذين تجاوزا الخمسين من العمر .

وبقيت الرواية كما ألفتها مرجريت ميتشيل عام ١٩٣٦ .

وشكلت لجنة من ثلاثة من رجال القانون احدهم النائب العام لمدينة اتلانتا وهم اصدقاء ستيفنز .

عهد اليهم بحماية حقوق المؤلفة فرفضوا مسرحية ساخرة عن أبطال الرواية . وأنتجت شركة نوعا من الطهاطم أسمته « طهاطم سكارليت أوهارا » فقاضتها اللجنة ومنعت المحكمة أن تكون البطلة نوعا من الخضر !



وعندما انتج المخرج الفرنسى كلود ليلوش فيلما عنوانه « رجل وامرأة بعد عشرين عاما » تتمة لفيلمه « رجل وامرأة » بنفس الابطال زاد الحماس فى الولايات المتحدة وفرنسا لأننتاج الجزء الثانى من « ذهب مع الريح » أو « ذهب مع الريح بعد ربع أو نصف قرن » .

تقدمت شركة فرنسية للجنة المحامين الثلاثة تطلب السماح باننتاج فيلم فرنسى تجرى احداثه فى فرنسا اثناء الحرب العالمية الثانية على أن يكون اطار الفيلم نفس المناخ الذى شهد أحداث « ذهب مع الريح » .

وقالت الشركة إن قصة الحب ستكون مشابهة تماما لقصة حب سكارليت أوهارا ولكن مع المقاومة الفرنسية ضد الالمان !

وتقدم أمريكيون كثيرون لأنتاج الجزء الثانى من الرواية وطلبوا موافقة الاوصياء .

قالو :

- لابد من عنف وجنس لجذب شباب المشاهدين الذين تأثروا بموجة الافلام
الحالية فرفض الاوصياء .

وقال آخرون :

- الرواية الاصلية وقعت اثناء الحرب الاهلية . . أصحاب المزارع سعداء ، أما
الرقيق فلا يجد الا الخبز والعرق . فى الرواية طرفان البيض والعييد ، فكيف يمكن
الحرص على جو محافظ فى وقت يتكلم فيه الناس جميعا عن مجتمع متحرر .

وفى احتفالات العيد الخمسين لصدور الرواية سيطرت فكرة البقية والتتمة والجزء
الثانى على كل الندوات والمحاضرات .

واشترك الاوصياء فى الحوار .

وجهة نظرهم تتلخص فى ضرورة المحافظة على رواية كلاسيكية فإن ما أحبه الناس
« ذهب مع الريح » قد يتحطم الى الابد . ولا بد من الإبقاء على الصورة الحلوة التى
أعجبت بها الاجيال .

قال الجيل الجديد من شباب المؤلفين :

- هذا هو التحدى العظيم الذى ينبغى علينا مواجهته . أن نستكمل أعمال الاولين
ونتفوق عليهم .

ولكن الاوصياء أصرروا على أنه اذا كانت البقية سوقية فسيمنعونها بقضايا لا
تنتهى .

وتفرع الحوار الى أجزاء جانبية وهى كيف تكون الخاتمة : كتاب جديد ، أو فيلم ،
أو حلقات تليفزيونية محدودة ، أو حلقات لاتنتهى أبدا .

وتدخل الجمهور فى الحوار من خلال مسابقات وأحاديث وبرامج إذاعية وتليفزيونية
فطالبوا بتكامل الرواية الاصلية مع بقيتها .

أما المسئولون فى شركات السينما فانهم يقيسون الامور بمقاييس مالية .

ان رواية « رجل وأمرأة » تكلفت عند انتاجها لأول مرة ١٠٠ ألف دولار ارتفعت
بعد عشرين سنة الى ٥ ملايين دولار . . فماذا سيتكلف الجزء الثانى من « ذهب مع

الريح « التي انتجت لأول مرة عام ١٩٣٩ . . . فالهدف في كل الاحوال ليس الادب ولكن الحصول على مزيد من الارياح وهو مايقاومه الاوصياء حفاظا على رواية خالدة جذبت الناس جيلا بعد جيل .

وأخيرا رأى الأوصياء أن حقوق التأليف ستنتهى عام ٢٠١١ وبذلك يصبح من حق أى كاتب أن يضع نهاية أخرى للرواية . ولذلك أختار الأوصياء كاتبة من جنوب الولايات المتحدة اسمها الكسندرا ربيلى - ٥٤ سنة - لتضع خاتمة للرواية .

كتبت الكسندرا فصلين في ٣٩ صفحة فوافقت عليها شركة مترو جولدوين ماير ولكن تقرر طرح الرواية الجديدة في مزاد بين الناشرين ينتظر أن يصل الى ستة ملايين دولار تدفع للكاتبة بالإضافة الى حقوقها الأخرى عندما تتحول الزوايه الى فيلم .

سئلت الكسندرا عن خطتها بعد أن مات كلارك جيل ونيفيان لى فرفضت أن تتكلم وقالت :

- سيكون الجنس أكثر في الرواية الجديدة . . فقد تغيرت الدنيا وقيمها عما كانت عليه !

لقد ماتت الكاتبة ولكن روايتها ، أو اسطورتها عاشت فوق رفوف المكتبات ودور السينما وعلى الشاشة الصغيرة !

والسؤال الآن :

- هل ستنجح بقية الرواية وبالذات مع الجيل القديم ؟

وسواء تحقق النجاح أم لم يتحقق فإن كل رواية ناجحة ستكون لها . . بقية !

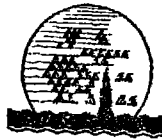
فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	١ - قضية أدبية
٧	٢ - كتاب في ثلاثة أيام
٢٥	٣ - مفتاح الرواية
٤١	٤ - انهم يقتلون الأدباء
٥٣	٥ - كاتب تحت التميرين
٦١	٦ - جوائز للعباقرة
٧٣	٧ - الكتاب الشعبي
٨٥	٨ - كتب لها العجب
١٠٣	٩ - معارض للكتب القديمة
١١٣	١٠ - الخلود في مكتبة
١٢٩	١١ - أبناء الاحتلال
١٤٣	١٢ - كتاب مسموع .. وللمكفوفين
١٥٧	١٣ - البريد فن
١٦٥	١٤ - سنة للأحتفال بكاتب
١٨١	١٥ - فتش عن المواهب
١٩٧	١٦ - روستة أدبية
٢١٥	١٧ - المرأة وأدب الجريمة
٢٣١	١٨ - للرواية بقية

كتب للمؤلف

- ١ - حكايات صحفية الناشر أخبار اليوم
- ٢ - الزواج سنة ٢٠٠٠ الناشر أخبار اليوم
- ٣ - تاريخ للبيع الناشر أخبار اليوم
- ٤ - ولا عجيب الا الصين الناشر أخبار اليوم
- ٥ - دفاع عن الزوجات الناشر أخبار اليوم
- ٦ - سرقة واحدة مصرية الناشر أخبار اليوم
- ٧ - الصحافة قصص ومغامرات الناشر أخبار اليوم
- ٨ - الشعب والحرب الناشر المكتب المصرى الحديث
- ٩ - التليفزيون الناشر المكتب المصرى الحديث
- ١٠ - التاريخ السرى الناشر المكتب المصرى الحديث
- ١١ - حرب البترول (المحاضر السرية لاجتماعات وزراء البترول العرب) الناشر مجلة الاذاعة
- ١٢ - عندما يموت الملك الناشر دار التعاون
- ١٣ - سنة من عمر مصر الناشر دار المعارف
- ١٤ - التاريخ السرى لمصر (طبعة أكبر بوثائق بريطانية وأمريكية) الناشر دار المعارف
- ١٥ - أصول الحكم الناشر دار المعارف
- ١٦ - الشيطان الناشر دار المعارف
- ١٧ - دنيا الصحافة الناشر دار الهلال
- ١٨ - أفندينا يبيع مصر الناشر مؤسسة الأهرام
- ١٩ - ٥ أيام هزت مصر الناشر مؤسسة الأهرام
- ٢٠ - الانسان حيوان تليفزيونى الناشر مؤسسة الأهرام
- ٢١ - سرقة ملك مصر الناشر مؤسسة الأهرام
- ٢٢ - من قتل حسن البنا ؟ الناشر دار الشروق

رقم الايداع ٤٨٥٢
التقييم الدولي ٥ - ٢١١ - ١٧٢ - ٩٧٧



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

تغير سوق الأدب والنشر في السنوات الأخيرة ، ونشأت قضايا أدبية جديدة عجيبة .

كتّاب هذه الأيام يطلبون عدم الزام الطلبة بحفظ نصوص أدبية ومقطوعات من مؤلفاتهم ، حتى لا يكره الطلبة الأدباء والشعراء ، لأنهم فُرضوا عليهم بقرارات من سلطات التعليم .

وتفنن أصحاب دور النشر في منح الجوائز لتشجيع شباب الأدباء ، ونظموا مسابقات لمن يؤلف رواية كبيرة في ثلاثة أيام . وقد نجح الألوفا .

وجعلوا الأدباء يؤلفون أمام الناس في المعارض الدولية !

ونجحوا في أن يجعلوا الكتاب الكبار يؤلفون كتباً مشتركة مع المؤلفين الجدد .

وفي هذا الكتاب يقدم الكاتب « محسن محمد » التجارب الأدبية الجديدة ، والأصول الحقيقية لكل الروايات العالمية الكبرى ، والمفتاح الذى يفتح لكل كاتب الباب الأدبى الضخم ، وأغرب الكتب فى العالم ، وتجارة الكتب القديمة وأشهر مكاتبها ، والمكتبات العامة التى تدفع للمؤلفين ثمناً لكل كتاب يطلعه قارئ ، والروايات التى تحولت إلى أفلام ، والمناهج الدراسية التى تتغير نتيجة للاحتلال أو الظروف السياسية والكتب المسموعة ، وكيف يحتفل العالم بالكتاب ، والمؤلفين المتخصصين من الأطباء وغيرهم ، والمرأة والأدب بصفة عامة ، وأدب الجريمة بصفة خاصة .

وفي الكتاب يقدم الكاتب قصة الروايات الشهيرة التى ألفها كبار الكتاب ، وكيف تكتب لها تكملة .. أو بقية !

عبد الحميد أحمد غريب

دار غريب للطباعة

١٢ شارع نوبار (لاطوغلى) القاهرة

ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٢٢٠٧٩